

ميثاق الحب والبياقوت



رواية

نور هان العشري

قيثارة الكلمات

مديقة الادباء للنشر والتوزيع

٢٧٠٩٨٥٩٤٣٦

BY: HAMDAN





@ART_OF_BOOK



1 شارع حسن أبو زيد - الزاوية الحمراء - القاهرة

01019978066 - 01117130961

Citybooks20@gmail.com

ميثاق الحب والياقوت

رواية - نور هان العشري

رقم الإيداع: 2024/23581

الترقيم الدولي: 978-977-8984-42-2

جميع الحقوق محفوظة @

يمنع منعاً باتاً الاقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة، أو النشر الإلكتروني، أو التصوير الضوئي للمحتوى، أو أي جزء منه إلا بإذن كتابي من الناشر والمؤلف. ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية طبقاً لحقوق الملكية الفكرية المنصوص عليها في القانون.

تصميم: محمد علي - الإخراج الداخلي: City Books

٢٧٠٩٨٥٩٤٣٦



إهداء إلى

• "قمزا يُضيء عتمتي، ودفع يذيب صقيع الحياة من حولي، صاحبة القلب الصافي، والروح النقية جاء إسمك من وصفك لقا تفيض به ملامحك من السّماحة والتّسامح. دمت لي شيئاً جميلاً لا ينتهي. إلى العظيمة أمي أحبك."

• "وطني الكبير، ذلك القلب الذي كلّمنا ضاقت على الحياة إزتقيت بثقلي بين ذراعيه فأستكين ويهدأ ضجيج زوجي. أبي. حبيبي الأول وصديقي وأقرب إلى قلبي من وريده أحبك."

• "حبيبي الاستثنائي في كل شيء. نضفي الآخر ورفيق دربي. لم تكن شيئاً عابراً أبداً. كنت شيئاً لأمس زوجي للحد الذي جعلها لا تكتمل سوى بوجودك. زوجي العزيز أحبك."

• عالمي الصغير. القلب الذي ينبض بالحياة بين أضلعي. أول من منحني أعظم شعوراً في هذا العالم. صديقي الصغير وفارس قلبي وحياتي. طفلي الجميل أحبك."

• حبيبتني، وصديقتني، وشقيقتني، التي انتظرت مجيئها ثمانية وعشرون عاماً. تلك الروح الجميلة التي أضفت البهجة على حياتنا وقلبت عالمنا ليندو وزدياً وجميلاً. طفلتي الرائعة كارما أحبك."

نورھان العشري



الميثاق الأول

لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع. مقولة تحمل من
الصدق الكثير، فما يختاره الله لنا دائماً هو الأفضل،
و لكن المُحير في الأمر أن كان الواقع بتلك القسوة
فكيف إذن بالغيب؟ ما الذي سيكون أسوأ من أن
يُساق الإنسان نحو هلاكه دون أن يملك القدرة على
الاعتراض بينما كلّ خليه به تشجب ذلك القهر الذي
تُمارسه الحياة بكلّ فُحش على أولئك الذين لم
يعتادوا على الخضوع يوماً؟

أصوات زغاريد وهتافات فرح كانت تتخلل الأجواء
في كل مكان يحمل اسم آل شريف بعد أن غابت
البهجة عن عائلتهم لأعوام مضت، فلم يشهد هذا
القصر في السنوات الأخيرة المُنصرمة سوى الحزن
و الأسى و فراق الأُجبة، و لأن هذا اليوم هو اليوم
المُنتظر لتلك العائلة العريقة لذا كانت المُغالاة في
كل شيء، حيث تم ذبح أعداد كبيرة من الماشية و
إعداد الولائم الضخمة. إضافة إلى الكثير من الزينة
التي ملأت الشوارع و الميادين احتفالاً بزفاف
الطبيب زين الدين حسان الشريف، و المهندسة
الجميلة حورية قاسم الشريف هذا الثنائي الذي كان
متوقع ارتباطهم منذ نعومة أظافرهم هكذا اتفق
الشقيقان حسان و قاسم قبل أن تطالهم يد

القدر و تنتزعهم من بين أحبائهم ليقوم سرحان
الشريف الأخ الأصغر بين أشقائه بتنفيذ رغبتهم، و
هاهو اليوم الموعود قد أتى، و زغفاً عن تلك البهجة
المُسيطرة على الأجواء داخل القصر و خارجه إلا
أنه كان هناك جانب خفي من القلق و التوتر لا يراه
إلا من كان يحمل دماء هذه العائلة.

- حورية . يا جميلتي . هل انتهيتي من تجهيز
نفسك ؟

التفتت حورية إلى والدتها التي لطالما كانت
تُطالعها بفخر فهي لم تكن جميلة فحسب بل و
مهندسة ناجحة، و ذات شخصية قوية تُشبه والدها
الذي قُتل وهي في الثالثة عشر من عمرها:

- أجل يا أمي أوشكت على الانتهاء.

تقدمت زهرة لتقترب من ابنتها التي تقف أمام
شرفة غرفتها تُشاهد الأعمال القائمة على قدم
وساق في الأسفل لتقول بنبرة حانية:

- لما تقفين هكذا ؟ اهناك ما يُشغلك ؟

ابتسامة هادئة لونت ملامح حورية التي سحبت
قدرًا كبيرًا من الهواء داخلها قبل أن تقول بنبرة
جامدة تُخفي صراعات داخلية لا تخمد أبدًا :

- لا. فقط أشاهد تحضيرات الغرس .

زهرة باندهاش طفيف:

- تتحدثين عن الغرس و كأنه لا يُخصك . أنتِ

العروس يا فتاة . أين حماس العروس المفرط ؟ لا
أراه بعينيك !

حورية بلهجة باردة

- قد يكون لأنني مؤهلة لتلك الزيجة منذ سنوات!
زهرة بتحير:

- و هل هذا يُفقدك بهجة العروس بزفافها؟

تأففت من هذا الحديث فالتفتت تجلس أمام
مكتبها الصغير بأحد أركان غرفتها الكبيرة التي
تحمل الطابع الكلاسيكي في طلائها و أثاثها لتقول
حورية بلا مبالاة:

- ليس الأمر كذلك ولكن لا أحب الفبالغة في
الأمر، فما أن تنتهي إجراءات الزفاف سأعود
مع زين إلى المدينة مرة أخرى لـ مُمارسة حياتنا
العادية.

شهقت زهرة بصدمة تجلت في نبرتها حين قالت

- بربك ماذا تقولين ؟ أي حياة عادية تلك التي
تحدثين عنها؟! هل الأمس يُشبه اليوم ؟ سابقا كان
خطيبك و كان يعيش في الطرف الآخر من المدينة
واليوم سيُصبح زوجك و ستبدأين معه حياة زوجية
من نوع خاص يتخللها الحب و الاهتمام و يتوجها
مجيء أطفال لـ يجعلوني جدة. ألا تتفقين معي ؟

ارتفع أحد حاجبيها في امتعاض لم يتجاوز حدود
شفتيها ولكنها لم تستطع منع التهكم الذي تخلل

كلماتها حين قالت:

- أُمي تلك الحالمة الزائدة في حديثك لا تُعجبني،
فا زين وانا نقدر الحياة العملية كثيرًا ولا يستطع
أيًا منا المُجازفة بخسارة كل ما بيناه في السنين
الماضية لأجل ما تُسمينها بالحياة الزوجية التي هي
من نوع خاص .

قالت جملتها الأخيرة بسخرية قبل أن تصفت
لثوان ثم تُضيف بجدية:

- كما أننا وضعنا خططًا مُستقبلية لحياتنا معًا وانا
اكتر من راضيه عنها، و حتي لا تتفاجئي فهي لا
تشمل إنجاب الأطفال في المستقبل القريب.

قالت جملتها الأخيرة بسخرية جعلت زهرة تنفعل
غاضبة

- هل جُننتي يا فتاة ؟ اسمعيني سأتغاضى عن
تلك الشرهات التي تحدثني عنها لتوك، و كأنني لم
اسمعها ، ولكن سأظل أدعو الله أن تحدث مُعجزة
تضرب بعرض الحائط كل تلك الخطط الغبية التي
رسمتها أنتِ و خطيبك. ذلك المعتوة لكي لا أصاب
بالجلطة القلبية.

انتفض قلبها حين سمعت كلمات والدتها و اقتربت
منها قائلة بلهفة يشوبها العتب :

- أُمي لا تقولي مثل هذا الكلام رجاء. اطلال الله
بعمرك، ولكن صدقيني فنحن نعرف ما هو الأفضل لنا

و أيضًا حسابات العقل لا تُخطيء أبدًا.

زهرة بنبرة ساخطة:

- اللعنة على تلك العقول، لن اناقشك الآن و لكنني
أيضًا لن أتوقف عن تمنى تلك المُعجزة التي سٌزيل
ذلك الصدا من فوق قلبك فيتعلم كيف يُحب و
حينها سـ تتذكرين حديثي و سـ تسعين لتحقيقه .

لم يَعد الحديث يروق لها أكثر لذا اجابتها بنبرة
تحمل الحسم و الجدية معًا :

- زمن المُعجزات انتهى يا والدتي العزيزة، و ذلك
القلب وظيفته إبقاء البشر أحياء فقط، و هذا كل ما
احتاجه منه. لذا لا تُقحميه في تلك الأمور السخيفة
كالخب و ما شابه.

ما أوشكت زهرة على الحديث حتى اقتربت
حورية تضع قبلة دافئة فوق خدها وهي تُتابع
بجمود :

- سأذهب لأستجم حتى استعد لذلك اليوم المُتعب
و أتمنى أن تُفدني المياة بالطاقة لتحفل كل هذا
الصخب المُبالغ فيه.

- حسبي الله في من تسبب في مُعاناتنا. فلا
سامحهم الله ولا عفا عنهم أولاد آل فارس .

هكذا همست زهرة بأسى ما أن دلفت حورية إلى
دورة المياة لـ تتنهد بضيق، فقد كانت تتمنى أن
تعيش ابنتها طفولة سوية بين أحضان والدها حتى

تتعلم ماذا يعني دفء مشاعر العائلة وألا تتحول الى
ذلك التمثال الجميل خارجيًا بينما هو داخليًا يشوّهه
وجعٌ عظيم يتمحور داخل قلبها الذي خبأته جيدًا
خلف جبال من الثلوج التي تتمنى لو يستطيع زين
إذابتها لكي تحيا معه الحب الذي حرمت منه سابقًا

- ياربى . اتمنى أن تحدث تلك المعجزة حقًا
وتستطيع طفلي أن تعشق زوجها و هو أيضًا، و
تسعد برفقته الباقي من عمرها .

أنهت زهرة دعائها وتوجهت إلى الخارج لشتاب
تحضيرات الزفاف ولا تدري بأن تلك المعجزة في
طريقها إليهم ولكن بطريقة لم تتوقعها أبدًا.

أتى الليل و أسدل ستاره على تلك الضيعة الكبيرة
مُعلنًا عهدًا آخر من الظلام الأشد قسوة مما سبقه،
فيد الغدر أجهزت تلك المرة على وتد من أوتاد
عائلة آل فارس التي لم تكن أقل قوة ولا نفوذ من
غريمتهم عائلة آل شريف و بالرغم من جفاف بحر
الدماء بينهم لمدة عشر سنوات إلا أن العداء لازال
قائمًا أشد وأقسى من السابق فكل فرد من العائلتين
يحمل قدرًا كافيًا من الكراهية نحو الآخر بقدر ما
دق قلبه و تنفست رأتيه.

- سيد جبالار . لقد فعلوها الأوغاد.

هكذا صاح الحارس بصوت جهوري تخلل سكون
الليل حولهم، و تردد صداه في الأرجاء ليهب عبد

جبار الفارس من مجلسه و يتوجه إلى الخارج
بهيبته ووقاره الذان يلازمانه و يتناسبان مع اسمه
الذي يبيت الذعر في نفوس سكان المنطقة وأجوارها

— ماذا حدث يا فتى ؟

هكذا تحدث جبار بحدة ليتوقف الحارس أمامه
بأعين يتبلور بهم الحزن يُرافقه الغضب الذي اشعل
نبرته حين قال

— عديمي الشرف. فعلوها يا سيدي.

نشب القلق حوافره بصدر جبار الذي قال بجهامة:

— من هم ؟ وماذا فعلوا ؟ هيا تحدث.

قال جملته الأخيرة بغضب جعل الشاب يصرخ
بحرقة

— أولئك القتلة. أولاد الشريف قتلوا السيد عمران.

— ماذا ؟

هكذا استفهم جبار بصدمة لِيَتابع جابر الحديث
بقهر

— لقد وجدنا جثة السيد عمران مطعونًا في الكوخ
الخاص به و بجانبه هذه.

ناولته تلك القداحة التي نُقش عليها حروفًا يعلم
جيدًا إلى من تنتمي ليدوم الصمت لثوان قبل أن
تنطلق صرخة قوية مزقت ذلك الليل الطويل

حولهم ليلتفت جبار إلى والدته التي سقط أرضاً
حين استمعت إلى ذلك الخبر المشؤوم، و الذي
كان كالبارود تفجر بقلبه بعد أن استوعب عقله تلك
الفاجرة التي حلت بهم - يصرخ كأسدا جريح

- الخونة. اقسم - أسفك دمائهم الليلة، ولن أتذكر
أي لعين من نسلهم القذر على ظهر هذه الأرض.

تعالى الهتافات و صيحات الحماس من أفواه
الرجال حين تقدم شباب العائلة إلى حلبة الرقص
وسط تصفيق حاد و تهليل كبير من كل الحضور
فتشارك العريس وأبناء عمومته الرقص بالعصا وكان
زين الدين في أبهى وسامته و قوته التي تجلت
في مبارزته مع أحد أصدقائه بالعصا والتي انتهت
بفوزه وسط صافرات إعجاب من الجميع، فأخذ
يُحييهم بحصافة و ابتسامات مُتزنة، وكان كل هذا
يحدث أمام أعين عمه الشيخ سرحان الشريف الذي
كانت عينيه على ما يحدث في الخارج و الداخل
أيضاً، و سرعان ما تنبهت جميع حواسه حين
هرول أحد رجاله إليه ليقترّب من أذنه و يتلو على
مسامعه شيئاً هاماً جعل عينيه تبرقان حتى كادت
أن تخرج من بين محجريها و ما كاد أن يتخطى ما
سمعه حتى انهال فوقهم وابل من الرصاص و كأن
السماء ثُمطر نيراناً لتتبدل أنغام الفرخ إلى صرخات
استغاثة تأتي من كل حدباً و صوب إلى أن اخترق
أسماعهم زمجرة هذا الوحش الذي صاح ملء صوته
بنبرة ترتجف لها الأبدان

- سرحان الشريف . سأجعل السماء تبكي عليك
الليلة انت و كل حقير يحمل دماء عائلتك النجسة.

دقائق تبدلت فيها الأحوال و تعالت الصرخات
تزامناً مع أصوات الرصاص التي كانت كالرعد تضم
الأذان فلم يأخذ الأمر أكثر من ثواني ليأخذ كل فرد
من عائلة الشريف موقعهم للدفاع عن عائلتهم و رد
الهجوم بآخر مُضاد أكثر شراسة و أشد قوة فكان
الأمر مُروغاً خاصةً على قلب تلك التي هاجمتها
ذكريات مُريعة ل فتاة صغيرة جافاها النوم وهي
تنتظر عودة والدها الحبيب من إحدى رحلات عمله
لتتفاجئ بأصوات جلبة في الخارج يتخللها نهنهات
بُكاء كانت لوالدتها فخرجت من غرفتها لتتجمد
قدمها الصغيرتان أعلى الدرج حين شاهدت جثة
والدها المُغطاة بالدماء و هنا كانت فجيعتها الكبرى.

- أيها القتلة. اللعنة عليكم.

هكذا هتفت حورية التي هرولت وهي تحمل ذيل
فستانها الأبيض كطفلة تطاردها الأشباح إلى غرفة
عمها لتتوجه رأساً إلى خزانته و قامت بإخراج
سلاحاً و داخلها رغبة حارقة في الثأر لوالدها الذي
حُرمت منه بسبب تلك العائلة اللعينة .

- حورية . ماذا تفعلين ؟ عودي الى هنا .

هكذا صرخت زهرة حين رأت ابنتها التي كانت
تُهرول إلى الخارج حاملة بيدها سلاحاً فهوى قلبها
دُعزاً بين قدميها، فلا قدرة لها على الخسارة مرة

أخرى لذا أسرع خلفها فما كادت حورية أن تخرج
من باب القصر حتى أوقفتها يد زهرة التي قالت
بصراخ

- إلى أين أنتِ ذاهبة هل جئنتي ؟

نزعت يدها من بين يدي والدتها وهي تصيح
بقسوة

- ابتعدي أُمي . سأخذ بثأر أبي من هؤلاء الجبناء.

زهرة بفزع

- هل فقدتي عقلك يا فتاة ؟ ألا تسمعين ؟ لقد
قامت القيامة في الخارج . هل تشتهين الموت ؟

حورية بصراخ

- لا يهمني الموت. مادمت سأنتقم لأبي.

صرخت زهرة بكل ما يعتمل بداخلها من ألم و
خوف

- من تظنين نفسك ؟ عودي إلى رُشدك رجاء، فأنا
لن احتمل خسارتك أنتِ أيضًا.

انهمرت الأمطار من بين مآقيها قبل أن تقول :

- أرجوكِ ابنتي تراجعِي. أولئك القتلة لا يُفرقون
بين رجلًا و امرأة و ما أن تحط قدميك في الخارج
فسوف تُقتلين في الحال .

كان بكاء والدتها يقتلها و رغبتها في أخذ ثأر
والدها توقد نيرانًا هوجاء داخل صدرها، جعلتها

تصرخ بقهر وهي تتراجع إلى الخلف و تهزول
إلى الأعلى لتصعد إلى غرفتها و منها إلى الشرفة
فأصابها الذعر لرؤية كل تلك الجثث التي تفترش
حديقتهم و فجأة لمعت عينيها بالحقد حين شاهدت
ذلك الرجل الوحيد الذي كانت تعرفه من تلك العائلة
يقتحم بوابة قصرهم لذا لم تتردد في التصويب
على رأسه ولكن بلحظة سمعت صرخة غاضبة لشاب
آخر

ـ انتبه جبار.

دفع الشاب هذا الوغد ليتلقى الرصاصة مكانه
والتي لسوء حظها لم تُصب سوى ذراعيه لترتفع
العيون جميعها إلى تلك العروس التي تتطاير
خصلات شعرها حولها بجنون كذلك الجنون الذي
يُحيط بهم بينما كانت يديها تُمسك السلاح ك أعنى
الرجال، فكان الأمر تحديًا سافرًا لهم، فقد أصابت
تلك المرأة أحد أضلع عائلتهم وهو جواد الفارس
ابن عم جبار الذي التمعت عينيه بشر وهو يناظرها
بينما هي تزد النظرات بأقوى منها و كأنها تتحداه
أن يُصوب عليها ليقطع تلك الحرب الصامتة صوت
صافرات الشرطة التي اخترقت اسماعهم جميعًا
ليترجع جبار ومن معه و اختفوا بلمح البصر، ولكنها
لن تنسى تلك النظرة التي حدجها بها قبل أن يذهب،
و التي جعلت قشعريرة قوية تجتاح أوصالها ليحتل
قلبها يقين بأن تلك المواجهة بينهم ستتجدد مرة
أخرى.

كانت الخسائر فادحة من كلا الجهتين، فقد كانت تلك المواجهة من أصعب المواجهات التي حدثت بينهم حد سقوط الكثير من الأرواح و خلفهم قلوب تحترق من جديد من كمد الفراق و كأن الزمن يُعيد نفسه مرة أخرى فيها هو يمشي بين الجثث التي تعود لشباب عائلته و بداخله حسرة كبيرة لا تستطع الكلمات وصفها أو التعبير عنها، ولكن كما هي العادة حين جاءت الشرطة كانت أجابته جافة مُقتضبة

_ لا نعلم من الفاعل، ولا ننتهم أحد.

زفر سرحان بغضب ليقترّب منه حسن أحد أبناء عمومته قائلاً بغلظة

_ هذه المرة الأمر كارثيًا يا شيخنا. لقد خربوا الغرس و قتلوا شبابنا بلا رحمة، و يجب الرد في اقرب وقت، فذلك الجبار تمادى كثيرًا .

رفع سرحان رأسه يُطالعه بجمود قبل أن يقول بنبرة جافة

_ لقد قُتل عمران الفارس اليوم.

برقت عيني حسن قبل أن يقول بجفاء

_ وما دخلنا نحن؟ لم نفعل شيء. اكلمنا حُديش إصبع أحدهم هاجموننا؟!

لون الغضب و الحزن ملامحه و تغضنت تجاعيده بالأسى على خسائرهم، و تلك الدائرة التي لا تنتهي أبدًا ولكن في نهاية الأمر يجب عليهم الرد في اقرب

وقت فلن يُسامح نفسه إن لم يثار لرجاله و شباب
عائلته لذا قال بقسوة:

_ لا وقت للحديث الآن فيجب علينا الاستعداد
حتى نثار لرجالنا لتسكن أرواحهم بسلام.

هل اختبر أحدكم مرارة البقاء جامدًا بينما هناك
صرخات ألم تتناحر بين ضلوعه تنازع من أجل
إطلاق سراحها الذي من شأنه أن يضم الآذان و
يذيب العظام من فرط قسوتها؟

_ اللعنة عليهم جميعًا .

هكذا صاح جواد الذي كان الغضب يأكله، و
الطبيب يُخرج تلك الرصاصة من ذراعه، و مع كل
قطرة دماء تتساقط منه كان يجز على أسنانه بقوة.
لم يكن يتألم بسبب جرحه بل لأن هذا الجرح يُعد
إهانة عظيمة نالت منه فمن أصابته امرأة!

_ كفى ضراخًا . سيُنهي الطبيب الأمر سريعًا أن
توقفت عن التذمر كالأطفال.

هكذا تحدث حكيم شقيق جواد الأكبر لـ يصيح
الأخير مُهتاجًا

_ وهل يؤلمني هذا الخدش ؟ بريك هل تظن ذلك ؟

حكيم بتعقل

– اعلم ما يؤلمك اخي ولكن حدث ما حدث . توقف
عن التفكير بالأمر حتى نستطيع التدبر بروية فيما
نحن مُقدمون عليه .

أنهى الطبيب عمله، و استأذن بالخروج ليحتل
جبار مقعده أمام الأريكة التي يتربع فوقها جواد
الذي صاح بانفعال:

– أخي. أريد الثأر من تلك اللعينة في اقرب وقت،
وإلا سأموت بذبحه قلبية أن لم افعلها.

زفر جبار بهدوء يُنافي مع جفاء كلماته حين قال:

– إذن اذهب و صوب عليها الآن. أن ظننت بأن
قتلها سيمحي عار تلك الرصاصة بدلاً من أن
يُضاعفه.

جز جواد على أسنانه فابن عمه مُحق ف المساس
بالنساء في عالمهم يُعد انحطاط أخلاقي، و عار
سيلازمه طوال حياته لذا أخذ يُطلق اللعنات
والسباب من بين أسنانه ،ليتجاهله حكيم و يلتفت
إلى جبار قائلاً برزانة:

– ألم يكن علينا الانتظار حتى التأكد من كونهم
الفاعلين جبار ؟

تجاهل حزنه الكبير على ابن عمه و قال بغلظة:

– و من غيرهم قد يجرؤ على فعلها؟

كان يملك الكثير من مميزات اسمه لذا قال بتعقل:

- أرى أنه من الغباء فعل تلك الجريمة في مثل هذا اليوم الذي كانوا ينتظرونه منذ سنوات. أشعر بأن هناك شيء غير مُريح في الأمر.

كان عقله يفض بألف ظن و رأسه يعمل في جميع الاتجاهات ولكنه كان يُخفي كل تلك الصراعات جيدًا خلف قناع من الجمود الذي شاب لهجته حين قال:

- كل شيء بين حكيم. تلك القداحة تعود لذلك الحقيير الذي هرب، ولكني لن يهدأ لي بال حتى أجده، و آخذ بثأر عمران بنفسي.

بمكان آخر بين الجبال وسط صحراء قاحلة كان هناك نمر يزأر غاضبًا :

- كيف تفعلون هذا بي ؟ هل أنا فآز لأهزب من معركة تخص عائلتي بتلك الطريقة المُخزية ؟

تراجع الحرس إلى الخلف مُرتعبين من غضب زين الذي وهو بمنتصف المعركة شعر بلسعة خفيفة آتية من الخلف أسفل عنقه وقبل أن يلتفت لرؤية الفاعل شعر بالأرض تميد به ليسقط في غفوة طويلة أستيقظ منها قبيل الفجر ليتفاجأ بأن عمه أمر الرجال بتهريبه من المعركة ليجن جنونه

- سيدي تلك كانت أوامر الشيخ سرحان ..

هكذا تحدث أحد الحرس ليقاطعه زين بانفعال:

- اخرس أيها الغبي. لا تُعيد تلك الجملة مرة أخرى.

لا أريد سماع هذه التهديدات. هيا اعطني مفتاح
السيارة سأغادر هذا المكان الآن.

كان الحارس في موقف لا يُحسد عليه فسيده
أخبره نضاً بأنه سيدق عنقه أن ظهر زين الدين قبل
أن تنتهي تلك العاصفة فهو ولي العهد لعائلته ولن
يُجازف بحياته أبداً:

- سيدي رجاء. عليك أن تُقدر موقعي لقد أقسم
الشيخ سرحان بأن يدق عنقي أن عُدت إلى القلعة
قبل أن يأذن هو بذلك.

لم يكن قاسياً فقد شُعر بقلّة حيلة الحارس الذي
يُنفذ أوامر سيده فحسب ولكنه سيُجن كيف لعمه
أن يضعه في هذا الموقف ؟ هل يختبئ مثل
النساء بينما أشقائه يُحاربون في الخارج؟

أخذ يصرخ و يُعثر أثاث الغرفة البسيط إلى أن
شُعر بالإرهاك و جلس أرضاً من فرط التعب و اول ما
جال بخاطره هو حال حورية الآن.

تفشى الرعب في نفوس الجميع والتزموا ديارهم
خوفاً من تكرار تلك المجزرة خاصة وأن كلا
العائلتين أعدت الغدة و العُتاد و بدأو التجهيزات
و الاستعداد من أجل معركة دامية سوف تجرف
الجميع في طريقها كالإعصار المُدمر، و لهذا اجتمع
شيوخ العائلات الكبيرة في المناطق المجاورة وكبار
رموز الدولة لإيقاف بحور الدماء التي كانت نتيجة
حتمية إن لم يتدخلوا لفض النزاع بين العائلتين.

ليتطوع الشيخ بدران الهاشمي أحد كبار العائلات بالمنطقة بإقامة تلك الجلسة بقصره الكبير الذي يتوسط مزرعة شاسعة تعود لعائلته، وقد اشترط الحاضرين أن تكون جلسة منزوعة السلاح ترقباً لأي انفعال قد يحدث حتى لا يتحول الأمر إلى كارثة.

- قبل أي حديث فلنقرأ الفاتحة لتسير تلك الجلسة بسلام.

هكذا تحدث الشيخ بدران و عينيه تتنقلان بين كلاً من جبار الذي كان واثقاً كالغقاب قوياً كالفهد بنظراته القاتلة و ملامحه المُتجهمة وهو يجلس مُرتدياً بذلته الباهظة مُتلحفاً بعباءة سوداء ممسكاً بمسبحته العنبرية يُقابله ذلك الذئب العجوز الذي كان يجلس براحة و هدوء يتنافى مع عينيه التي أخفت الوعيد بين امواجه الهائجة.

- عذراً يا شيخ بدران فأنا لن أقرأ الفاتحة مع قتلة أخي. انما سأقرأها على أرواحهم في القريب العاجل .

ابتسامة ساخرة لامست شفطي سرحان الذي تراجع إلى الخلف يستند على مقعده براحة وهو يقول بوقار:

- كيف لك بجمع الضدين يا شيخ بدران ؟ آل فارس و السلام لا يجتمعان أبداً .

جبار بجهامة:

- جيد انك تعلم ذلك.

تدخل الفريق مُختار (القوة الغليا في الجيش)
قائلاً بتحذير

- هلا أوقفنا هذا الحديث الذي لا يُسمِن ولا يُغني
من جوع، فهذه الجلسة معقودة لحل تلك العداوة
التي تُهدد أمن الجميع، و من غير اللائق تراشق
الكلمات أمامنا هكذا.

التفت جبار الى الرجل قائلاً بجفاء:

- أعتقد أن هذا الحديث اللائق لكونك لم تخسر
شخصاً عزيزاً بسبب أناس عديمي الشرف و جبناء!
تحدث الفريق مُختار بنبرة أكثر تعاطفاً ف مصابهم
كبير

- اعلم جيداً مدى حُزْنُكم على الطبيب عمران، و
أنا آسف لما حدث له ولكن ألا يكفي خسائر حتى
الآن ؟

تدخل الشيخ بدران قائلاً بتعقل:

- أخبرني جبار كم شخصاً خسرت في تلك
المعركة ؟

انتقلت عينيه و كلماته إلى سرحان الغاضب لِيُتابع
بتقريع:

- كم رجلاً سقط في تلك الليلة ؟ كم طفلاً يَتِم ؟
كم امرأة ترملت ؟ كم بيت غارق في الحزن والأسى

الآن بسبب ما حدث ؟

لم يستطع سرحان الصمت فهتف غاضباً:

- هذا الكلام ليس في موضعه الصحيح يا شيخ
بدران. لقد كنت احتفل بزفاف أبناء شقيقاي
الراحلان. ذلك اليوم الذي انتظرناه لسنوات، و حرم
منه اشقائي بسبب تلك العائلة اللعينة. لا يأتي ذلك
الرجل و عائلته و يُخربون كل شيء و يحولوا غرسنا
إلى ساحة حرب مليئة بالدماء.

زمجر جبار بشراسة:

- اصمت و اعرف عن من تتحدث والا اقتلعت
لسانك. اللعينين هم أولئك السفاحين الذين قتلوا
رجالاً أعزل أمثا في كوخه.

هب سرحان من مكانه هاتفاً بصوت جهوري:

- لم نفعلها، و لسنا سفاحين ايها الوغد.

كانت إهانه عظيمة جعلت ملامح جبار تتحول الى
أخرى مُخيفة بعد أن أظلمت عينيه كليل حالك لا
نجوم فيه، و هب من مكانه كالفهد لا يتأهب الرجال
و يُحاصرونه وهنا هتف الفريق مختار قائلاً بحدة:

- عبد الجبار.

كان مظهره في تلك اللحظة مُرعباً بحق بعد أن
شوه الغضب ملامحه الوسيمة، و نفرت عروق رقبتة
وصدغيه كما احتدت نظراته إضافة إلى ضخامة
جسده فبدا كالوحش إلا أن سرحان لم يهتز أبداً

فتابع مُختار حديثه قائلاً بجفاء:

- ما يحدث عيب وعدم احترام للجميع. هيا اجلس جبار.

تدخل في الحديث صفوان السليمانى زوج خالة جبار و كبير عائلة السليمانى :

- العيب على من اخطأ و أهان كبير الفارسية ،و يجب أن يُعاقب على تلك الإهانة الفادحة.

كلماته كوقود أنساب بخسة فوق بُركانٍ مُشتعل
ليجز جبار على أسنانه، و كاد أن يهجم على سرحان
الذي بقى صامداً ف أوقفته كلمات بدران الغاضبة:

- توقف الآن يا عبد الجبار. لا يجب أن تخترق
قواعد المجلس بتلك الطريقة.

أنهى جملته والتفت يُناظر صفوان بغضب تجلى
في نبرته حين قال:

- هل نسيت قواعد مجالسنا يا صفوان ؟

صفوان بلهجة هادئة :

- لا لم أفعل ولكن..

قاطعهُ الفريق مختار بجفاء:

جيد انك لم تفعل، والآن فليُعد كل شخص الى
مكانه الآن لنبدأ.

تراجع جبار احتراماً و ليس خوفاً و احتل مقعده
ليتولى الشيخ بدران دفة الحديث قائلاً بوقار:

– أيا كان المخطئ فلم يغد يفلح الأمر هكذا،
ويجب علينا إيجاد حل قاطع لاقتلاع تلك العداوة
من جذورها.

صفوان بسخرية:

– و ما الذي من شأنه صنع هذا يا شيخ بدران ؟ هل
تملك العصا السحرية، أم ماذا؟

تجاهل بدران كلمات صفوان المسمومة و قال
بجدية:

– طفل يحمل دماء العائلتين.

التفت الرقاب جميعاً إلى بدران و كان جبار أول
المُتحدثين حين قال بجفاء:

– ما هذا الهراء ؟

تجاهل بدران استفهامه وقال بنبرة حادة:

– الحل الوحيد لفض تلك العداوة هو الفصاهرة
بين آل شريف و آل فارس، و إنجاب طفل يحمل
دماء العائلتين و هكذا سثُصبح دمائهم مُحرمّة على
بعضهم البعض.

صدمة خيمت على جميع الحاضرين ،ليس لكون
هذا الحل فريد من نوعه ،بل لكونه آخر شيء في
العالم متوقعاً أن يحدث بين هاتين العائلتين، فهل
يوجد وعاء في هذا العالم يُمكنه أن يضم النار مع
الجليد ؟

هب سرحان من مكانه وهتف بغضب:

- هذا غير مُمكن. لن أسمح بحدوث هذا الشيء أبداً. لن نُعطي أو نأخذ من أولئك القتلة اي شيء.

تحدث الشيخ بدران بحكمه لا تخلو من الحزم:

- هذا هو الحل الوحيد يا شيخ سرحان، فأنا لا أظن انك تريد خسارة المزيد من رجال عائلتك !

تعاظم الجنون بداخله ليهتف بشراسة:

- أنا من لي الحق هنا، و هذا الرجل هو من سيخسر هو و عائلته وليس نحن.

على الرغم من سخطه الكبير على ذلك الاقتراح الغبي، ولكنه كان بارعاً في إخفاء ما يجول بعقله، فبدا هدوئه مُستفز كثيراً لسرحان الذي جن جنونه لذا تحدث بدران بحكمة:

- أرى أن نأخذ استراحة قصيرة ليلتقط الجميع أنفاسه.

- لماذا انت صامت جبار ؟ لم أراك تُعلق على هذا الهراء الذي تفوه به بدران؟

هكذا تحدث جواد ساخظاً فأجابه عبد الجبار بخشونة:

- لا يستحق الأمر الحديث به. لذا تركتهم يُثرثرون.

حكيم بتعقل:

- على الرغم من أن هذا الخيار دائمًا كان في
صدارة الاقتراحات لفض العداوات بين العشائر،
ولكنني تفاجئت أو لنقل أن الأمر كان صادمًا لي في
البداية.

جواد بتهكم :

- صادمًا في البداية! وماذا عن النهاية يا فيلسوف
القرن الواحد والعشرون؟!

تجاهل حكيم سخريته و قال باختصار:

- أمّا يستحق التفكير به.

برقت عيني جبار حين التقت بخاصة حكيم الذي
لا يزال على ثباته ليهتف جواد بصدمة سرعان ما
تحولت إلى غضب كبير حين قال:

- هل انت في كامل وعيك حكيم ؟ ماذا تقول ؟

ادخل جبار مُنهياً الجدل قبل أن يبدأ:

- انهي هذا الجدل الآن، و دعونا ننتهي من تلك
الجلسة أولاً. ثم سـ يحين وقت الحديث بعدها.

تفرقت المشروبات و أشهى المأكولات و الحلويات
بين الجميع ليقترّب بدران من سرحان قائلاً بتعقل :

- شيخ سرحان أرى أن تُفكر بجدية في أمر
الفصاهرة بينكم و بين آل فارس، فهذا الشيء
الوحيد الذي من شأنه أن يُنهي تلك العداوة إلى
الأبد.

لا يزال سرحان غاضبًا و خاصةً حين جاء بدران على طرح الأمر مرة أخرى لذا قال من بين أسنانه :

- ماذا تقول يا شيخ بدران؟ أولئك الخونة السفاحين لا أستطيع أن أضع يدي في أيديهم أبدًا.
بدران بحكمة:

- للأسف أنت مُجبر على ذلك. فقد وجدوا قداحة الطبيب زين الدين بجانب جثة ولدهم، و أي شخص في موقفهم كان سيفعل ما فعله جبار و أكثر.
سرحان بيأس :

- لم يفعلها. اقسم لك على ذلك.
- لا يوجد ما يُثبت صحة حديثك، و أيضًا الأمور تزداد تعقيدًا بينكم لذا أرى أن توافق على ميثاق السلام الذي وضعناه.
سرحان باندهاش:

- ماذا؟ ماذا تعني بـ ميثاق السلام ؟
- لقد أعددنا ميثاق أسميناه ميثاق السلام يتضمن بنودًا صارمة يجب الإلتزام بها من جانب كلا العائلتين .

هكذا تحدث بدران بعدما تم إستئناف الجلسة من جديد ليهدف صفوان بسخرية:

- أيعقل هذا الكلام ؟ أي ميثاق وأي سلام يُمكن أن يُعقد بين أيادي مُلطخة بالدماء ؟

تولى الفريق مُختار الإجابة هذه المرة قائلاً
بصرامة يشوبها التحذير:

- هذا الميثاق لتنظيف تلك الدماء ولا يُسمح لأحد
بالتدخل وإلا اضطّررنا لجعل الجلسة سرية.

مُجبّراً اضطّر صفوان إلى التزام الصمت ليبدأ
بدران الاسترسال في الحديث من حيث توقف:

- أهم بنود هذا الميثاق هما المُصاهرة و الشراكة.

جبار بخشونة يشوبها السخرية:

- أن تغاضينا عن المُصاهرة، فهل لك أن تشرح أمر
هذه الشراكة ؟

اجابه بدران بسلاسة:

- تعني الشراكة في العمل. بمعنى أدق ستبيع
محصول الزيتون خاصتكم لعائلة آل شريف هذا
العام، و بالمقابل سيبيعكم الشيخ سرحان محصول
الكرز.

لم يستطع جواد الصمت أكثر فهتف حائفاً :

- عُذراً على المُقاطعة يا شيخ بدران، ولكن هل
لك أن تُجيبني إذا سمحت. لو قُتل أحد اولادك هل
كنت ستجلس بتلك الراحة هكذا و تتحدث عن
أمر الشراكة و إنجاب الأطفال من تلك العائلة التي
تلوثت يدها بدمائه ؟

كان استفهاماً ثقيلاً على الجميع فلم يستطع

سرحان الصمت أكثر لذا قال بغضب:

- لم نفعلها. هل اقولها للمرة المائة حتى أقجمها
داخل رؤوسكم ؟

تدخل جبار بجفاء و نبرة حادة كالسيف:

- اذن كيف وصلت قداحة ابن أخاك إلى موقع
الجريمة؟ ولما هرب ليلة المعركة إن لم يفعلها ؟

تعمد جواد اللعب بالكلمات حتى يُغضب سرحان و
يُحقر من شأنه أكثر فهتف بصدمة مُفتعلة:

- لا تقل هذا جبار. هل هرب ولي العهد و ترك
عائلته تُقاتل؟! وماذا عن عروسه هل اخذها معه أم
تركها أيضًا ؟

تعاظم غضب سرحان من ذلك الوغد وكلماته
الحقيرة، ولكنه كان ذئب ماهر لا يُستهان به لذا قال
بجفاء:

- زين الدين الشريف لا يهزب أبدًا يا ولد، و عند
ذكر عروسه فأنت أكثر من يعلم أن كان تركها أم لا ؟
فقد منحتك وسام آل شريف.

كان يُشير بعينه إلى تلك الرصاصة التي أصابته
بها حورية فقد كان ذراعه لا يزال مُعلقًا برقبتة التي
انتفخت عروقها من فرط الغضب؛ ليتدخل جبار
مُلقيًا قُنبلته بعد أن حسم قراره سالكا طريقة أخرى
في الانتقام :

- حسنًا. قبلت بـ ميثاق السلام خاصتكم، و أود

الآن أن أطلب من الشيخ سرحان يد عروسهم التي
خربنا زفافها ذلك اليوم.



الميثاق الثاني

عادةً لا تكون الحياة عادلة مع الجميع، و خاصةً حين تضع الإنسان في مواجهات لا تكفي طاقته لفجابتها، و لا يرتضي كبريائه الهرب منها، و نظرًا لأن جميع الطُّرق موحشة و نهايتها مجهولة المصير، فلا مفر من المقاومة ف عزة الفناضل الشهادة و بنس النضال الاستسلام.

صرخة غاضبة شقت جوفها حين سمعت عن أمر ذلك الميثاق الذي كان بنظرها مجرد عبث ليس إلا: - أخبرني أنك تمزح. بربك يا عمي لا تقل أنك وافقت على هذا العبث ؟

كان سرحان يُطالِعها بصمت مُشجب فهو أكثر من يعلم ما يدور بداخلها من ألم و غضب و رفض لما يحدث، لذا ظل يُناظرها بوجوم حتى تُخرج ما بداخلها فهتفت بغضب يلونه القهر:

- أي ميثاق يُعقد مع خائن ؟ و أي سلام يُمنح لقاتل ؟

طال صمته فهتفت بتوسل قلما يتخلل نبرتها :

- أجبن رجاء ؟

أخيرًا تحدث سرحان قائلاً بجفاء:

- اعلم كل ما يدور بداخل عقلك و قلبك أيضًا يا ابنتي، و لكن للأسف لم يكن في مقدوري الرفض.

ارتفعت لهجتها للحد الغير مسموح به:

- كيف؟ كيف لم تستطع الرفض؟ هل باستطاعتك وضع يدك بيد قتلة أبي و عمي؟

تدخل مصطفى الابن الأكبر لسرحان مُحذراً:

- اهدئي حورية و اخفضي صوتك. لم يكن هناك اي خيارات أمامنا سوى القبول.

تعاظم الألم بصدرها مولداً شحنات غضب هوجاء تخللت نبرتها حين قالت:

- اي قبول يا مصطفى؟ تأتي و تقول لي سنعقد ميثاق سلام بيننا و بين من قتلوا أعمامك و سمموا حياتنا لأعوام ثم تُخبرني أنه لم يكن هناك اي خيارات أخرى! أليس الأمر مُضحكاً؟

كانت الشفقة هو الشعور الطاغي على تلك الفتاة التي لم تسمع من القبيلة سوى فتيل اشتعالها، ولا تعلم بأنها قريباً ستنفجر بصدرها لذا تجاهل سرحان غضبها وقال بنبرة هادئة:

- لقد وضعنا هذا الرجل في مأزق حين وافق على اقتراحهم؛ ليصبح أمراً واقعاً أن رفضناه سنكون نحن الجهة الباغية التي تريد إراقة الدماء، و سَنُطبق علينا عقوبة المجلس، إضافة إلى أننا سنخسر دعم العشائر من حولنا.

زفر سرحان بغضب حين رأى الرفض بعينيها
والأسى يلون ملامحها فتابع بتجهم

_ لقد فاجئني قبوله . اعلم جيدًا مدى الكره الذي
يحملة لنا، و قد ظننت أنه حتمًا سيرفض، ولكن ذلك
الرجل ماكر كالثعلب. لا تعرفين ماذا يدور في رأسه
وبما يُفكر ؟ لقد حشرني في الزاوية و لم استطع
الرفض.

تجاهلت تلك الغصة التي نشبت مخالبا في
صدرها وقالت بنبرة جافة:

_ إذن و هل قررت من العريس الذي ستضحون به
و سيأخذ ابنتهم ؟

جاءت اللحظة الحاسمة لنزع فتيل القنبلة لذا عبأ
سرحان صدره بالهواء قبل أن يقول بغموض يُثقله
الغم:

_ لا يا بُنيتي لن نأخذ منهم عروس. بل سنُعطيهم.

ران عليهم صمًا ثقيل، و توقف الكون كله عن
الدوران في تلك اللحظة و انحبست الأنفاس
بصدرها وهي تُناظره و حديثه يطن برأسها لتتوسع
حدقتها حين أطلق سراح كلماته التي تراشقت
بصدرها كالرصاص :

_ لقد طلب جبار الفارس يدك للزواج.

- رجاء أخبرني الآن ما هذا الجنون الذي يحدث ؟
هل ستضع يدك بيد أولئك القتلة جبار؟ و ستتزوج
من ابنتهم تلك اللعينة التي..

قاطع جبار بصرامة :

- كف عن الصياح جواد، و لا تتماذى أكثر في تلك
الغوغاء، و لتستخدم عقلك قليلاً في التفكير.

كان الأمر صادماً للشقيقين ،ولكن لا يستطيع أحد
منهم أو من باقي العائلة معارضته فهو كبيرهم و هم
يحترمونه كثيراً بل و يكونون له المحبة، ولكن كان
الأمر لا يُحتمل بالنسبة لذلك الجواد الثائر الذي لا
يزال جرح فراق صديقه و ابن عمه يؤلمه، فلم يمر
إلا شهراً واحداً على رحيله لذا انسحب غاضباً من
المكان بأكمله ليتحدث حكيم بهدوء :

- اعلم انك ما قبلت هذا الأمر إلا لسبب قوي
جبار،لذا هلا أعلمتني به؟

التفت جبار يتربع خلف مكتبه وهو يقول بقسوة

- لا يهمني في تلك العائلة سوى ذلك الحقيير زين
الدين، و الذي لن يُخرجه من مخبأه سوى ذلك النبأ
بزفاف عروسه إلى بيت ألد اعدائه.

انبهر حكيم لحظياً بمخطط جبار ولكنه تابع
باستنكار

- و ماذا لو خرج ؟ لا تقل لي انك ستخرق ميثاق
السلام هذا ؟ فليس الغدر من شيمك.

جبار بقسوة

- ليس من شيمي ولكن عديمي الشرف أمثاله
يجري الغدر بدمائهم، و أنا واثق أنه حين يصل إليه
ذلك الخبر هو من سـ يخرق ذلك الميثاق اللعين و
حينها لن يُنقذه أحد من يدي، و سأثار لعمران و من
سبقوه على يد تلك العائلة.

او ما حكيم برأسه قبل أن يقول بتوضيح
- باختصار ستقوم باستفزازه لتأخذ بالثار.

جبار بجفاء

- ليس هذا فقط. بل ستكون تلك السقطة بداية
نهايتهم، فسيرى الجميع من منا يهوى إراقة الدماء،
و حينها سيخسرون دعم العشائر و سَطبق عليهم
عقوبات المجلس.

لم يكذ يُنهي حديثه حتى فوجيء بأقتحام والدته
الغرفة وهي تقول بحدة

- هل صحيح ما سمعته جبار ؟ هل سَتحضر ابنة
القتلة إلى ديارنا ؟

تقدم جبار إلى والدته يُمسك بكفها و يُقبله باحترام
قبل أن يقول بنبرة هادئة

- أرى أن السيدة فيروز الفارس لا يفوتها شيء
أبداً.

وجهت فيروز أنظارها إلى حكيم قائلة بجفاء :

– هلا تركتنا وحدنا قليلاً ؟

غادر حكيم لكي يُفسح لها التنفيس عن غضبها
و ثورتها و ما أن أغلق الباب خلفه حتى اندفعت
الكلمات غاضبة من بين شفثيها:

– أرى الغضب و الحزن يتأرجحان بعينيك جبار.
لذا لن تخدعني نبرتك الهادئة تلك. هيا أجبني كيف
تفعل ذلك ؟

جبار بجفاء:

– ليس هناك طريقة أخرى للتأر سوى هذه الطريقة.
هتفت فيروز بحنق:

– بتلك الطريقة انت تتأر منا لا منهم بني. كيف سـ
نحتملها أخبرني ؟ كيف سـ تحمل تلك المرأة اسم
جبار الفارس ؟ هل سنتغاضى عن عائلتها و نمنحها
الاحترام الذي يليق بزوجة كبير عائلة الفارس ؟
أم سنعطئها قدرها من الاحتقار الذي يليق بابنة
القتلة ؟

صمتت لثوان قبل أن تُتابع:

– انت تضعنا في مأزق كبير إضافة إلى مصابنا
الآليم، فمن رحل ليس ابن عمك إنما أخاك.

تناثر الغضب من بين مآقيها إضافة إلى الألم الذي
تجلى في نبرتها حين قالت:

– أخبرني كيف سأقف أمام سوسن بيوم الحشر و

أنا سمحت لابنة قتلة ابنها بأن تعيش تحت سقف بيتي، و تحمل احفادي ؟ لقد عاهدتها وهي على فراش الموت بأن أربيه ك أولادي و اعتني به. لقد انشق صدري برحيله، و كأي فقدت احد بُطينان قلبي. كيف لا تفهم ذلك ؟

وهل لا يفهم حقًا ؟ فهو أكثر من يفهم ذلك الوجد و يعرفه كل المعرفة ،فهو محفور بصدرة الذي لا يزال ينزف منذ تلك اللحظة التي علم بها خبر موته إلى الآن.

كان الألم بداخله كالوحش يتغذى على روحه التي ستظل تتعذب الى أن يأخذ ثأره من أولئك القتلة، وعلى الرغم من هذا الكم الهائل من المشاعر التي يحملها داخله ،فهو خارجيًا صلب كالفولاذ شامخ كالجبال، وكيف يهتز أو ينحني و عشيرة بأكملها تستند عليه ؟

- إذن أخبريني ما الصواب و سأفعله . اعتقد يأنك علمت ما حدث في المجلس. هل لك بأن تُفيدني أن كنت تملكين حلًا آخر ؟

وضعها وجهًا لوجه مع الواقع الأليم الذي يتصدى هو له، و جعلها تشغُر بالحيرة التي قلما تظهر عليها، فهي سيدة قوية ذو حكمة بالغة و شكيمة تفوق رجالًا كثيرين، ولكنها الآن تشغُر بالعجز ربما الحزن هو سببه أو الغضب أو الكره . تعددت الأسباب و لكنها توقفت أمام حقيقة مُروعة بأنه لا مفر من

تنفيذ ذلك القرار الذي رغم صوابه شائن!

اقترب جبار من والدته و اجلسها فوق الأريكة التي
تتوسط غرفة مكتبه قائلاً بلهجة هادئة:

- اهدئي أمي، فوالله لن يحدث سوى ما نريد، وانا
اعلم جيداً كم أن الطريقة التي سيحدث بها مؤلمة
و لكن في نهاية الأمر علينا التحلي بـ الصبر حتى
ننتهي من أمر اولئك الخثالة إلى الأبد.

استجمعت جاشها قبل أن تقول بنبرة جافة

- كما تريد جبار . سأساندك كما اعتدت، فلتذهب و
تأتي بابنة القتلة إلى هنا، و سوف أريها ما تستحقه
هي وعائلتها الحقيمة.

أنهت حديثها و هبت مُغادرة بينما هو لم يُعلق على
ما قالتة فقد كان يعلم جيداً مقدار غضبها، و أيضاً
يعلم أن أمنية والدته لم تكون سهلة التحقيق، فتلك
المرأة التي تستطيع أن تروض فرساً و تحمل سلاحاً
و تصوب على رجلاً بتلك الدقة حتفاً ليست امرأة
عادية و بالتالي ليست خصماً سهلاً أبداً.

بعض الحقائق قد تُنجينا و بعضها قد يودي بنا
إلى الهاوية، ونحن حائرون لا نعرف أي درب علينا
المضي به ؟ و كيف نمضي حاملين تلك الأثقال
بقلوبنا ؟ ف الأفواه مُكمنة و الكلمات أغواها الصمت
فتواترت خلف بهتان مزعوم بأن غض البصر عن

الظلم نجاة منه، و العقول وجله أمام ظرقات تبدو
مُوحشة ، مجهولة الأمد ، و مغبة الخطأ خسائرها
فادحة ، فكيف ننجو ب أرواحنا و قاطنيها من دوائر
الغدر المغموسة ب سموم لا ترياق لها؟

تربعت على مخدعها بقلب مُثقل بآلم عظيم لا
يُمكن وصفه، فما يحدث معها هو دربا من دروب
الجنون!

أن تُصبح عروسا لأكثر شخص تمقته بحياتها، و
أن تُصبح الكنة الأولى لتلك العائلة التي إن انتهت
الفرصة لن تتردد في إحراقهم أحياء. أي عقل هذا
الذي يستوعب تلك القنبلة التي فجرت حياتها
فقلبت رأسا على عقب؟ وهي كالعادة تقف بدور
الفتفرجة، ففي السابق لم تعترض على زواجها
من زين ابن عمها الذي تم الاتفاق عليه وهي جنين
في رحم أمها، و عزائها الوحيد هو أنها تعتبره
صديقها الوحيد و تُقدره كثيرا و أيضا هو يحمل لها
الكثير من الود، و لكن الآن كيف لها أن تنصاع لتلك
الفرمانات التي تؤدي بحياتها إلى الهلاك؟

كيف تقبل أن تغفو بين شياطين الجحيم التي
حرمتها من والدها في الماضي، و من صديقها و ابن
عمها و زوجها في الحاضر، و الأدهى من ذلك ذلك
الوريث الذي ذكره مصطفى ابن عمها في الأسفل،
ولكن لشدة صدمتها لم تكثر له ! أي جور يُرتكب

في حقها الآن ؟

احتقنت دماء الغضب والقهر في جسدها و
بداخلها لعنت ذلك الغبي الذي تصدى لـ رصاصتها و
منعها من اختراق ذلك الرجل الرمادي الذي لازالت
تتذكر لقائها به منذ أكثر من خمس سنوات، و الذي
كلما مر على خاطرها تشعر بكرهها و نفورها منه
يتضاعف أكثر.

عودة إلى وقتاً سابق.

لكل منا طريقته في إسعاد نفسه، و كان سبيلها
الوحيد في السعادة هو هروبها من أسر العائلة و تلك
العادات والتقاليد التي تُحكّم الطوق حول أعناق
فتياتها، و العدو بفرسها في تلك البقاع النائية تاركة
خلفها كل شيء يُمكنه أن يُقيد حُربتها التي ظاهرياً
كانت تتمتع بها بينما الحقيقة أنها خاضعة لقدرها
المحتوم الذي أبرمت نصوصه قبل أن تُبصر هذه
الحياة.

تلك اللحظات التي تسرقها من الحياة بين أحضان
الطبيعة ؛ لـ تعباً صدرها بأكسجين الحرية كانت
اسعد لحظاتها على الإطلاق، و كانت أكثر ما تشواقه
في تلك الضيقة التي لا تأتي إليها إلا مرة واحدة
في الشهر لرؤية عائلتها، و بعدها تذهب إلى المدينة
لممارسة عملها ك مهندسة معمارية.

كان يقود سيارته في الصباح الباكر عائداً من سفرة
طويلة فإذا به يسمع صهيل فرس في تلك

البقعة النائية على طرف بلدتهم ليتفاجأ بامرأة
تمتطي حصاناً و تعدو به بسرعة كبيرة تاركه ذرات
الهواء تعبت في خصلاتها التي كانت تتطاير حولها
بجنون لا تنطلق و كأنها هاربة من الأسر، فلم يستطع
مقاومة فضوله و توجه خلفها خاصة و أن امتطاء
المرأة الفرس ليس أمراً اعتيادياً في منطقتهم.

أخذ الفرس يعدو بحرية تقوده تلك الحورية التي
تُخفي ملامحها خلف قناع قماشي يحجب وجهها ما
عدا جبهتها و عينيها التي تُحاكي السماء في زُرقتها
الصفية و روعتها في هذا الصباح، لتنطلق عابرة
ذلك الجسر دون الانتباه لتلك العينين الرمادية التي
حاصرتها بين سحبها المُلبدة بالغضب فكيف لا امرأة
من عشيرتهم أن تمتطي الفرس و تخرج هكذا دون
اعتبار أن يراها أحد؟ و فجأة برقت عينيه حين
شاهد تلك الأفعى التي كادت أن تقرص الفرس الذي
جن جنونه فضاغف سرعته لتخرج صرخة مفزوعة
من تلك التي شعرت بطنين الخطر يدق في عقلها، و
ارتجفت يدها المُمسكة بالسرج حين شعرت بأنها لم
تعد تملك زمام السيطرة على الفرس.

لحظات من الرعب عايشتها، و بلحظة شعرت
بالضعف يسري بجسدها و كاد السرج أن ينفلت من
يدها لتغمض عينيها بفزع وهي تعلم بأن نهايتها قد
أزفت، و فجأة لا تعلم ماذا حدث لتجد نفسها لازالت
على الفرس ولكن مُحاطة بيد قويه ضخمة تُطوق
خصرها بقوة و باليد الأخرى تُمسك لجام الفرس

بصلابة. تسارعت أنفاسها و تعالى طنين دقاتها
بينما العقل لا يُميز أن كان ما تعايشه الآن حقيقة أو
خيال! إلى أن استمعت لـ صوتًا جاف ذو نبرة خشنة
و لكن عميقة يقول بجانب أذنها
- اهدئي.

لا أراديا التفت رأسها لـ تتصادم النظرات للحظة
كان وقعها مُغاير للطبيعي فقد اشتبكت سمائها
الزرقاء بذلك الرماد الداكن بين حدقتيه لـ تتولد
بداخلها قشعريرة غريبة جعلت رجفة قوية تضرب
سائر جسدها الذي انتفض أسفل يديه حين أحرقتها
أنفاسه المتوهجة لـ تفتن إلى قربها منه الذي
تخطى حدود المسموح به.

أعادت رأسها مرة أخرى إلى الأمام تنظر إلى
الأرض التي بدأت تتضح معالمها، فقد ابطأ الفرس
من سرعته بعد أن أحكم زمام سيطرته حوله لـ
يتوقف تدريجيا وتبدأ انفاس حورية بالهدوء،
خاصةً حين شعرت به يقفز من فوق الفرس ولكن
هدوئها لم يدوم فقد وجدت نفسها تطير في الهواء
و تصطدم قدميها بالأرض الصلبة ليتخلى عنها ذلك
القناع الذي ترتديه و يكشف عن باقي ملامحها
الفاتنة بأنفها الدقيق الذي كان مُرتفع قليلاً يعلو
ثغر مُمتليء يُشبه قوس كيوييد بلونًا ورديًا كتلك
الوردات المنثورة فوق خديها المُمتلئين و أخيرًا
ذقن رفيع يذل على قوة صاحبتة، فكانت هيئتها
بأكملها كـ قصيدة رائعة عن الجمال ولكنه حاول ألا

يتأثر بتلك الكتلة الفاتنة التي أمامه و هتف بـ صوتاً
غليظاً يُعنفها ولم يمنحها الفرصة أن تسترد أنفاسها
الهاربة بل امطرها باحتقار يتساقط من عينيه و بين
حروف كلماته القاسية

ـ هل فقدتي عقلك يا امرأة؟ كيف تفعلين ذلك ؟

حاولت الثبات أمام غضبه الضاري وتقول بنبرة
مُهتزة بعض الشيء

ـ وما الذي فعلته ؟

جبار بفضاظة و صوتاً عالي حد اختراق سمعها

ـ تخرجين من بيتك، و تتمطين الفرس لـ تجوبي
بقاع معزولة من المنطقة، ثم تحاولين قتل نفسك
كل هذه الأشياء الفُعبية و تسألين ماذا فعلتي ! أي
امرأة مُحترمة قد تفعل ذلك ؟

قال جملته الأخيرة بتهكُم ساخر جعل ذرات
الغضب تتشكلان أمام ناظريها، ف تلبدت سمائها
الصفية بغيوم الحنق الذي تغلغل في نبرتها و بين
كلماتها حين صاحت بشراسة

ـ اسمع يا هذا. لا اعرف من انت ولكن يجب عليك
أن تعرف من انا لتتعلم كيف تُحادثني. انا حورية آل
شريف التي إن فعلت العيب يُصبح شرف يُصفق
له الجميع لذا لا تُفكر حتى بلومي، و لتذهب إلى
الجحيم بفكرك المُتخلف هذا.

بُترت كلماتها حين احتدت نظراته و احترق رمادها

بنيران الغضب الذي سكن ملامحه و احتل قسما
وجهه حين علم هويتها فقرر تلقينها درسا قاسيا لا
تنساه بحياتها لذا أخذ يتقدم منها بخطوات وئيدة
بثت الذعر إلى صدرها وخاصة حين أتاها صوته
القاسي وهو يقول

- لا عجب إذن في ارتكابك كل تلك الأغلاط! و هل
ابنة آل شريف يُنتظر منها غير ذلك؟!

لا تعلم كيف كُتِمت الحروف بفمها في تلك اللحظة
ليُتابع بصوتًا جارح كان وقعهُ أقسى من الصراخ

- ولكن أتعلمين؟ لقد أثرت إعجابي! شجاعتك
الواهية تلك تجعلني أندesh حقًا، فحتى رجال
عائلتك لا يملكون تلك القوة، ولا يعرفون المواجهة.
لذا سأتركك تُفادين سألمة.

من فرط الغضب احتدت عينيها حتى كانت
تحرقها بشدة فقد علمت هوية ذلك الوغد الذي
لن تدعه يُسجل انتصارًا فريدًا عليها لذا رسمت
ابتسامة ساخرة فوق ثغرها التوتي قبل أن تقول
بنبرة صبغتها بالاحتقار

- يا الهي . هذه الدرجة عائلتي تُشكل هاجسًا
كبيرًا لك؟! ولكن اتعلم؟ وددت أن أخبرك أمرًا هامًا
بخصوص رجالنا.

رغمًا عنه جذبت انتباهه بشباتها و قوتها و أيضًا
جمالها مما جعل جميع حواسه تنتبه لوجودها
ليتفاجأ حين قالت بكُره شع من بين كلماتها

- رجال عائلتي لا يواجهون الا أمثالهم من الرجال
أما أشباههم ف مواجهتهم عار لا يليق بنا.

كانت و كأنها تبصق الأحرف من فمها إضافة الى
كلماتها التي تضمنت إهانة حرفية له و لعائلته
ولكن لسوء حظه كانت امرأة، فلو نفذ ذلك العقاب
الذي يدور برأسه الآن بفصل رأسها عن جسدها لـ
التصق به العار و بعائلته أبد الدهر لذا مارس سيطرة
حديدية على غضبه و قال بنبرة كانت ك إنذار
الحرب

- اغربي عن وجهي الآن، و عودي الى ديارك في
الحال.

همجية أنفاسه و ملامحه التي احتلها غضب
مقيت شوه وسامته الفذة كل تلك الأشياء كانت
إنذارات جعلتها تتساءل اي عاصفة ستهب بوجهها
الآن؟ ولكنها لأول مرة ستنسحب من معركة حتى
تظفر بحياتها فما أمامها ليس سوى وحشاً قد ينشب
مخالبه في صدرها بأي وقت وما أن التفتت تنوي
المغادرة حتى أتاها صوته القاسي حين قال من بين
أسنانه

- عليك أن تكوني ممتنة لكونك امرأة، فلو كنت
رجلاً لما غدت إلى بيتك بنفس ذات الوجه.

عودة للوقت الحالي

تباين الشعور بصدرها ما بين غضب، و خوف، و

حزن لا ينتهي فما تحمله على عاتقها ليس بالهين،
ولا تملك رفاهية الصراخ رافضة لهذا الوضع. تطن
الاستفهامات بعقلها كالدباب و تتعالى صيحات
الاستنكار بقلبها الذي لم يحتمل وجودها معه
لدقائق و تولدت بداخلها رغبة كبيرة في قتله فكيف
أذن يُمكنها احتمال ذلك البغيض الباقي من عمرها؟

ف الانفصال خيارًا ليس مطروخًا بمجتمعهم، و
التفكير به يُعد مُجازفة كبيرة قد لا تتحمل عواقبها.

زفرة قويه شجت جوفها و لأول مرة تُطلق سراح
ضعفها ليتدفق من بين مآقيها، فقد قُدت نهايتها
بشواظ مُشتعل وهي الوحيدة التي ستحترق به

— حورية. شقيقتي. هل ما سمعته صحيح ؟

هكذا اندفعت مُهرة شقيقتها الصغرى حين سمعت
بما حدث لينتفض قلبها جزعًا و يجرها الى حورية
التي ما أن رأتها حتى كففت عبراتها و ارتدت قناع
الصلابة و الجمود لثجيبها باقتضاب

— نعم صحيح.

سقطت مُهرة جالسة على السرير بقربها وهي تقول
بشفة مُرتجفة من فرط الذعر الذي انتابها في تلك
اللحظة

— كي. كيف هذا ؟ هل ؟ هل ستذهبين عروس
لأولئك القتلة ؟ أنه يُعد إنتحارًا !

توغر قلبها و احتدت معالمها بعد أن نحت أحزانها

جانبا لتتهف بنبرة قاسية

- لا بل جهاد.

مُهرة بصدمة

- ماذا ؟ ما الذي تقولينه ؟

نصبت عودها الأهيف لتقف أمام طاولة الزينة
خاصتها وقد أوقد الانتقام نيرانه الضارية في
مُقلتيها لتثور أمواجها بغضب تعانق بالقسوة في
نبرتها حين قالت

- سأخذ بثأر والدنا و جميع من فقدناهم بسبب
تلك العائلة لهذا اقول لك لا يُعد إنتحار بل جهاد .
عبأ الرُعب صدرها و هالها مظهر شقيقتها لتتهف
قائلة بتيه

- حورية لما أصبحت هكذا ؟

- كيف أصبحت ؟

هكذا استفهمت بجفاء لثجيبها مُهرة باستهجان
- أنتِ الآن مختلفة عن تلك الفتاة الرقيقة الهادئة
التي اعرفها. لا أظن تلك الأفكار المظلمة تناسبك.
اتمنى لو تخبريهم بأنك غير موافقة على هذه
الزيجة وحسب.

حورية بنبرة جافة يشوبها التحسر

- وهل أملك تلك الرفاهية برأيك ؟ قُضي الأمر و
كالعادة هم يُخططون و نحنُ مأمورون بالتنفيذ

فقط.

_ لا يا ابنتي. ليس صحيحًا، و لن أوافق على تلك المهزلة.

هكذا تحدثت زهرة بقهر لامس زوايا عينيها
فأمطرت وجعًا يُحاكي وجع قلبها الذي لا يحتمل
الخسارة مرة أخرى لتقترب منها حورية بقلب يئن
ألفًا و حسرة على تلك المرأة التي لم تُكتب لسعادتها
أن تكتمل يومًا

_ اهدئي أُمي. الأمر لا يستحق كل هذا الحزن.

هكذا تحدثت حورية بثبات مُضاد للوعة قلبها الذي
كانت زهرة أكثر من يشغُر به لذا هتفت بغل

_ يستحق. حين يصل الأمر إليك ولشقيقتك إذن
الأمر يستحق، فليذهب سرحان و يزوجه ابنته. له
كامل الحرية في ذلك، ولكنني لن أضحي بك أبدًا من
أجل سلامهم، ولو كلفني الأمر بإشعال ألف ثار بين
الجنوب بأكمله.

لا تعلم لما عُرسَت بذور الأمل بقلبها من جديد و
استفحلت في تربته حين أردفت زهرة بقوة

_ سأحادثه، و أنتِ ليس عليك التفكير بالأمر حتى.

مفهوم ؟

اومات حورية ياذعان

_ مفهوم أُمي.

- ليس الأمر بهذه السهولة يا أم حورية.

هكذا تحدث سرحان بجفاء موجهًا حديثه إلى
زهرة التي انتفضت من مجلسها لتقول بلهجة حادة
بعض الشيء

- ولما ليس سهلاً؟ الآن أسيل ابتكت ولا تُفرط بها
بينما حورية ليس لها أب ولا أحد يُدافع عنها؟

تعاظم الغضب بصدرة فهتف بقسوة

- لن أحاسبك على حديثك الآن فأنا أعلم مقدار
صدمتك، ولكن اعلمي جيدًا أن أسيل و حورية و
مُهرة كلهن ب نفس المكانة عِندي، وكلهن فتيات
عائلة آل شريف.

هتفت زهرة باندفاع

- جيد انك قلت ذلك. إذن لماذا حورية؟

سرحان باقتضاب

- لأنه اختارها من بينهن.

برقت عينيها و هلع قلبها من كلماته فهتفت بنبرة
جافة:

- ماذا تقصد؟

أطلق نيران الغضب ممزوجة بانفاسه قبل أن يقول
بجفاء:

- جبار الفارس طلب الزواج من العروس التي
خُرب زفافها ذلك اليوم، و الجميع وافقه بل و كان

عرضه بالنسبة إليهم أكثر من مُنصف. لذا لم يسعني
حيال ما قالوه سوى الموافقة.

انهدم آخر أمل لها في هذه الحياة التي تتمنى لو
تُفارقها مثلما فارق الأحباء، ولكن تلك الأمور لا خيار
لنا بها لذا لجأت للصمت طوال المُدة المُتفق عليها
قبل أن يأتي الرجال كما هي العادة و يطلبوها.

بعد مرور شهر على هذه الأحداث وقد كان يومًا
مشهودًا فقد أتى كبار رجال الدولة، و كبار العشائر
في المنطقة والمناطق المجاورة لطلب يدها لذلك
الطاغية الذي من كل قلبها تتمنى لو يحترق حيًا
حتى يُشفى غليلها منه، ولكن صبرًا ف ستحرص
على حدوث ذلك حتى لو كلفها الكثير لتحقيقه.

— أنهم بالأسفل يطلبون يدك للزواج.

هكذا تحدثت أسيل بخزن وبجانبها مُهرة التي
كانت تبكي بصمت تجاهلته حورية التي قالت
بجفاء

— أعلم.

اقتربت أسيل منها قائلة بلوعة:

— ألا يوجد طريقة للنجاة من هذا المأزق ؟ ما رأيك
لو تهزيين؟

تجعيدة استهجان تشككت بين عينيها قبل أن
تقول بنبرة ساخرة مريرة تُشبه العلقم في مذاقها:

— وهل يهزّب المرء من قدره ؟!

اندفعت الكلمات من بين نهفات مهرة الفتقطة

- يهزب المرء من الظلم و القهر الذي يمارسونه
اولئك الناس. اذهبي أختي ولا تنظري خلفك أبدا.
بيديك مهنتك وحياتك في المدينة. لا تنتمين إلى أي
شيء هنا.

كان إغواء قاتل يتلاعب بعقلها ولكن منذ متى
كانت أنانية ؟ كيف تلحق هذا العار بعائلتها ؟ و الأهم
والدها الذي لأجله التحقت بكلية الهندسة لتكون
خير الابنة لذلك الراحل عن عالمهم. الباقي في قلبها،
و أيضا تلك الزيجة من زين والتي لم تكن تحرك
بداخلها ذرة مشاعر واحدة وافقت عليها فقط لأنها
كانت رغبته، و الآن هل يمكنها أن تضرب بعرض
الحائط كل شيء وتهزب !

عبأت صدرها بالهواء النقي قبل أن تقول بجفاء
- قضي الأمر، و لم يعد هناك مجال للحديث. هذا
هو قدرتي و لن افر منه، فليست حورية الشريف من
تهزب أبدا .

في الأسفل لم تكن الأمور أفضل بل كانت سيئة
إلى حد كبير فالغضب و الحقد كانت رائحتهم
تفوح من تلك الجلسة التي كانت ثقيلة على جميع
الأطراف

- اتمنى أن تكن تلك الزيجة بداية لعهدا جديد بين
الجميع، و أن تأتي بثمارها يا شيخ سرحان.

كان هذا صوت بدران الذي يحمل الكثير من
التحذير بين طياته لذا أجابه سرحان بجفاء
- اتمنى أن يحدث ذلك.

كانت ملامحة جامدة، نظراته غامضة تبعث شعورا
قوي بالرؤية، ولكن الوضع لم يكن يحتمل اي خطأ
من شأنه أن يحرك الجمر المشتعل بين رماد عينيه
لذا اقتصرَت الزيارة على إتمام المهمة، و تحديد
اليوم المنشود لتنفيذها و الذي يفصلهم عنه ثلاثة
أيام.

سخرت داخلها حين اعلمها عمها بما حدث، ولكنها
لم تُعقب عليه يكفي أنه تم تنفيذ شروطها كاملة،
و التي نصت على أن يكن الأمر خاليا تماما من
أي مظهر من مظاهر الفرح، سيعقد القران بصمت
تام، ولن ترتدي ثوب الغرس، عدم إطلاق رصاصة
واحدة كما هي العادة عندما تذهب العروس لبيت
زوجها يطلقون الكثير من الأعيرة النارية فرحا.
فقط سيأتي ليأخذها ذلك الجبار ثم ستودع ذويها
و تذهب معه، وكأنها ذاهبة ل مهمة ثقيلة على قلبها
كثيرا و ليست ذاهبة إلى حيث ستفني الباقي مع
عمرها برفقة هذا الرجل الذي أعجبته كثيرا مطالبا
فلم يكن ليفعل غيرها من الأساس.

لم يختار أحد بإرادته المُضي في دروب الصبر
الموحشة . إنما كان الخيار الوحيد في وسط كل

هذا الألم الذي يقتات على الروح و بكل دقيقة تمر
يلتقم جزء كبيرًا منها ، والشيء الوحيد الذي يبقّيها
على قيد الحياة هو ذلك الوعد الرباني "وَجَزَاهُمْ بِمَا
صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيذًا" فاصبري يا روحي و اصطبري
فغدا تنقشع غيمة الألم و تُمطر على جراحنا ف تزهّر.

جاء اليوم المنشود لتتقدم زهرة بخطوات مُثقلة
بالخيبة و الأسى على طفلتها التي أصبحت كبش
الفداء للجميع الذين لم ينظرون إلى أبعد من عقد
القران . فلم يهتم أحدهم حول كيفية بقائها بين
هؤلاء القتلة، الذين يكرهون كل من يحمل اسم آل
شريف. وحدها من تتقلب في لهيب آمد من ذلك
المصير الفروع الذي آل إليه حال طفلتها

شهقة قوية خرجت من فم زهرة حين وقعت
عينيهما على حورية التي كان مظهرها مُفزعًا يبعث
الرغبة بالقلوب بذلك الزي الأسود المُكون من بنطال
جلدي يُعانق ساقيها ليبرز قوامهم الرشيق إلى تلك
الكِنزة التي من نفس لون و نوع القماش فوقهم
جاكيت جلدي طويل يصل إلى كاحلها، ترتدي حذاء
أسودًا ذو رقبة عالية، و تضم خُصلات شعرها التي
تمتزج بين الأصفر و البني في ربطة قوية لا ينسدل
خلفها كذيل حصان يصل إلى أسفل خصرها، أما عن
وجهها فكان كلوحة حية للبؤس الذي لون تقاسيمها
بصفحة وجهها البيضاء الشاحبة فبدت ملامحها
مُتجهمة جامدة إلا من رُقة عينيهما التي كسرت

حدة تجهمها قليلاً ولكنها حاوطتها بسياج من
الكحل العربي الثقيل فأبرز لونهم مُضفياً عليهم نوعاً
من الحدة التي لم تروق لزهرة فلم تكن تلك المرأة
المُريعة تُشبه طفلتها الجميلة لذا هتفت باستهجان:

ـ يا الهي . هل تحولت لشبح ؟ أم انك في حداد؟
ما هذا الذي ترتدينه و ما تلك العينين التي تبعث
الزعب في النفوس ؟

جاءت لهجتها تُشبه مظهرها في تلك اللحظة حين
قالت:

ـ هذا هو المطلوب يا أمي، فليعلم أولئك القتلة بأن
ابنة آل شريف ليست صيدة سهلة، و أن اليوم الذي
جمعني بهم هو يوم حداد بالنسبة إلي.

استهجنت زهرة كلماتها و قالت بغضب:

ـ اعلم جيداً ما المقصد من حديثك، ولكني لا
أوافقك الرأي أبداً . أفضل ان تذهبي بكامل فتنتك
فيعلموا بأي عروسة قد فازوا؟

حورية باستنكار:

ـ لا تقوليها امي! هل تريدان أن البس الابيض و
اتزين ليظن ذلك الوغد بأن الفرحة لا تسعني بالزواج
منه؟!

ضيق زهرة عينيها قبل أن تقول بنفاذ صبر:

ـ تعلمين شيئاً ؟ أنت مُحقة أنه وغداً لا أشفق
عليه أبداً. يستحق ذلك المنظر و أكثر. اتمنى لو

يُصاب بالصرع أو الجلطة حين تقع عينيه عليك
حتى نتخلص منه.

استرعى انتباههم صوت طرقًا قويًا على باب
الغرفة - تدلف مُهرة التي هتفت بصدمة:

- من هذة؟ أهذه أختي؟

زهرة بغضب ساخر:

- لا أنها شبخا. إلا تنظرين يا فتاة؟ هل يملك أحد
عينين بلون الياقوت الأزرق في هذه العائلة سواها؟

مُهرة بعدم تصديق:

- نعم صحيح. أنها هي! ما هذه الهيئة أختي؟

حورية بملل

- انهو هذا الجدل السخيف بشأن مظهري. ماذا
هناك؟

تبدلت معالم مُهرة إلى الحزن الذي تجلى في
نبرتها حين قالت

- عمي يُريدك في الأسفل لتوقعي على عقد
الزواج.

داخليًا تولدت رغبة قوية بالضحك حتى تدمع
عينيهما من شدة اليأس و الغضب، فهاهو عمها يُرسل
إليها للتوقيع على وثيقة شقائها، ولكنها ظلت على
جمودها وهي تتوجه إلى باب الغرفة، وقبل أن
تخطو إلى الخارج التفتت إلى والدتها التي لون

الأسى عينيها فاقتربت حورية منها تُقبل جبهتها
بحنو يتنافى مع قسوة كلماتها حين قالت:

_ لا تحزني أُمي. اعذك أن أعود من وكر الأفاعي
سالمة بعد أن أخذ ثأرنا منهم، و أجعلهم يعرفون
جيدًا من هي ابنة قاسم الشريف. ثقي بي.

بادلتها زهرة العناق، قبل أن تتوجه حورية إلى
الأسفل بخطوات ثابتة و كعب حذائها يطرق بغنف
على الأرض و كأنه يُخبرهم مدى قوة صاحبتة. التي
ناظرتها العيون بصدمة تحولت تدريجيًا إلى شخربة
من جهته فقد فطن إلى أنها قد أعلنت التحدي،
وسيكون أكثر من سعيد وهو يُذيقها مرارة الخسارة.

_ يا إلهي. ما هذا الجمال المُرعب ؟ أشعر بأنه
سيخرج من فمها أنياب لشكيل صورة مصاصي
الدماء بهيئتها تلك.

هكذا تحدث جواد ساخرًا بجانب أذني حكيم
الذي لم يُجيبه إنما التفت إلى جبار، الذي تيقن من
ظنونه بأن تلك المرأة ليست سهلة على الإطلاق
فقد ضربت بـ أعرافهم عرض الحائط، ف السراويل
ليست دارجة للنساء في مجتمعهم فكيف إذا ارتدته
عروس في يوم عُرسها؟ ناهيك عن ذلك اللون
الأسود الذي كان حكاية أخرى و خلفه رسالة مُبطنة
منها بأنه سيلون المُستقبل بينهم .

تجاهل سرحان مظهرها بشق الأنفُس و ناولها القلم
لتخط حروف اسمها المصحوبة بتوقيع مُميز

كصاحبته ثم رمت القلم بإزدراء مقصود من جهتها
لاحظه الجميع لتبدأ جمرات الغضب بـ نفض الرماد
الصامت الذي كان يختبئ خلفه ليهب من مجلسه
وهو يقول بفضاظة

ـ اتبعيني.

أراد التحقير منها ولكنها حثقا لن تُعطيه الفرصة
ف أطالت وداعها لعائلتها لتسير بأقدام عارية فوق
ألغام غضبه الذي يُحاول قمعه قدر الإمكان وهو يُعد
للعشرة حتى لا يعود و يذق عُنقها لـ تعلم مع من
تتعامل، ولكنها في النهاية أتت لتفتح باب السيارة
و تأخذ مقعدها بجانبه ناظره أمامها بشموخ و رأسا
مرفوع مُرتديه قناع التجاهل الذي نجح في التعزيز
من غضبه كثيرا للحد الذي جعل لهجته مُخيفة حين
أمر السائق بالإنطلاق.

مر وقتا ليس بطويل وهما في طريقهم إلى قصر
آل فارس ،بينما كُلا منهما خارجيا كان يتجاهل
الآخر ولكن هُناك معارك دامية من الداخل ،فكل
خصم يتوعد لـ غريمه بالهلاك.

أخيرا توقفت السيارة أمام الباب الداخلي للقصر
لتشعر برهبة قوية داخل صدرها الذي تعالت دقاته
خلف قناع الجمود الذي ترتديه لتأتيها نبرته الحادة
كالسيف حين قال:

ـ أهلا بك في جهنم يا عروس.

ارتجفت خلايا جسدها من جملة المُدججة

بالترهيب و السخرية التي توحى بالكثير ، بينما
خارجيا لازالت متماسكة للحد الذي جعلها تدير
رأسها إليه و نظراتها تتماوج ما بين التهكم والوعيد
حين قالت بلهجة باردة كالصقيع:

_ لقد أتيت من هناك لتوي، و أنوي أن أرسلك في
رحلة إليه قريبًا.

تلك المرأة تولد بداخله رغبة بدائية في القتل نظرًا
للسانها السليط هذا، ولكنه أجل عقابها لوقتًا لاحق،
وهو يُمني نفسه بأنه في القريب العاجل سيقوم
بجز ذلك اللسان لتتعلم كيف تتعامل معه؟

سارت بمحاذاته برأسًا مرفوع و عينين تجمد
الموج بهم فأصبحوا كالبلور الذي يلمع بطريقة
خاطفة للأنفاس، فتخلّى حكيم عن صمته موجهًا
حديثًا خافتًا إلى جواد:

_ المُستقبل بات يُقلقني كثيرًا، و أشعر بأن القادم
سيكون سيء.

تهكم جواد حين وقعت عينيه على زوجة عمه
التي تقف أمام النافذة تُشاهد مجيئهم :

_ هذا أن تجاوزنا الحاضر بسلام ولم نُقتل في
حرب النظرات الدائرة هذه.

توجه جبار إلى غرفة الجلوس الكبيرة، وهي خلفه
بخطوة واحدة و قد تزعزع ثباتها قليلًا و غزى
الخوف أوردتها منذ أن دلفت إلى داخل المنزل

لتهتف بخفوت وقلب يتوسل إلى خالقه المؤازرة:

— لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

توجه جبار رأسًا إلى امرأة كبيرة في العمر تملك
عينين حادتين كالصقر بلونهم الرمادي ذات ملامح
جامدة. لازالت مُحْتَفِظَةً ببعض جمال الشباب. كانت
تجلس بمنتصف الغرفة يحاوطها ثلاثة نساء تتماوج
نظرات أغلبهم ما بين الفضول و الكره ماعدا واحدة
كان هناك بها شيء يُشبهه التعاطف وكانت لفتاة
صغيرة لا تعلم هويتها.

استنكرت بداخلها حين شاهدت جبار ينحني و
يضع قبلة احترام فوق يد المرأة، التي تُمسِكُ بعصا
تبدو فخمة بتلك النقوش الغريبة فوقها:

— اقتربي لتأخذي البركة من السيدة فيروز
الفارس.

هكذا تحدث جبار بغلظة و نبرة آمرة لم تُعجبها، و
لكنها قُتِرَتْ غضبها في مهده و استبدلته بالسخرية
التي تساقطت من بين حروفها حين قالت:

— معي منها ما يكفيني لسنوات لذا فلتحتفظ
السيدة ببركتها، ف ربما يحتاجها أحدًا منكم ذات
يوم .

كانت جملتها وقحة مليئة بالإيحاءات و الإنذارات
لما تنتوي فعله، ف نجحت وبجدارة في إيقاظ
وحوش غضبه الكامنة ليلتفت ناويًا تقليد لسانها

ولكن جاءت يد والدته لتشد على كفه ،توقفه عن التصرف بينما عينيها كانت تجوب هيئة حورية باحتقار لم تحاول اخفائه و خاصة حين لون الأسف الزائف نبرتها وهي تقول :

- أهذا أفضل ما عند سرحان الشريف ليُرسله لنا!
والله لا يستحق الأمر كل هذا العناء.

لم يُعجبه الحديث الدائر و قد كان ينوي أن يضع حدود بينها و بين الجميع. بعد أن طالبهم بضرورة التعامل بحذر معها فهي الآن زوجته والتحقيق منها يُعد إهانته بحقه ولكن القطة كانت تستحق أن يُقلم أحدًا أظافرها لذا كان يرمقها بنظرات يسكنها الاستخفاف، و عينيه تتلأأ على ملامحها بطريقة أثارت حنقها ،فقد بدا و كأنه يُقيّمها قبل أن تتناثر شظايا الثلج من بين حروفه المُدججة بالاحتقار حين قال:

- بذل الرجل قصارى جهده، ليس ذنبه أن كان الأفضل لديه بهذا السوء.

لم تكن امرأة يسهل التأثير عليها أو الحط من قدرها، بل كانت تعي جيدًا أي مقومات تمتلك. لذا فطنت إلى مُحاولتهم الواهية في التحقير منها ك أنثى، فحاولت أن تستمد الشجاعة من ذرات الهواء المُحيط بها ؛لتقول بسخرية كانت تشع من بين كلماتها:

- سرحان الشريف لم يُرد مُكافئتكُم ليُرسل لكم

الأفضل ! فقط أراد تحسين نسلكم قليلاً.

يتبع....



الميثاق الثالث

إمّاطة الأذى عن القلوب له ثواب عظيم ، فخلف
تلك الابتسامات الهادئة ندوب و تصدّعات لا شيء
يفلح في ترميمها، و ذلك الصمّث الذي يبدو سلاماً
يُخفي كماً هائلاً من الحروب والنزاعات التي تهلك
الجسد، و توحش القلب الذي تأبى شمسهُ الشروق
معلنة جداداً قذ لا تراه لشدة بأس صاحبه، فهناك
الكثير ممّن لا يُحبّذون الانهيار حتى ولو أضناهم
الأسى، فرفقاً بهؤلاء و يقلوبهم..

دلفت إلى داخل الغرفة التي من المفترض غرفتها
في قصر الأشباح هذا، بعد أن انتهت أخيراً تلك
المقابلة المربعة مع ساكنيه، و لأول مرة تشعّر
بالامتنان لرجل الرماد، الذي أنهى المقابلة بتعريفها
إلى زوجة عمه رجاء و ابنتها سلوى، التي هي
شقيقة الرجلان الآخران حكيم و جواد، و الفتاة
الصغيرة وهي شقيقته و تدعى ملاك.

— سأتغاضى عن ما حدث في الأسفل لأنني أعلم
مدى سوء المكان الذي تربيتي فيه، ولكن أحذرك
بأنني لن أتهاون مع أي تجاوز يحدث مع أفراد
عائلي، و خاصة أُمي. هل فهمتي ؟

كانت حرباً باردة تلك التي تحدث بينهم، فما

وقاحته الآن سوى محاولة لجعلها تخسر في أول
جولة بينهم ولهذا استبدلت الغضب الذي ولدته
كلماته داخلها بالسخرية حين قالت:

ـ أخبر أفراد عائلتك هذه بأن يتجنبوني حتى لا
ترى مني الأسوأ، ف المكان الذي تربيت به علمونا
كيف نتعامل مع من هم دون مستوى، و كيفيه وضع
البشر في مكانهم الصحيح.

سابقًا كان يلوم و بشدة على ضاربي النساء. كان
هذا الفعل يُثير استنكاره، ولكنه الآن أدرك ب أن
هناك نساء تستحق أن تُضرب حتى الموت، وقد
كان هذا ما ينتابه في تلك اللحظة تجاه تلك المرأة
التي أمامه، فهو لم يرى بحياته امرأة سليطة اللسان
مثلها، بل و بإمكانها الفحاربة في أكثر من جهة
بنفس اللحظة، و للمرة التي لا يعرف عددها يقمع
نوازع الشر بداخله، و يسلك طريقًا آخر معها لذا قال
بسخرية:

ـ أن كنتِ بتلك القوة التي تدعينها لما أشعر بأنك
متوترة؟ فأنفاسك مضطربة و دقائق قلبك ثائرة
اسمعيها من موقعي هذا..!

كان مُحققًا. فخلف جدار الصلابة الذي تدعيه
مخاوف و أنهار من البكاء، تنتظر أن تُصبح وحدها
حتى تستطع إطلاق سراحها، لعل ذلك الثقل بقلبها
يتضاءل قليلًا، ولكنها مثله تمامًا لن تُهزم ولن تُفسيح
له المجال لتسجيل انتصار واحد أمامها لذا قالت

بعفوية أتقنت تزييفها حتى كادت أن تُصيبه بجلطة
قلبية:

– قد يكون لأن الهواء في هذا المكان ملوثًا، وأنا
لست مُعتادة على ذلك.

خارجيًا كان صلبًا كالفولاذ بتلك النظرات الرمادية
التي تبعث الرهبة في قلوب أعتى الرجال و الخوف
في نفوس اقواهم، ولكنه داخليًا كان يحترق غيظًا،
فتلك الحرب ليست مُتكافئة أبدًا فخصمه الآن امرأة
جميلة بل فاتنة بلسان سليط و عينيّن تحويان بين
جفونها أندر أنواع الياقوت، الذي يمتزج لونه ما
بين زُرقة السماء الصافية و وهج البلور الماسي،
فكان هذا المزيج فريد من نوعه و مُميز بطريقة
تجعل العين تتعلق به و كأنه لوحة بديعة تأبى العين
مُفارقتها:

– اعتقد أنه العكس تمامًا فمن اعتاد على الوسخ
ينفر من النقاء.

هكذا أجابها بجفاء وكان يتوقع أن تُعطيه إجابة
لاذعة خاصة وهي تُثَقِّن اللعب بالكلمات، ولكنها
باغتته حين أطلقت ضحكة صاحبة استأثرت بجميع
حواسه للحظة، فقد كان ردًا غير متوقع من جانبها،
و الحقيقة أن تلك المرأة و كل ما يُحيط بها غريب و
فريد:

– اتعلم لا وقت لدي و لا طاقة لتراشق الكلمات
معك، فقد اوصلت رسالتي جيدًا، و لهذا اتمنى أن

تُفادرنى حتى يصفو الهواء قليلاً. ما رأيك ؟

كان يُتقن اخفاء أفكاره نحوها ببراعة فمن يرى ملامحه المُتجهمة و عينيه الجامدة و يستمع إلى نبرته الخشنة يظن بأنه على وشك سفك دماؤها الآن، بينما كان هناك شعورًا بالإعجاب يتسلل إلى قلبه من تلك القوة التي تملكها.

تحمحم بخشونة قبل أن يقول بجفاء:

– وانا أيضًا اوصلت رسالتي جيدًا لذا كوني عاقلة و تعاملي بذوق.

اغضبتها لهجته الآمرة فما أن أوشكت على إعطاءه ردًا لازعًا حتى بادرها مُضيفًا بفضاظة:

– و اعلمي انك لن تجدي هنا من يُصفيق لك أن فعلتي العيب أو يعتبره شرفًا، إنما ستجدين من سيكسر عُقْكَ، و يُعيد تربيته لتكوني عبرة لمن يُفكر بأن يُخطيء.

باغتتها إجابته التي بغض النظر عن وقاحتها إنما كانت تُشير إلى ذلك اللقاء الذي جمعهم قبل سنوات، وقد استرعى ذلك انتباهها لما أقدم على تذكيرها به الآن :

– خلف هذا الباب يوجد مُلحق مكون من غرفة نوم صغيرة و غرفة للملابس و غرفة أخرى لا شأن لك بها ستكون غرفة النوم الصغيرة لك. أنت من ستتولين تنظيفها هي و عُرفتني فنحن لا نُقدم

خدمة الغرف هنا.

برقت عينيها من وقاحته فهو يُحادثها و كأنها
خادمتها، ذلك الوغد يُريد التحقير من شأنها ولكنها
لن تسمح له لذا هتفت بجفاء:

ـ وهل انا خادمتك أم ماذا ؟

تجاهل استفهامها، و قد اعترته الغبطة لكونه أثار
غضبها الذي جعل ياقوتها يبرق هكذا، ولكنه ظاهرياً
لم يُبالي بغضبها إنما تابع وابل أوامره قائلاً بتحذير:
ـ حذاري أن أجد أي فوضى في المكان، فأنا
شخص يُجب النظام. ولا يتقبل الضوضاء أو الهرج.
لذا ما أن ادلف إلى الغرفة لا أريد حتى أن اشعر
بوجودك . هل فهمتي ؟

وصل الأمر إلى ذروته بالنسبة إليها، و فاض الكيل
حتى طغى لذا هتفت بشراسة:

ـ اذهب الى الجحيم انت و أوامرك اللعينة.

لم تكد تُكمل جملتها حتى وجدت كف ك الكماشة
أطبق علي غنقها بقوة جعلتها تتراجع إلى الوراء
لتصطدم بالحائط خلفها و تُصبح مأسورة بينه و
بين جسده الصلب، و أنفاسه المحرورة تُكوي بشرتها
بنيران غضبه الذي جعله يُزمجر بوحشية:

ـ باستطاعتي الآن جذ لسانك السليط هذا و لن
يستطع أحد منعي أو حتى لومي.

تبدل رماد عينيهِ بآخر مُحترق من فرط الغضب

و تجهمت ملامحه حتى شوهت وسامته و بدا
كالوحش أمامها مما جعل الخوف يتسيد نظراتها
و يجعل دقائقها تتقاذف بقوة ألمت صدرها كثيرًا.
إضافة إلى اقترابه منها بتلك الطريقة حد تلاخم
أنفاسهم المُتضربة من جهتها، و الهمجية المُحتقنة
من جهته. أما عنه فقد عمى الغضب عينيه في تلك
اللحظة ليتابع بلهجة قاسية:

ـ ولكني سأكتفي بتحذيرك هذه المرة. أن تطاولتي
معي بالحديث مرة أخرى، فسأخرسك الباقي من
حياتك، و لن اضع بعين الاعتبار انك امرأة.

لم يكتفي بترهيبها فحسب. إنما أراد التحقير منها
و عقابها لذلك المظهر المُستفْز و تلك الثياب الجريئة
و المرفوضة بحسب معاييرهم، مُضيفًا بإشمئزاز
تناثر من بين نظراته و نبرته حين قال:

ـ على الرغم من أنني لا أرى ذلك، ولم اقتنع به،
فتلك الهيئة التي أمامي الآن لا تفت للأنوثة بصلة.

بلغ الأمر ذروته بقلبها و لم تغد تحتل كل ذلك
الضغط و الإهانة التي تعرضت لهم اليوم، فأخذت
العبرات بالتدافع خلف جفونها التي بدأت بالاهتزاز،
تُجاهد إلا يظهر ضعفها أمامه ولكنه شاب نبرتها
المُهتزة حين قالت:

ـ ابتعد عني .

كلماتها جعلته يتنبه إلى قُربه المُثير منها و رُغمًا
عنه غافله عينيه و وقعت على حبتي الكرز

خاصتها و التي كانت ترتجف رغفا عنها فتولد بداخله شعور بالحزن و الغضب فهو ليس رجلاً قاسياً يتعمد اهانة النساء أو ترهيبهم ولكنها كانت مختلفة عن جميع من قابلهن بحياته فقد أوصلته في وقت قياسي إلى أقصى درجات الغضب للحد الذي جعله كان قاب قوسين أو أدنى من دق عُقْها و لكن حمداً لله أن عقله تسيد الأمر في اللحظة الحاسمة .

ـ قلت ابتعد عني .

هكذا احتدت نبرتها وهي تُعيد طلبها مرة أخرى ولكن بطريقة أكثر قوة بعد أن شاهدت عينيه التان غامتا فجأة و قد ظنت بأنه يتحدى ثباتها و يريد ترهيبها أكثر ليُسجل انتصاراً عظيماً عليها وذلك الشيء قد يجعلها تموت قهراً.

تراجع بهدوء كما لو أن الدقائق الماضية لم تفر عليهم ليقول بنبرة جافة وهو يتوجه إلى باب الغرفة

ـ من الغد ستبدأين مهامك في هذا المنزل، و ستتناولين جميع الوجبات مع العائلة في الأسفل.

كان قد وصل إلى باب الغرفة ليلتفت إليها وهو يقول بنبرة مُحذرة:

ـ كوني عاقلة و لا تختلق المشاكل، و تذكرني بأنني لا أكرر كلامي مرتين. بل أباشر فوراً بتنفيذه.

ما أن أغلق باب الغرفة حتى شقت جوفها صرخة

غاضبة وصلت إلى مسامعه بقوة جعلته يستغفر
في سره مُستائناً، ف بالرغم من كُرهه الكبير لعائلتها
إلا أنها ضحية أولئك القتلة الذين تحمل دمائهم،
وقد عزم داخله على أن لا يطالها منهم أي أذى
لحين ينتهي هذا الأمر و يظهر ذلك الوغد، ولكنها
تُصر على إخراج أسوء صفاته فتجعله يقسو عليها،
ويعاملها بطريقة لا تتناسب مع مبادئه.

أما عنها فقد أطلقت العنان لفيضانات الدمع الذي
يتدافع من مآقيها بغزارة فما عايشته اليوم تحديداً
في الساعات المُنصرمة اقسى ما مر عليها بحياتها.

منذ أن علّمت بأمر تلك الزبجة وهي تعلم بأن
القادم سيء ولكن ما أن عايشته أدركت بأنه أسوء
مما كانت تعتقد بكثير

– ابكي حورية. هيا ابكي، و افرغ شُحنات ألمك لا
تُحملي نفسك فوق طاقتها.

هكذا أخذت تُحدّث نفسها وهي مُرتمية فوق
ذلك السرير الصغير الذي يتوسط الغرفة التي أشار
إليها، فقد وهنت طاقتها كثيراً ولا تملك أي شخص
تستطيع إخباره بذلك لذا أخذت تواسي نفسها
بنفسها، فهي من تبقت لها بعد أصبح كل شيء
ضدها.

المواساة لا تنحصر في شخص بعينه! قد يواسي
الإنسان نفسه حين يهدأ، حين يسكن، حين يُحاول
حجب كل تلك الضوضاء التي يضج بها العقل و

يتأذى بها القلب، و أقوى أنواع المواساة و أكثرها
نفعا للإنسان حين يتوقف عن تحميل نفسه فوق
طاقتها.

ـ لم أتوقع أن تكون تلك الفتاة بهذه الوقاحة.
هكذا تحدثت رجاء باستنكار و ذهول لشواذرها
ابنتها سلوى قائلة بغل
ـ و ماذا كنتِ تنتظرين من ابنه القتلة يا أمي؟
الأخلاق الحميدة مثلاً ! لعلمك لم اتفاجئ بوقاحتها
ولا بملابسها الجريئة، فهذا هو المتوقع من ابنة آل
شريف.

قاطعتهم فيروز بصرامة وهي تدق بعصاها الأرض:
ـ توقفن عن الثرثرة، ولا تنطقن اسم تلك العائلة
مرة أخرى في هذا البيت.

استدارت تناظرهم بأعين يتجلى بها التحذير
ممزوجا بالوعيد حين تابعت:

ـ تلك الفتاة أصبحت زوجة جبار الفارس، و هذا
لقب كاف لجعل الجميع يتعامل باحترام معها
مفهوم؟

هتفت سلوى باندهاش:

ـ اي احترام يا زوجة عمي يُعطى لأبنه القتلة؟

فيروز بجفاء

- اعلم جيدًا ابنة من هي، ولا داعي لتذكيري. كما أنه لا داعي لتذكيرك بتحذير جبار من عدم التعرض لها بأي سوء، و تعرفين جيدًا أن جبار لا يُعيد حديثه مرتين.

لم تحتمل سلوى كلمات زوجة عمها خاصة و أن عمران كان خطيبها المُنتظر و فتى أحلامها التي انهدمت جميعها فوق رأسها لذا هبت من مجلسها وهي تُتمتم بعبارات اعتذار قبل أن تُغادر المكان، فتبعته رجااء إلى الأعلى لـ تلتفت ملاك تُناظر والدتها بعتب كبير تجلى في نبرتها حين قالت:

- الـهذا السبب فقط يا أمي تُريدن من الجميع معاملتها باحترام؟ لأنها زوجة جبار؟

قست عيني فيروز وهي تُناظر ملاك قائلة بجفاء:

- وهل يوجد سبب آخر برأيك؟

ملاك بأسى:

- أيمكن لأنها فتاة في مُقبل عمرها فجأة وجدت نفسها كبش فداء لعائلتين تتنافسان في القوة والشراسة؟ أو لأنها بين ليلة و ضحاها أصبحت تسكن في بيت واحد مع أكثر أناس يكرهونها هي و عائلتها؟ و أيضًا مع زوج لا تعرفه و لا يحمل لها ولو قدرًا قليلًا من المشاعر. لا يراها سوى فصلية أرغم على تقبلها حقنًا للدماء! هل برأيك كل تلك الأسباب ليست كافية لجعلك تُشفقين عليها ولو قليلًا؟

فيروز بقسوة أطلت من عينها أولاً:

- نعم انها أسباب أكثر من كافية لجعلي أشفق عليها ،ولكن هُناك من يستحق الشفقة أكثر منها. هُناك شاب بغمز الزهور كان هو الذكرى الوحيدة المُتبقية من والده قُتل غدرًا على يد عائلتها. أخبريني ملاك أليس عمران ابن عمك أولى بالشفقة منها؟!

تتأثر الحزن من عينيها حزناً على فقيدهم قبل أن تقول بنبرة مُتحرجة:

- رجم الله أخي عمران، و أجل يستحق الشفقة، ولكن هل عاقبتم القاتل ؟ هل تلك المسكينة من أطلقت الرصاص على رأسه ؟ لا أمي هي لم تفعل ذلك. بل هي ضحية أخرى.

هتفت فيروز بقسوة وهي تُحاول إلا تتأثر بحديث ملاك:

- ضحية عائلتها وليس نحن.

ملاك بانفعال:

- ماذا لو كنت مكانها ؟ ماذا لو أصبحت مكانها بيوم من الأيام ؟ هل كنتِ ستتحملين أن أكون مع أغراب يكرهونني و يعاملونني باحتقار؟

صرخت فيروز بغضب يُخالطه الألم:

- لن تكوني أبداً مثلها. كما أننا نُعاملها باحتقار رداً

على وقاحتها. أرايت مظهرها المنفر؟

ملاك بحنق:

– لم أره مُنفِزًا. إنما رأيت ما يُخفيه مظهرها، الذي لم يكن سوى مُجرد صورة لإمرأة تُريد إثبات قوتها حتى لا يُستهان بها، ولكن بداخلها أخرى تموت رعبًا من القادم.

فيروز بسخط:

– هُراء.

ملاك بقوة:

– ليس هُراء. اتحداك أُمي إن لم تكن حورية الآن تبكي بغرفتها كالأطفال بعد ما حدث هنا، و الذي حتمًا لن يُمرره اخي هكذا، فأنا على يقين أنه أعطاهَا درسًا قاسيًا و لم يُبالي بخوفها، و تلك النظرة التائهة التي تطل من عينيها.

– هل تربييني بهذا السوء يا ملاك ؟

انتفضت ملاك بخوف حين اخترقت سمعها كلمات جبار الذي كان يستمع للحديث من بدايته؛ لتلتفت تناظره بشجاعة تتنافى مع صغر حجمها و رققتها :

– لا أخي لست سيء، ولكنك تكون كذلك إن أردت.

تقدم جبار منها يناظرها بهدوء ف دائمًا ما تُعجبه قوتها و ذكائها، و رغمًا عن صغر سنها فهو يثق بنظرتها للبشر

ـ و لما تظنين بأنني أريد أن أكون سيء معها؟

هكذا استفهام جبار لثجيبة ملاك بثبات:

ـ لقد حفظت جدران المنزل ذلك اللقب الذي
تطلقونه عليها حتى قبل مجيئها. ابنة القتلة. أليس
هذا سبب كافٍ لظني؟

جبار بهدوء :

ـ لا ليس كافٍ يا ملاك. كونها ابنة تلك العائلة
ليس سبب لأكون سيئًا معها، و لكن رأيتي بعينيك
طريققتها، و برأيي هذا سبب قوي يدعوني لإعادة
تربيتها من جديد.

تعلم بأنه محق و بأن حورية أخطأت و تماردت في
وقاحتها ولكنها كانت تشعر بأن تلك الوقاحة و القوة
خوفًا كبير يسكن صدرها لذا هتفت بحزن:

ـ أنها خائفة.

هتفت فيروز باستهجان:

ـ لم تُصرين على تلك الجملة؟ هل نحن من آكلي
لحوم البشر ولا نعلم؟!

التفتت ملاك تناظرها بغضب حاولت قمعه قدر
الإمكان وهي تقول بعتاب:

ـ لم تري نفسك يا أمي حين أتت، بل لم يرى أحد
منكم نفسه، فوالله لقد خفت منكم بدلًا عنها و أنا
ابنتكم، فكيف بحال تلك المسكينة التي تعلم مدى

كرهكم لها ؟

تدخل جبار بحسم مُنهيا هذا الجدل العقيم:

_ ملاك. اغلقي هذا الحديث فقد أخذ أكثر مما يستحق. قوانين هذا المنزل معروفة وليست ظالمة،
و كلاً سينال المُعاملة التي يستحقها.

تعلم أنه ليس قاسياً، ولكنه أن أراد سيكون اسوأ
مثال للقسوة لذا هزت رأسها بقلّة حيلة لثغادر
المكان بأكمله فهتفت فيروز بغضب:

_ انظر إلى تلك الصغيرة التي تريد أن تُعلمنا آداب
المُعاملة.

جبار بخشونة :

_ تعرفين ملاك يا أمي. أنها نقية ، صريحة وهي
دائماً ترى ما لا يراه الكثيرون.

فيروز بحنق:

_ لا تقل لي بأنك توافقها بشأن هذه الفتاة؟

ضاق ذرعاً من هذا الجدل فقال بخشونة:

_ دعينا لا نُطيل النقاش في هذا الأمر أكثر من
ذلك، و أخبريني هل تحدثتي معهم ؟

فيروز بنبرة جافة:

_ نعم ، و حذرت الجميع من مغبة التعرّض لها
بسوء. ما عداي!

قالت جملتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى لذا التفت
جبار يُناظرها بهدوء تجلى في نبرته حين قال :

- أمي . أنت دائما استثناء بالنسبة لي، وتعلمين
ذلك. كما أعلم بأنني كذلك بالنسبة لك، لذا فاعلمي
أن تلك المرأة شئنا أو أبينا أصبحت تنتمي إلي.
حتى ولو كان لفترة مؤقتة، وأي سوء يوجه إليها
موجهًا إلي.

استشاطت غضبًا من حديثه فقالت بحدة :

- جبار ..

قاطعها بنبرة يتخللها الصرامة:

- يكفي أن تتجنبنيها من أجلي.

على الرغم من أنها الوحيدة القادرة على توجيه أي
لوم أو عتاب أو حتى أمر إليه ولكنها تعلم بأنه هناك
دائمًا حدود لكل شيء معه لذا لم تُجادله و اكتفت
بالصمت.

تكالبت عليها جميع اوجاعها إضافة إلى أن كثرة
البكاء التي اجهدها فسقطت في غفوة طويلة لم
تستيقظ منها سوى مع اول خيوط النهار؛ لتشعر
بآلام حادة في كتفها و رقبتها نتاج نومتها بطريقة
خاطئة ل تقوم بفرد عضلاتها وهي تنن بوجع يُضاف
إليه شعورًا قوي بالجوع فهي لم تأكل منذ صباح
البارحة.

تحاملت على نفسها لتقف وعينيها تجوب المكان
من حولها فهي منذ ساعات لم تكن في حالة تسمح
لها بتأمل تلك الغرفة التي سئصبح ملجأها في قصر
الأشباح هذا.

التقمت عينيها حقائبها التي سبقتها إلى هنا وعلى
فمها ابتسامة ساخرة، فأشياء العروس في بلدتهم
عادةً ما تخرج بموكب كبير إلى بيت زوجها ولكنها
ليست كأي عروس فهي الأسوأ حظًا من بينهن.

زفرت حنقها لتتوجه إلى باب الغرفة و تقوم بفتحه
بهدوء فلم تكن تريد أن تحدث جلبة حتى لا تصطدم
بذلك الرجل والذي له دهشتها لم يكن في الغرفة لذا
اطمأنت قليلًا و توجهت رأسًا إلى دورة المياه تريد
أن تأخذ حمامًا منعشًا لكي تريح عضلات جسدها
الفتييسة، و لم تتفاجأ حين وجدت الحمام بتلك
الفخامة، فهي متيقنه من أن هذا الرجل نرجسي إلى
أبعد الحدود و هذا يتضح من غروره و تكبره بتلك
الطريقة.

خلعت ملابسها بعد أن ملئت حوض الإستحمام
بالمياه الدافئة و لحسن حظها فقد وجدت كل ما
تحتاجه من معطرات و سوائل استحمام منعشة
لتندس أسفل المياه الساخنة تحاول الإسترخاء قدر
الإمكان و التخلّص من عناء هذا اليوم الطويل، وبعد
وقتًا ليس قصيرًا خرجت من المياه بعد أن شغرت
بيروودتها تلسع جسدها لتطوف عينيها في المكان
بأكمله و تتفاجيء من أنها لم تُحضر معها أي شيء

ترتديه بعد حمامها.

ـ تبأ ل غبائك حورية.

هكذا عنفت نفسها وهي تتوجه ل تلتقط روب
قطني طويل لابد وأنه يعود لذلك الضخم الذي
تتمنى لو تحدث مُعجزة تُخلصها منه، و بعد أن
جففت شعرها بالمنشفة الطويلة طافت عينيها على
مظهرها في مرآة الحمام بذلك الرداء و أخذت تفكر
هل تخرج هكذا إلى غرفتها و تُبدل ملابسها هناك؟
ام ترتدي تلك الملابس التي كانت ترتديها من قبل
ثم تتوجه إلى الغرفة ؟

زفرت بحنق وهي تستقر على الخيار الثاني فهي
لن تُجازف بجعل ذلك الأحمق يراها برداء الحمام
الخاص به فشرعت بارتداء ملابسها لتخرج من
الحمام و من حسن حظها أنه لم يأتي بعد أو ربما
اتى و رحل لا يفرق الأمر معها كثيرًا، ولكنها توقفت
حين وقعت عينيها على صورته الفوتوغرافية
الكبيرة التي تتوسط أحد حوائط الغرفة وهو
يجلس على أحد الكراسي واضعًا قدمًا فوق الأخرى
و كأنه رئيس الجمهورية فارتسمت ابتسامة ساخرة
فوق شفتيها وهي تتقدم من صورته وتهتف بتهكم:

ـ مرحبًا بالسيد جبار . ما هذه النرجسية يا
رجل؟ و ما كل تلك الغطرسة ؟ يا إلهي ألا تنظر
إلى وجهك ؟ هل هذه الملامح المُتجهمة و العينين
الرمادية شيئًا يستحق النظر إليه كل صباح ؟ والله

أن مكانهم الطبيعي في بيوت الزعب.

زفرت بحنق قبل أن تُتمتم بسخط:

- حمدا لله انني أنام بغرفة مُنفصلة و الا
لإضطرت لـ لإصطباح بتلك الهيئة كل يوم.

أنهت جملتها الساخرة و التفتت تنوي التوجه
إلى غرفتها ولكن ما أن استدارت حتى اصطدمت
بجدارا صلب جعل شهقة قوية تخرج من جوفها
وهي تتراجع بذعر إلى الخلف ، لتتفاجئ بتلك
العينين الرمادية الداكنة ثناظرها بغموض مُرعب
إضافة إلى صوتا جافا اخترق مسامعها

- هل كنت تخاطبين صورتي ؟

حاولت تجاوز صدمتها ورد الهجوم بآخر مُضاد
حين قالت

- و هل أبدو معتوهه لأفعل ذلك؟

ضاقت عينيه باستهزاء تجلى في نبرته حين قال:

- احسنتي . هذا أدق وصف لك.

استشاطت غضبا من كلماته وما أن هبت لرد
الصاع صاعين حتى باغتها حديثه الصلف:

- ماذا تفعلين هنا؟ ألم اقل لك لا أريد أن اشعر
بوجودك في المكان ولا أن اراك وجهًا لوجه ؟

سرعان ما تخطت صدمتها ليحل محلها الغضب
الذي لم تفلح في قمعه حين هتفت :

- و أظن بأنني وقتها أخبرتك بأن تذهب الى الجح...

اسودت عينيه و احتدت ملامحه فبدت مربعة حين قاطعها وهو يزمجر بوحشية:

- إياك أن تكملوها و إلا سأبدأ على الفور بتنفيذ تهديدي.

رغمًا عنها تفشى الذعر بسائر جسدها حتى اهتزت عينيها و اختلت أنفاسها ولكنها حاولت بشق الأنفس أن تخرج نبرتها ثابتة حين قالت:

- استمع إلي: انا لا أخاف منك ولا من تهديداتك هذه أبدًا لذا لا تظن بأنك ترهبني، و لتضع هذا الأمر في رأسك.

صمتت لثوان وهي تحاول صبغ نبرتها بالقوة حين أردفت:

- حتى ولو كنت وحيدة بداخل قصر الأشباح هذا، و حتى لو كنت انت وسط اهلك و عشيرتك، فأنا لا أخاف منك.

لم تكن نظراتها بنفس قوة كلماتها فقد صح حدس شقيقته فهي خائفة، و تحاول ادعاء الصلابة أمامهم فهذا هو سلاحها الوحيد، ولدهشته تسلل إلى داخله شعور قوي بالشفقة عليها و تخيل للحظة أن تكون شقيقته في مكانها، و لكنه نفى تلك الفكرة تمامًا من عقله و انساق خلف شعور خفي بالفتنة وهو يُناظر

ذلك الياقوت الفتوهج بنظراتها، فأراد أن يشعله أكثر
لذا قال بسخرية خشنة:

_ تُعجبني كلماتك كثيرًا، و لكنها تتناقض مع ذلك
الخوف الذي يُطل من عينيك. لذا سأأتجاهلها فهي
بنظري مُحاولَة واهية ل إدعاء القوة من قبلك.

استفزازه ضاعف شراستها و أيقظ حمية الكبرياء
بداخلها لذا هتفت بنبرة قوية و عينين أكدت على
حروفها حين قالت:

_ لا يعنيني. أن صدقت أو اقتنعت لا يعنيني، و لا
يهمني رأيك من الأساس، فليست ابنة آل الشريف
من تنتظر رأي أحد بها.

باغتها حين قال بتسلية لم تروق لها:

_ أخبريني . هل نساء عائلة الشريف جميعهن
مثلك ؟ أعني يمتلكن نفس شجاعتك؟

لم تُخطيء في التقاط تلك السخرية التي تتخلل
كلماته ولكنها تجاهلتها حين قالت بشراسة:

_ دمانا واحدة لذا نعم، و لتعلم شيئًا هامًا...

باغتته حين تقدمت خطوة منه لتقول بأعين
توهج بريقهم و صوتًا احتدت لهجته:

_ نحن نساء نحيا إذا قُتِلنا، و نُقتل حين نخاف. لذا
مأذمت حية و مادام هذا القلب يدق فأنا لا أخاف
أبداً.

أنهت حديثها و توجهت قاصدة غرفتها دون أن تعلم أي نيران أشعلتها بصدرة و الحقيقة فهو لم يعلم ماهية ذلك الشعور الذي تولد داخله فقد كانت أنثى فريدة من نوعها تضرب ولا تُبالي، تُحارب بكل شجاعة على الرغم من أنها لا تملك سلاحاً ملموساً للهجوم ولكنها لا تستسلم أبداً، و لا يعلم لما شعر في تلك اللحظة بأنه لا يريد ل نقاشهم أن ينتهي أبداً.

– وغد، غبي، مُتغطرس، لعين.

هكذا أخذت تسبه بنبرة خافتة وهي تُغلق باب الغرفة خلفها لتتربع بحنق على مخدعها و هي تُطلق انفاس محرورة من فرط الغضب، فعلى الرغم من أنها كانت تزدد الصاع صاعين أمامه ولكن بأعماقها كان يقبع خوفاً كبيراً منه حتقاً قد شعر به ذلك المُتغطرس، و قد كان هذا الشيء أكثر ما يُثير حنقها.

قطع تفكيرها قرقرة معدتها لثذكرها بأنها لم تأكل شيء بعد، فقد أنساها الجدال مع ذلك الرجل جوعها الشديد.

زفرت بتعب فهي لا تريد أن تخرج من غرفتها حتى لا تراه لذا حاولت إلهاء نفسها بفعل أي شيء فقامت بتبديل ثيابها لأخرى مريحة مُكونة من بنطال قصير باللون الأسود و فوقه كنزة بيضاء دون أكمام وقامت بفتح حاسوبها المحمول، تتصفح حسابها الشخصي على أحد مواقع التواصل

الاجتماعي بملل، و سرعان ما أغلقته لـ تتسطح فوق
مخدعها وهي تُحاول استجداء النوم لينتشلها من
ذلك الواقع المؤذي الذي لا تعلم كيف الفرار منه؟

دبت الحياة في القصر الكبير و دارت عجلة العمل
في الداخل و الخارج و اجتمعت العائلة في غرفة
الجلوس بانتظار موعد الإفطار، فكانت الوجوه
مُتجهمة و النظرات جامدة تختنق الأجواء من
حولهم بذلك الصمت الذي لم يكن يروق لملاك التي
شغرت بالضيق فهبت من مقعدها تنوي اللجوء إلى
مكانها المفضل في حديقة الزهور خاصتها غافلة عن
عينين تُتابعان تحركاتها بدقة و شغف أتقنت اخفائه

– الام تنظر حكيم ؟

هكذا تحدث جبار الذي كان يجلس خلف مكتبه
يقوم بإنهاء بعض الأعمال المُتراكمة قبل موعد
الفطور ليُجيبه حكيم بملل

– لا شيء يُذكر . أخبرني هل انتهيت من مراجعة
الأوراق ؟

جبار بجمود:

– نعم. تبقى أن تذهب و تُتابع أعمال قطف القطن
بنفسك، فـ لا أريد أي تأخير نحن مرتبطون بموعد
تسليم.

تدخل جواد بإعجاب:

– وهل لا نعلم يا أخي؟ فالتعاقد مع شركة بهذا

الحجم كان عملاً عظيمًا يحسب إليك، فقد أشيع في المنطقة بأكملها بأن آل فارس يُصدرون محصول القطن خاصتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و قد عزز هذا الأمر من مكانتنا بينهم.

جبار باعتزاز:

— لا عجب في ذلك ما دُمنّا نزرع أجود أنواع القطن في المنطقة و المناطق المُجاورة. هذه المكانة تستحقها عائلتنا وبجدارة.

حكيم بهدوء دائماً ما يُلزمه:

— أويدك في هذا الأمر أخي.

قاطع حديثهم طرق على باب الغرفة كان لأحد الخدم يُخبرهم بأن موعد الإفطار قد حان، لذا توجه الرجال الثلاثة إلى حيث تجتمع العائلة و كما ظن فهي لم تستمع إلى حديثه ولم تنضم إليهم، ولكنه لم يُبالي للأمر كثيراً فتلك التصرفات الطفولية لا تروق له :

— ألن تُرسل أحد ل إخبار حورية بموعد الإفطار ؟

هكذا تحدثت ملاك بهدوء اشعل سخط معظم الحاضرين لتتولى فيروز الإجابة حتى لا تسمح بتشغب الحديث:

— طرقت مرام الباب فلم تفتح، و لن نُلح عليها.

شعرت بالأسى لأجل تلك الفتاة لابد و أنها تُفضل الموت جوعاً على الانضمام إليهم و نظراً لكونها

شخصية شفافة و رقيقة فقد تجلى شعورها
بوضوح فوق معالمها الجميلة و وحده من لاحظ
ذلك و كيف لا يلاحظ وهو يحفظ أدق تفاصيلها ؟

انتهى الإفطار كما بدأ لا حديث لا مناقشات فقط
صمت مُطبق كان يُثير الحنق داخلها ، لهذا كانت
أول من غادر ل تستجيب لرغبة قوية داخلها في
التعزف الى تلك الفتاة عليها تبثها بعض السكينة التي
يفتقدها هذا المنزل

أخذت ترزع الممر أمام غرفة حورية ذهابًا و أيابًا
تجتأحها رغبة مُلحة في الدخول إليها و تمنعها
أخرى من فعل ذلك خوفًا من أن تنال صفة رفض
قوية منها ، ولكن حيرتها لم تدم طويلًا فقد توقفت
في الحال ما أن رأتها تخرج من باب الغرفة و
تناظرها بغموض قابلته ملاك بابتسامة هادئة و نبرة
تشبهها حين قالت :

ـ صباح الخير حورية ؟

ارتفع أحد حاجبيها باندهاش تغلبت عليه لتقول
بجفاء:

ـ كيف تعرفين اسمي ؟ هل تعرفينني مُسبقًا ؟

ملاك بنفس هدوئها:

ـ لا، و لكن بالطبع سمعت عنكِ هنا قبل مجيئك.

حورية بنبرة ساخرة:

ـ اه . هذا مُثير للإعجاب هل هناك أحد من عائلتك

تجراً و نطق اسمي بدلاً من ذلك اللقب الغبي الذي
تطلقونه علي! ابنة القتلة !

نطقت تلك الكلمة بنبرة ساخطة اجفلت ملاك التي
قالت بلطف في محاولة منها للتخفيف من سخطها:

_ لا تحزني. قد يبدو أفراد عائلتي غير ودودين
ولكنهم ليسوا سيئين بهذا القدر الذي تظنينه.

حورية بتهكم غاضب:

_ أجل معك حق هم ليسوا سيئين بل تخطوا هذا
المستوى بكثير أنهم حالياً أكثر من بشعيين.

رغمًا عن تعاطفها معها لكنها شعرت بالغضب كونها
تُهين عائلتها بتلك الطريقة، لذا قالت بنبرة جافة
بعض الشيء

_ لم آتي إلى هنا لمناقشة ماهو مستوى سوء
عائلتي بنظرك، فقط اتيت لكي اقول لك مرحبًا بك
في بيتنا.

تراجعت ملاك للخلف وهي تُخفي حزنها خلف
جملتها المُقتضبة:

_ أعتذر عن ازعاجك.

اختفت إلى داخل عُرفتها بعد أن نجحت في
إشعال فتيل الذنب بصدر حورية التي لم تكن
تُصدّق أنه يوجد شخص جيد في هذه العائلة، و لكن
تلك الفتاة الجميلة تبدو مختلفة كليًا عنهم، ولهذا
فهي الآن غاضبة و بشدة كونها قامت بجرحها بتلك

الطريقة ف زفرت بأسى شرعان ما تحول لصدمة
حين سمعت تلك الجملة القاسية من خلفها:

_ ألا تملكين على الأقل صفة واحدة جيدة من
شأنها أن تُرجح كفتك ك امرأة؟!



الميثاق الرابع

يُجاهد الإنسان كثيرًا حتى يُتقن إخفاء خيباته
خلف قناع الجمود الذي و مع مرور الوقت يُصبح
التنكر الأكثر صدقًا رغم زيفه، ولكنه بعد ذلك تتولد
بداخله رغبة قوية بالعثور على شخصًا واحدًا
في هذه الحياة لا يندفع بتلك الأقنعة، شخصًا
بإستطاعته أن يُبصر كل هذا الدمار بداخله ربما
يفلح في رتق شروخًا لا تزال آثارها نازفة.

تأتي الأشياء السيئة دفعة واحدة ك مجيء ذلك
الرجل الذي اختار أسوأ الأوقات للظهور أمامها و
إلقاء تلك الكلمات اللاذعة على مسامعها ولكنها لن
تكون حورية آل شريف ان لم تزد له الصاع صاعين
على الرُغم من وهنها و جوعها و تعبها إلا أن نبرتها
جاءت قوية حين قالت:

- أعتقد أن صفاتي ك امرأة لا تعنيك. كما أن
الغُميان لا يُميزون الأبيض من الأسود وكذلك
الحمقى.

لا يعلم لما شعر بحاجة مُلحة للضحك رُغمًا عن
حديثها الوقح ولكنه كان يتساءل بداخله من أين لها
بتلك الردود التي تأتي في مكانها الصحيح تمامًا كما
لو أنها أخذت وقتًا كافيًا للتفكير بها ؟

ـ أصبت الغميان لا يميزون بين الألوان ولكن لديهم
قدرة هائلة على التفريق بين المزيف والحقيقي.

أجفلتها نبرته التي تحوي الكثير من المعاني
الغبطة و نظراته التي يتساقط منها الاحتقار مما
جعلها تثور حائقة:

ـ و من المزيف هنا يا ثرى ؟ مؤكد لا تقصدني، فأنا
لا أرتدي أي زي تنكري، ولا اضع مساحيق التجميل
و بالطبع عيناى ليسوا عدسات لاصقة. كل ما بي
حقيقي مائة بالمائة.

لم تستطع منع تدفق الكلمات من بين شفاهها
مصحوبة بابتسامة ثقة لونت ثغرها، فهي لم تنسى
نعتة لها البارحة بأنها لا تفت للأنوثة بصلة، ولا
تعلم لم كان هذا يؤثر بها كثيرًا، و لكنها لم تحسب
حساب لنظراته التي استباححت كل إنش بها بطريقة
أجفلتها، إلى أن استقرت بين أمواجها الثائرة و
وهجها الخاطف للأنفاس، فهي لم تُخطيء قط
كل ما بها حقيقي حد الإنبهار، ولكنه لم يكن كافيًا
لإخماد تلك الحروب و الصراعات الدائرة بينهم فقد
نجح في تجاوز إعجابه بها الذي لم و لن يعترف به
ليقول بنبرة جافة تتخللها اللامبالاة:

ـ لم تكوني بحاجة لإعطاء معلومات عن جمالك إن
كان حقيقي أو مزيف، فأنا حقًا لا أراه من الأساس،
ولكن سأكون واضحًا معك و أخبرك ماذا أقصد ؟
اتبعيني.

زغماً عن حنقها و ذلك الخزن الذي ولدته كلماته
بداخلها فقد قادها فضولها ؛لتتبعه إلى الداخل فإذا
بها تجده يدلف إلى تلك الغرفة التي أخبرها سابقاً
بأن لا شأن لها بها ثم يعود حاملاً علبة صغيرة من
القطيفة الحمراء؛ ليقوم بفتحها تحت أنظارها التي
لونها الأعجاب حين وقعت على هذا الخاتم الرائع
بلونه الأحمر الناري البراق. لتتفاجئ بصوته القاسي
حين قال:

ـ خاتم زواجك. ما رأيك به ؟

لونت السخرية معالمها و تخللت نبرتها حين قالت
باستهزاء:

ـ اوه . خاتم من الياقوت الأحمر ! لم أكن أعلم أن
آل فارس كرماء إلى هذا الحد!

باغتتها كلماته المُحتقرة التي أصابت خيلائها في
مقتل :

ـ تمامًا كما ظننت. أعجبك الخاتم و ظننته ياقوتاً
أصلياً، وهذا عكس الحقيقة تمامًا، فهذا الخاتم زغم
لمعانه و جماله مُزيف ليس حقيقي، ولا يتجاوز
سعره خمس جنيهات. أرايتي؟ ليس كل ما يلمع
نفيس.

و كأن كلماته كانت إعصاراً قوياً ضرب سداً هش
فأسقطه في الحال هذا هو ما شغرت به. إهانة
عظيمة حد الألم الذي امتص معالم الحياة من
وجهها، و قتل الروح في نبرتها ولكن عينيها مازالت

تقاوم، فلم تُفارقة نظراتها وهي تمد يدها لتأخذ
الخاتم بروية من بين أصابعه قائلة:

- رأيت، و أعذك بأن يأتي دورك أنت أيضًا لترى أن
الياقوت الحقيقي لا تكفي ثروتك الطائلة لامتلاكه.
لذا سأقبل هذا الخاتم منك، فهو أثمن ما يمكنك
تقديمه.

أنهت جملتها و توجهت إلى داخل غرفتها
بخطوات ثابتة رغم ذلك الثقل الكبير بقلبها، فهي
بيوم واحد ذاقت من الإهانات ما لم تذقه طوال
حياتها. لذا فقد أنهكها الأمر و لم يعد في مقدورها
المقاومة أكثر فتمددت على مخدعها بصمت و
داخلها يشتهي غيبوبة تُنقذها من برائن هذا الألم
بينما كان هو لا يزال واقفًا و عينيه مُسلطة على هذا
الباب الذي اختفت وراءه ولأول مرة ينتابه ذلك
الشعور القوي بالذنب حيال أحدهم، فقد كان يُقسم
بأنها اختارت الهرب كي لا تبكي أمامه. يعلم جيدًا
أنه قد جرحها ولكن طريقتها الفظة مع شقيقته
ولدت شحنات الغضب بداخله و أراد أن يُذيقها مما
صنعتة يداها، و قد نجح في هذا و من المفترض أن
يكن راض عن ما فعله ولكن على العكس هو غاضب
و بشدة بل و يلوم نفسه أيضًا.

تشاجرت أنفاسه داخل صدره وهو يحاول نزع
ذلك الشعور المقيت بالذنب تجاهها ولكنه لم يفلح
في ذلك، و أيضًا ذلك الوعد الذي لا يعلم لما خلق
داخله شعورًا غريبًا لا يعرف كنهه ولكنه كان

قويًا كفاية لجعل دقائقه تتقاذف داخله. أينمكن أن يرجع ذلك لهذا الوضع الغريب الذي يعيشه معها ؟ أم يرجع إلى أنه لم يُقابل بحياته امرأة تستطيع الوقوف أمامه بتلك الندية ؟

ترك الغرفة بأكملها غاضبًا من كل تلك الاستفهامات التي تطن برأسه كالذباب و كله بسبب تلك المرأة التي جاءت كالبلاء فوق رأسه، وكأن ما يحمله من مشاكل و هموم لم يكن يكفيه.

انتصف النهار فقررت أن تخرج من غرفتها لرؤيه زهورها الجميلة ، ولكنها توقفت ب منتصف الرواق حين شاهدت الخادمة التي كانت تطرق باب غرفة شقيقها يالاحاح ولكن دون رد لثباتها القول بلطف:
_ ماذا هناك مرام ؟

مرام بلهجة ودودة فلطالما كانت ملاك تُعامل الجميع بلطف ولأجل ذلك هم يُحبونها كثيرًا:

_ لا أعرف سيدة ملاك، ولكنني منذ مدة اطرق الباب لكي أخبر السيدة حورية بموعد الغداء وهي لا تُجيب، وأنا لا أعرف ماذا أفعل ؟ هل اذهب و أخبر السيدة فيروز ؟

رغفا عن غضبها منها في الصباح ولكنها لم تُريد لها الاصطدام بوالدتها، لذا قررت بأن تحاول حل الأمر بطريقتها فقالت بهدوء:

_ لا مرام لا داعي لأن تُخبري أُمي أي شيء.

أنا سأقوم بأحضار السيدة حورية إلى الأسفل،
فلتذهبي أنت إلى عملك.

أومأت مرام باحترام لتقوم ملاك بأخذ نفسها طويلاً
قبل أن تقوم بدق باب الغرفة و الانتظار قليلاً حتى
يأتيها اي رد ولكن النتيجة سلبية لذا تجرأت و قامت
بفتح باب الغرفة، فهي تعلم أن شقيقها في تلك
الأوقات يكن في مكتبه يُباشِر اعماله أو في الخارج.
أخذت عينيها تطوف الغرفة بأكملها فلم تجد أحد
مما جعل الفضول يغزو عقلها .إلى أين ذهبت تلك
الفتاة؟! فهي حتماً ليست في الأسفل، و إلا كان
لوالدتها علقاً بذلك لذا توجهت إلى المرحاض تبحث
عنها و بعد أن قامت بطرق الباب فتحتته لتجده
خالياً..! فانتابها قلق لا تعرف كنهه فذهبت إلى غرفة
الملابس والتي كانت أيضاً خالية لتقع عينيها على
غرفة أخرى مُلاصقة لها و هنا ضربت رأسها حقيقة
لا تعلم كيف غفلت عنها ؟ فحتمًا هي لن تتشارك
مع أخيها سريره ولا غرفته لذا هي متأكده من
وجودها في هذه الغرفة فتقدمت تطرق الباب عدة
طرقات ولكن نفس النتيجة التي جعلتها لا تُطيل
في الأمر أكثر، و قامت بفتح الباب؛ لتتفاجئ حين
رأت حورية التي كانت مُلقاه على الأرض غائبة عن
الوعي.

في الأسفل كان يجلس خلف مكتبه يقوم بمراجعة
الحسابات الخاصة بمزرعتهم فجاءه صوت جواد
الذي دلف لتوه من الباب:

- لقد انتهينا من تحميل شحنة الفاكهة و هي في طريقها إلى المدينة.

جبار بخشونة و عينيه لازالت على الأوراق أمامه :
- أحسنت.

لم يفلح جواد في قمع تساؤلاته أكثر لذا قال باستفهام:

- جبار. هل ستقوم بالعادات المُتعارف عليها مع تلك المر... اقصد زوجتك ؟

بتر كلمته حين الجمته نظرة جبار المُحذرة و استبدلها بكلمة زوجتك ليقوم الأخير بالرد عليه بجفاء:

- اي عادات تقصد ؟

جواد مُوضحًا:

- اقصد أليس من المُفترض أن تقوم بعمل وليمة غداء ويأتي الأهل و الأقارب بنهاية الأسبوع للتعرف عليها ؟

كان يعلم بأن الأمر لن ينتهي عند زواجه منها فحسب كما أنه لن يستطيع التغاضي عن عاداتهم التي تسري على الجميع منذ عقود، ولكنه كان يُحاول بشتى الطرق الهروب من شعوره بالذنب حيالها ليجد من يُذكره بها و بما يُفترض عليه فعله، و حين أخذ قراره بالرفض وأوشك على إجابته، سمعوا صرخات قوية آتية من الخارج فهرول

الرجلان لمعرفة ماذا هناك فوجدوا ملاك في الأعلى
تصيح بذعر:

ـ اطلبوا الطبيب فوراً الفتاة على وشك الموت.

رغمًا عنه حملته قدماه بخطوات فهديه جعلته
يجمع درجات السلم في ثلاث خطوات و قد ساعده
في ذلك سيقانه الطويلة فهي يتعدى طولها المائة
و تسعون سنتي متر ليتوجه رأسًا إلى غرفتها و
يتفاجأ بها تفترش الأرض بملامح شاحبة خالية
تمامًا من الحياة؛ ليقوم على الفور بالهبوط لمستواها
واضغًا أحد اصبعيه فوق شريانها الرئيسي يتحسس
نبضها الذي كان ضعيفًا للغاية. فقام بحملها واضغًا
إياها فوق مخدعه ثم صاح بقوة:

ـ اخبري جواد لي جلب الطبيب في الحال.

مرت دقائق لم تكن طويلة نظرًا لأن الوحدة
الصحية في مُحيط القصر فأتت الطبيبة الذي ما أن
فحصتها حتى تحدثت بعملية:

ـ ضغط دُمها مُنخفض جداً، و يبدو أنها لم تتناول
الطعام منذ يومين او أكثر، كما أن تلك الهالات حول
عينيهما توحي بأنها لا تنام جيدًا أو أن حالتها النفسية
ليست على ما يُرام.

تعاظم شعوره بالذنب حيالها، فأطلق نفسًا قويًا
قبل أن يُخاطب الطبيبة بلهجة خشنة:

ـ حسنا ما المطلوب لكي تسترد عافيتها؟

- دونت في هذه الورقة عدة محاليل ستأخذها
عبر الوريد الآن و مساء و في صباح الغد، و هناك
بعض العقاقير التي سنضعها في هذه المحاليل، و
هذا سايُعجل باستعادة عافيتها ولكن يجب أن
تتغذى جيدًا و أيضًا لنحاول قدر الإمكان ألا تتعرض
لضغوطات هذه الفترة كي تُشفى سريعًا.

أوما عبد الجبار بصمت وهو يُناظر ملاك لتأخذ
الطبيبة إلى الخارج لـ يوقفها قبل أن تخرج قائلاً
بنبرته الخشنة:

- اخبري جواد أن يجلب ما دونته الطبيبة في هذه
الورقة وليأتي بمرضة أيضاً؛ لتضع لها المحاليل.

تناولت ملاك منه الورقة و خرجت بعد أن أغلقت
الباب خلفها، لتقوده قدماه إلى حيث ترقد بهدوء
لم يعتاده منها ولا يتناسب مع شخصيتها التي على
استعداد للحرب في كل الأوقات، و قد كان هذا
الأمر يُحيره كثيرًا فهي لا تُعطي نفسها وقتًا كي
تُفكر إنما تزد الهجوم بآخر مُضاد في نفس اللحظة
وقد كان هذا تحدي كبير له لم يُقابله طوال حياته

تربع بجانبها على السرير و عينيه تتلкан فوق
ملامحها لأول مرة بحرية فقد كانت جميلة بحق.
جبهتها الصغيرة، حاجباها المرسومان ببراعة،
أهدابها الكثيفة أنفها الدقيق المرتفع قليلاً للأعلى،
وجنتاها و اللتان رغم شحوبهم ولكن كان لهم إمتلاء
مثير. إضافة إلى شفاهها المُكتنزة والتي كانت تأخذ

شكل قوس كيوييد من الأعلى مما جعلها مُغوية
بذلك اللون الوردي الطفيف الذي يلونها والذي يفتح
شهية المرء على التهامها.

تعثرت نبضة قوية داخل صدره جعلته يُدرك إلى
أي مُنعطف خطر أخذه تفكيره، ولكنه لم يمنع نفسه
من السخرية قائلاً:

— أحمق يا جبار. ان كان كل هذا الجمال مُزيف فما
الحقيقي إذن؟!

هزّب من أفكار كانت تقوده الى دروبًا وعِره، لا
يُحبذ السير فيها لذا تقدم يقف أمام الشُرفة مُشبكًا
كفوفه المُمسِكة بمسبحته العنبرية خلف ظهره.
ينظر إلى البعيد لتفر دقائق لم تكن طويلة قبل أن
يسمع طرقًا خافتًا على باب الغرفة؛ ليطلق الإذن
للطارق بالدخول فدفقت ملاك الى الداخل و معها
مُمرضة قامت بتركيب المحلول إلى تلك التي و
كأنها وجدت راحتها في تلك الغُزلة البعيدة عن
الواقع و التي غرقت بها إلى منتصف الليل لا يدلف
جبار إلى غرفته بعد أن أطل السهر بالأسفل لكي لا
يصعد إلى الأعلى فهناك من تحتل غرفته و تتوسط
مخدعه ليقرر بأنه لا مفر من الصعود إليها فقام
بإغلاق الباب بهدوء و مرت عينيه بفجالة على تلك
النائمة فزفر بتعب و هو يتوجه إلى غرفة الملابس
مُبدلاً ثيابه الرسمية إلى أخرى بيتيه مُريحة مكونه
من تيشيرت باللون الأسود و بنطال قماشي من
نفس اللون ليقرر ساخطًا النوم بجانبها فذلك السرير

في الغرفة الأخرى صغير و لن يكفي طوله، و هو لن يترك سريرته الفريح لأجل هذه الدخيلة ،التي يبدو وأنها لم تنم منذ أشهر!

زفر حانقًا حين تمدد بجانبها واضعًا ذراعه أسفل رقبته لتغزو أنفه رائحة قوية لزهرة الياسمين العربي والتي كانت مُحفزه لجميع حواسه مما جعل عينيه تخونه و تستقر على وجهها الذي كان في مقابلته فأطال النظر إليها و هناك بُرغم صغير نبئت على استحياء بداخل قلبه الذي تعثرت بداخله نبضة قوية حين وقعت عينيه على ثغرها المُمتليء. ليشعر بتنبيه خطر من قبل عقله بأن هذا لا يجوز وأن ما يحدث مجرد انجذاب حسي لـ امرأة جميلة قد يكون مقبولاً لجميع نساء العالم ما عدا ابنة آل شريف.

— استغفر الله العظيم.

هكذا تمتم غاضبًا من نفسه ليقرر النوم واضعًا ذراعه الآخر فوق عينيه فشعر بحركة بسيطة بجانبه فيبدو أنها بدأت بالاستيقاظ لـ تتنبه حواسه جميعها وهو ينتظر ردة فعلها التي حتمًا ستكون قوية عاصفة كما هي العادة فسكن جسده و انتظر لمعرفة ماذا ستفعل؟

رويًا رويًا أخذت تعود إلى الواقع لتنقلب على ظهرها قبل أن تقوم بفتح عينيه تُرفرف برموشها في المكان الذي كان مُظلم إلا من ضوء بسيط يأتي

من الشرفة فأخذت عدة ثوان لمعرفة هوية المكان
حولها لتتمطى بكسل قبل أن تلتفت إلى جهة اليسار
بسائر جسدها فسقطت يدها فوق شيئاً صلباً و
اصطدمت رُقعة عينيها برماد عينية الذي أطلت منه
نظرة مُتسلية لم تلاحظها بسبب الظلام. مرت ثانية
تلو الأخرى حتى تجاوزوا الخمس ثواني قبل أن
تبرق عيني حورية من الصدمة حين علمت بأن هناك
رجل ينام بجانبها.

شهقة قوية خرجت من جوفها تلاها انتفاضة
عنيفة لجسدها لتهب جالساً و يقوم هو بإشعال
المصباح الموضوع فوق الطاولة بجانب السرير قائلاً
بلهجة خشنة:

— اهدئي هذا أنا .

لحظات مرت إلى أن استعادت بعضاً من هدونها
لتقول مُستنكرة بنبرة يشوبها السخط:

— و هل معرفتي بأنه أنت ستجعلني اهدأ ؟ كيف
تجرؤ على النوم بجانبني؟

بدأ غضبه يتصاعد من حديثها فزمجر بجفاء:

— انصحك بالألا تختبري مدى جرأتي حتى لا
تُصدمين! و بخصوص النوم بجانبك فقد يكون لأنك
تنامين بعمق وسط سريري.

شعرت بالحرص لوهلة ولكن سرعان ما تنبهت لأمرها
هام فهتفت باستنكار:

- أوه يا إلهي. انا لا اذكر بأنني جئت للنوم هنا أبداً.

أجابها بفضاظة و نبرة حائقة:

- نعم كنت تفترشين الأرض فاقدة للوعي و قد جلبت اللعنة لنفسي حين حملتك لأضعك هنا.

برقت عينيها من حديثه الذي استنكرته بشدة كما استنكرت ذلك الخجل الذي اعترأها حين قالت :

- ما..؟ ماذا ؟ هل حملتني و وضعتني هنا على السرير ؟

جبار باقتضاب :

- نعم فعلت .

جن جنونها و خرجت كلماتها غاضبة حين قالت:

- كيف تجرؤ على فعل ذلك ؟

ضاق ذرعاً بما يحدث و نفذ جلمه من تلك المرأة التي تنجح بجدارة في استنفاد مخزون الصبر لديه ، لذا تكلم بقسوة تجلت في عينيه و نبرته حين قال:

- أخبرتك سابقاً بأن مدى جرأتي قد يصدمك ولا أحب تكرار حديثي ولكن أتعلمين ؟ انت محقة لم يكن علي ان اجهد نفسي و احملك. كان من المفترض أن اخرجرك من شعرك و القي بك بجانب السرير حتى تتمكن الطبيبة من فحصك.

شعرت ياهانة كبيرة من كلماته ،ناهيك عن نبرته
الغاضبة فهتفت بحدة :

- و هل أنا حشرة لشجر جرني من شعري ؟

- اصمتي.

هكذا صرخ جبار بصوت قوي، دوى طنينه في
أرجاء الغرفة فلم يعد يحتمل كل هذا الجدل الذي
يتنافى مع طبيعته ،التي لا تميل للثرثرة مما جعلها
تتراجع إلى الخلف بجزع لثصبح على حافة السرير
و قد التف الشرشف حول قدميها على غفلة منها
لتتراجع إلى الوراء تنوي أن تغادر سريرها اللعين
هذا وإذا بها تكاد تسقط أرضاً لولو يديه التي
احتوت خصرها بلهفة تجذبها إليه ،مانعة سقوطها
لتجد نفسها في مواجهة مباشرة معه حد تلافس
أنوفهم ،فامتزجت الأنفاس كما تشاركت الأعين
النظرات في صمت دام لثوان كلاً منهما كان ينظر
للآخر بمشاعر مختلفة و غريبة جعلت نبضاته تثور
وهو يطالع رُرقه الياقوت النادر المدفون بين جفونها
و ذلك الوهج الذي كان براق بطريقة أسرت عينيه
و جميع حواسه بينما كانت هي الأخرى ولأول
مرة تتفحص ملامحه عن قرب والتي كانت تضج
بوسامة خشنة بدءً من جبهته العريضة لـ حاجباه
الكثيفان بلونهم الأسود الداكن الذان كان يضمهم
دائماً في تجعيده، عادة تلازمه منذ أن عرفتته، ثم
عينيه الواسعة بلونهم الرمادي الغريب الذي يُشبه
ظلام الليل لا نجوم تزين سمائه والتي توحى بأن

لهذا الشخص جوانب أخرى مخيفة لم ترها بعد، و
أهدابه السوداء الكثيفة ثم أنفه المُستقيم والذي
يوحي بمدى قوة و بأس صاحبه و شفتاه الغليظتان
بفك عريض يُعطيهِ هيئة رجولية تذل على صلابته
و عنفوانه ثم ذقن مستطيل يُشير إلى قدرة
الشخص على القيادة يتوسطه تجويف عميق أضفى
جاذبية كبيرة على معالم وجهه، فقد كانت وسامته
مُطعمة بهيبة قاتلة جعلت الوخزات تتفشى في سائر
جسدها لترتجف بين يديه وقد كان هذا ك إنذار
حرب جعل كلاً منهم يعود إلى وعيه لتتراجع بعيداً
عنه دون حديث ليقول مُتنحنخاً:

— سأجعل الخادمة تجلب لك الطعام حتى تأخذين
دوائك.

كان الخجل يغمرها من تلك اللحظات البسيطة
الفائته، فلم يكن لديها طاقة لمواجهة ف توجهت
إلى غرفتها دون حديث وقامت بإغلاق الباب لثُطلق
العنان لأنفاسها المُحتبسة داخل صدرها الذي كانت
دقاته جنونية من فرط الحرج أو هكذا ظنت.

مر بعض الوقت قبل أن يصل إلى مسامعها صوت
طرقات على باب الغرفة فعاد إليها توترها السابق
والذي حاولت تجاهله وهي ترتدي قناع الصلابة
لتقوم بفتح باب الغرفة، وكما ظنت فقد جائها
بالطعام الذي أخذته منه دون حديث ليصلها صوته
الآمر الفظ حين قال:

- تناولى طعامك بالكامل و خذي أدويةك، تبدين و كأنك آتية من أحد المجاعات.

اشتعلت جذوة الغضب بداخلها من كلماته الفظة، و لكنها لحسن حظه كانت مُتعبه كثيرًا و لا طاقة لها بالجدال الآن ولكن كل هذا لم يردعها عن ثأرها فبدل من أن تُجيبه لفظًا قامت بإغلاق الباب بغنغف كرد على كلماته اللاذعة، و كأنه تُخبره بأن يذهب إلى الجحيم.

تفر أيام على الإنسان لا يحدث بها شيئًا جديدًا يراها المرأ بأنها عادية حد الملل الذي يجعله ساخطًا على رتابتها، ولكن حين يزوره الخوف و يُهاجمه القلق سيشتاق لتلك الأيام التي بالرغم من رتابتها ولكنه كان مُطمئنًا، و لتلك الجدران التي لم يكن يُدرك كم كان آمنًا بها.

مر ثلاث أيام لم تُفارق غرفتها مُشتاقة حزينة تتذكر أوقاتها الجميلة بين عائلتها و التي كانت تظنها عادية و أحيانًا مُملة إلى أن أدركت الآن مدى روعتها وهي آمنة بين جدران بيتهم محاطة بالدفء الذي يُنافي هذا الصقيع الذي تشغُر به، ولكن على الرغم من ذلك فقد استجمعت قواها و استعادت شجاعتها، فمكوئها بين جدران غرفتها ليس هربًا أبدًا إنما كانت و كأنها تُعد الغدة لحربًا دامية

ستنشرب بينها و بين تلك العائلة الظالم أهلها ما عدا
تلك الفتاة الرقيقة التي زارتها في اليوم التالي من
مرضها للإطمئنان عليها. وقد كان الأمر مُحيرًا في
البداية لحورية التي تساءلت عن كيفية انتماء تلك
الفتاة الرقيقة الودودة ل أولئك الطغاة ولكن بعد
ذلك تحولت حيرتها إلى حرج كبير حين استمعت ل
جملتها الرقيقة التي تحمل الصدق والإهتمام معا :

_ لا أريد أن أكون مُتطفلة أو شخصًا يفرض نفسه
بالإجبار عليك، ولكن أن لم تُفضلي تناول الطعام
بالأسفل يُمكنك اعلامي بذلك و سأحرص على أن
تصلك الوجبات في مواعيدها، ولكن رجاء لا تُعاقبي
نفسك بتلك الطريقة. أن تؤذي نفسك و تمتنع عن
الطعام والشراب ليس حلًا و لن يُزيد الأمر إلا سوء.

حاوطتها سحبها الزرقاء المُدججة بالحيرة لثوان
قبل أن تصفو سماءها لتقول بنبرة جافة بعض
الشيء:

_ أخبريني هل أنتِ مُتأكدة من حقيقة انتمائك
لتلك العائلة ؟ اعذريني لم أقصد الإهانة ولكنك لا
تشبههم أبدًا.

ابتهجت حبتي البُنْدُق خاصة ملاك و ضاقت
جفونها بضحكة رائعة و هي تقول ب نبرة رقيقة
مُعترزة:

_ أؤكد لك أنني انتمي إليهم مائة بالمائة، فأنا ملاك
سلطان الفارس.

تمتت حورية بتهكم:

_ و لما كل هذا الفخر و كأنك ابنة الحاكم بأمره!

اندهشت ملاك من كلماتها و سرعان ما تبذلت
دهشتها إلى تقرير تجلى في نبرتها حين قالت :

_ لقد سمعك، و لا داعي لأن تُشهري أسلحتك
بوجهي انا أيضًا و إلا لن يمضي عليك اسبوع في
هذا البيت و أنتِ على قيد الحياة. انا أحذرك.

شعرت بمدى طيبة هذه الفتاة لذا لم تُريد أن
تجرحها أو تُخرجها أكثر فقالت بنبرة هادئة:

_ كما تقولين. ليكن على الأقل لي حليف في قصر
الأشباح هذا.

ابتسمت ملاك بهدوء لشكل حورية حديثها بنبرة
ساخطة :

_ فلن أحتمل أن تخرج جُثتي من بوابتكم. أنه لعار
لا أتمناه ل أعدائي.

هبت ملاك من مكانها وهتفت بتحذير:

_ يكفي يا فتاة. ألا تعرفين أن تكونين لبقة ولو
لدقيقة واحدة ؟ اقسم سأرحل و سأتركك وحيدة
دون طعام أو شراب و لن أسعفك هذه المرة.

انتابها الحرج من حديث ملاك لتقول مُحاولَة إنقاذ
الموقف فهي لن تحتمل البقاء وحيدة بغرفتها طوال
اليوم. حتمًا ولا بد أن تجد شخصًا واحدًا يُمكنها أن

ثُحادثه، و أيضًا هي من انقذتها ذلك اليوم لذا قالت
بلهجة ودودة بعض الشيء

- حسنًا . حسنًا سأحاول أن اتغاضى عن ذلك
اللقب الذي في نهاية اسمك لنعرف كيف نتعامل
سويًا. يبقى ألا تذكّرني به و سيصبح كل شيء على
ما يُرام.

جلست ملاك بجانبها وهي تهتف بحماس:

- لدي فكرة رائعة ما رأيك أن نتعامل و كأننا
حورية و ملاك فقط دون الحاجة لأي ألقاب؟

تصنعت حورية التفكير أمام نظرات ملاك التي
تحولت للغضب لتهتف الأولى بلهفة :

- حسنًا موافقة.

و منذ هذا اليوم أصبحت هي و ملاك مقربتان
تجلسان سويًا بعد الوجبات تتبادلان أطراف
الحديث الذي لم يكن شيقًا كثيرًا ولكنه أفضل من
الجلوس وحيدة طوال اليوم، و الفريح في الأمر
كونها لم تلتقي بذلك الرجل طوال الأيام المُنصرمة
حتى ظنت أنه نسي أمرها، وكم كانت مُمتنة لذلك
الهدوء كثيرًا، ولكنها كانت شبه متيقنة من أن هذا
الهدوء لن يدوم طويلًا فقد انتظرت ككل يوم إلى
أن تعدت الساعة الثامنة و النصف موعد الفطور
المُقدس لديهم لتتوجه إلى المرحاض لظنها بأنه قد
خرج كالعادة ولكنها تفاجئت به أمامها ب هيئته و
نظراته التي تدل على أنه كان ينتظرها، و لذلك

قامت بإعطائه القدر الذي يستحق من التجاهل لـ
تتجاوزه دون نظرة واحدة و تتوجه إلى المرحاض،
لتتركه خلفها يحاول قمع بذور الغضب التي بدأت
بالنمو بداخله ولكن ما المتوقع منها غير محاولات
واهية لاستفزازها!

قضت وقتًا لا بأس به في الداخل وهي تعلم كل
العلم بأنه ينتظرها بالخارج يُرافقه جيوش من
الغضب لتعفدها البقاء كل هذا الوقت في الحمام،
ولكنها لم تكن عابئة بذلك الغضب ولو اغرق العالم
من حولها فقد استعادت قوتها و حان الوقت للعودة
على ساحة المعركة مرة أخرى.

خرجت من الحمام مُغلقة الباب خلفها لتجده يقف
أمام الشُرفة يُعطيها ظهره فتوجهت إلى غرفتها
التي قبل أن تقوم بفتح بابها سمعت صوته الأمر
يقول:

— توقف.

تجهل السبب و لكنها لم تفلح في تجاوز نبرته
الأمرة لتتوقف في مكانها بينما التفت يُناظرها وهي
لا زالت تُعطيهِ ظهرها ليقول بنبرة جافة خشنة:

— ألم يعلموك أنه من الأدب حين يُخاطبك أحد أن
تنظري إليه ؟

بتمهل مُتعمد من جانبها التفتت تناظره و بنبرة
هادئة حد الاستفزاز أجابته

- علموني إن الأدب يُعامل به أهله، و حين ذكر
الأدب لم يأتي أحد على ذكركم أبدًا. لذا لاتؤاخذني
إن لم ألتفت إليك وأنت تتحدث.

لازالت ملامحه على حالها ولكن عينيه اشتد
ظلامها بطريقة جعلتها تشعُر بأنها أصابت الهدف
ببراعة، لتجده يتقدم منها بهدوء أثار ربيتها،
ليتوقف على بعد خطوتين منها قائلة بنبرة جافة
رغم هدوئها:

- أخبريني حورية. ماذا يفعل رجالكم مع نسائهم
حين يتفوهن بـ الحماقات و تطول ألسنتهم؟

كانت هذه المرة الأولى التي ينطق بها اسمها
بلهجته العميقة الخشنة التي كان لها وقعًا غريبًا
على مسامعها جعل فكرها يتشتت قليلًا عن حديثه،
ولكنها تجاهلت ذلك وحاولت أن تظل على ثباتها
وهي تقول بنبرة قوية ذو عنفوان مُثير للإعجاب:

- الرجال في عائلتنا يملكون من الهيبة و الوقار ما
يجعل نسائهم تكُن لهم كل الاحترام و التقدير، لذا لا
أستطيع أن أجيبك عن شيء لم يحدث مُسبقًا.

أوما جبار برأسه بطريقة أثارت استغرابها ولكن
أنتها كلماته الجارحة حين قال:

- كنت أظن ذلك. ما يحدث أمامي الآن هو حالة
شاذة لم تحدث مُسبقًا لذا هي تحتاج عقابًا يُشبهها.
عقابًا قد يجعل الجميع في هذا المكان يذكره لأعوام
قادمة.

رغمًا عنها بثت كلماته الدّعر بداخلها و لم تفلح
عينيهما في إخفائه فأخذت نظراتها ترتجف بغير
هدى ولم يفتته هذا، لذا تابع بنبرة مُدججة بالوعيد:

ـ لقد استنفذت مخزون الصبر لدي في عدة أيام،
و هذا يُعد حدثاً كبير تستحقين عليه مُكافأة.

انكملت ملامحها بحيرة وداخلها شعور قوي
بأن حديثه الآن لا يجب الاستهانة به لتجده يُتابع
بقسوة مُفزعة:

ـ إن أردت المُكافأة استمري بفعل تلك الحماقات،
و التفوه بهذه الثرّهات وأنا اعذك بأن ما سأفعله
بك سيظل محفورًا بداخلك ما حييتي، و هذا ليس
تهديدًا بل إنذار أخير.

تفشّت علة الخوف بصدرها فقد كانت عينيه و
ملامحه مرآة عن الجحيم لذا لم تُطل في الأمر
إذ قالت وهي تستمد شجاعته من ذرات الهواء
المُحيط بها:

ـ لا أجب الثرثرة وقت الصباح لذا هلا أعلمتني
ماذا تريد ؟

يعلم تمام العلم بأن حديثه قد استقر في موقعه
الصحيح لذا شرع في الدخول الى صلب الموضوع
قائلًا بلهجة أمرة:

ـ غدا ستأتي نساء العائلة للتعرّف عليك كونك
زوجة كبيرهم و سنعِد وليمة كبيرة لإستقبالهم،

فكوني مُستعدة لذلك.

وقع الأمر على عقلها وقوع الصاعقة. اي استقبال
و اي وليمة و أي عائلة تلك التي ستتعرف على
نسائها؟ لم تستطع تجاوز كلماته وهتفت بانفعال:

_ هل انت مجنون يا هذا؟ ما هذا الهراء الذي....

قاطع جملتها تلك القبضة الحديدية التي أحكمت
الطوق حول خصلات شعرها من الخلف لتجذبها
بغنف حتى وجدت نفسها مُلتصقة به حد تلاؤم
أنوفهم لتصطدم بتلك الرصاصات التي تُطلقها
عينيه و هذه النيران الحارقة التي ينفثها ضد
بشرتها الرقيقة إضافة إلى لهجته المُرعبة حين قال
بهسيس خطر:

_ من المجنون يا امرأة ؟ ألم أحذرك للتو من التفوه
بتلك الحماقات؟

تناحرت دقات قلبها و كأن أحدهم يركض خلفها
بسكين باثر، لتنتفض ضلوعها ألما و يرتجف جسدها
دُعزا وهي أمام ذلك الوحش الهائج الذي لغبائها
أخرجت شيطانين جحيمة من مكمناها، ولكن بالرغم
من ذلك حاولت التمسك ببعض القوة لتقول

_ لا تلومني أن كنت تتفوه بما يتنافى مع العقل و
المنطق!

لم يكن ناسكا ولا قديسا بل كان رجلا ذو دماء
حارة و تقف بين يديه أنثى فاتنة تحوي بين

جفونها لنالى براءة و وجه مُغويًا للحد الذي حول
جيوش غضبه إلى جمم بُركانيه سرت مسرى الدماء
في أوردته، فولدت داخله رغبة عاتية في تذوق
تلك الشفاه التي يتناثر منها شظايا جليدية تُتقن
تسديدها ببراعة لذا أظلمت عينيه و هو يقول بصوتًا
خشن أجش:

— مُحقة. لن ألومك ولكن سأعاقبك.

كان الأمر برمته مُخيفًا بالنسبة إليها و لكن ما
حدث تاليًا كان مُروغًا فما أن أنهى كلماته حتى هوى
على ثغرها المُغوي يقطف ثمار التوت الشهي من
فوق ضفتيها بشراسة أجفلتها كما جمدها الصدمة
بمكانها جاحظة العينين ساكنة الجسد بينما كان
هو غارق في بحور من اللذة الغريبة التي لم يشغُر
بها طوال حياته و دقائق قلبه الجنونية كانت تعزف
بصخب فشرع يُعزز من اقترابهم أكثر وهو يرتشف
ربقها العذب بنهم و ولع جعلها على وشك الاختناق
فحاولت دفعه بقوة و كانت هذه أول بادرة حياة
تصدُر منها، مما جعله يستفيق من تلك الغيبوبة
التي سقط في هواها للحظات خاطفة ل يفصل
قبلتهم رغما عن تلك الرغبة العاتية التي تملكته
بعدم افلاتها أبدًا، لتبدأ هي باستعادة وعيها وعقلها
يحاول استيعاب ما حدث وسط أنظاره التي كانت
تطالع ملامحها بترقب و إشتهاء ف هجومه عليها
كان كاسخًا حد تورم شفاهها بطريقة مغرية أكثر من
السابق، ولكنه حافظ على ثباته أمامها بشق الأنفس

ليشتبك مع عينيها في حديث صامت قطعته تلك
النيران التي أحرقت وهج الياقوت بين مقلتيها
تلاها صرخة غاضبة من فمها وهي تقول بضراخ و
يديها ترتفع في الهواء تنوي صفعه:

- أيها الحقير . كيف تجرؤ ؟

قبضت يديه على معصمها قبل أن يصل كفها الى
صدغه و بأعين حاكت في ظلمتها ظلام الذجي
انطلقت أعيرة النيران من بين حروفه حين زمجر
قائلاً:

- أرى أن عقلك السميك لا يستوعب الحديث
بسهولة لذا ف أنا يسرني الآن إعادة تأهيله و تربيته
من جديد.

باغتته عبراتها التي لا تعلم هي ولا هو كيف
غافلتها و هربت من بين مآقيها؟ و أيضاً حروفها
التي كانت ترتجف على شفتيها وهي تقول بضعف:
- أتركني.

كانت عبراتها كهدف قاتل صوب في الدقيقة
التسعون فعجز الخصم عن الرد. فقط استسلم
بهذوء يشبه هدوئها حين تركها لتتراجع إلى الخلف
مهرولة إلى غرفتها لتتركه يقف كالتمثال الحجري
لا يعرف ماذا حدث! و كيف حدث؟ وما كل ذلك
الشعور الذي يكتنفه الآن فيجعله يود لو يعود
بالزمن إلى الوراء تحديداً حين كانت واقعة بأسر
مخالبه .

على النقيض داخل تلك الغرفة التي شهدت على لحظات ضعف و حزن نادر من جانب تلك الحورية التي أخذت تبكي كما لم تفعل من قبل لا تعرف السبب خلف كل هذا الانهيار ولكنه كان السبيل الوحيداً للتخلص من ذلك الشعور الفروع بالضعف والهزيمة و الاحتقار الذي تولد داخلها من فعلته النكراء و عدم قدرتها على رده.

أتى الغد حاملاً بجعبته الكثير من الأحداث الغير متوقعة ولكن وقعها كان ساحق خاصةً على عقل زين الذي توقفت الدماء بـ أوردته حين استمع إلى ذلك البارود الذي تفجر من بين كلمات ابن عمه مصطفى:

ـ لم يكن بمقدورنا الرفض بعد أن وضع هذا الرجل الكرة في ملعبنا وحشرنا في الزاوية. لذا قبلنا بهذا الميثاق، و تم زواج حورية من عبد الجبار الفارس الأسبوع الفائت.



الميثاق الخامس

جميعنا نملك صندوقاً أسود بداخل قلوبنا تجتمع
به جميع الخيبات و الخسارات التي لا نجرؤ على
التحدث عنها.

فذكريات المرء لا تتبخر مع سنوات العمر ولا
خيبات الإنسان تمحي آثارها أعظم انتصاراته.

لأول مرة تقف أمام مرآتها بذلك الوجه الحزين
الذي احتلت الحيرة معالمه و أعيته كثرة الأحمال
فامتصت منه بهجة الحياة، و أطفأت وهج الياقوت
بعينيها التي كانت الشيء الوحيد الذي ورثته من
ملامح أبيها الذي غادرها وهي في أكثر أوقاتها
احتياجاً له، ولكن لم تغادرها ذكراه و لا كلماته العذبة
التي كانت تفدها بالقوة وخاصةً تلك الجملة التي لا
تعلم لما أخذت ترن بـ أذنيها الآن :

ـ أنتِ جميلة يا حورية، و لكن جمالك الداخلي
يفوق ملامح وجهك فتنة. فهو ينعكس بصفحات
عينيك الرائعة لتتوهج، عديني بأن لا تسمحين
لشيء في هذا العالم أن يُطفئ وهج روحك و بريق
عينيك.

كانت طفلة آنذاك ولم تكن قدراتها العقلية تُمكنها
من إدراك معاني كلماته، ولكنها وعدته والآن تشغُر

بأنها ملزمة بتنفيذ هذا الوعد. لذا حاولت أن تلقي
خلف ظهرها كل ما حدث بالأمس و خاصةً تلك
الثبلة اللعينة، مع قسمها بأن لا تدع ذلك يحدث مرة
أخرى، و سثعاقب هذا الوغد على فعلته لذا توجهت
إلى المرحاض تأخذ حمامًا مُنعشًا و قد حمدت ربها
انه لم يكن موجودًا حينها؛ لتذهب رأسًا إلى خزانتها
و لمعة حُبث تتمايل بين أمواجها الزرقاء وهي
تنتقي ملابسها لإجراء تلك المقابلة المزعومة.

انتهت من إعداد نفسها، و بعينيها يتراقص المكر
بينما داخلها متشوق لرؤية ملامحه حين يراها .

– هيا يا حورية، فلئخرجي الوحش من مكمنه
ولنرى إن كان السيد چبار سيتحمل القادم أم
سيضرب رأسه بالحائط ؟!

توجهت لـ خارج غرفتها؛ لـ تتفاجئ به يقف
أمامها وكأنه ينتظرها، ف بهتت ملامحها من شدة
الصدمة، و توقفت قليلًا تناظره بترقب؛ لترى
ابتسامة ساخرة تعلو شفثيه تلاها نبرته الجافة حين
قال:

– أتساءل كيف دخلتي كلية الهندسة و أنتِ بهذا
العقل السميک ؟!

وغد . هذا اول رد تفوهت به داخلها فمن الواضح
أن هذا الداهية يحاول إفساد مُخططها، ولكن حتمًا
لن تسمح له ياهانتها.

– هل هكذا تربيت في هذا المنزل ؟ أن تُهين

النساء ثم تستغل قوتك في السيطرة عليهم؟!

بهتت معالمه للحظة ، ولكنه شرعان ما استعاد
تجهمه قائلاً بنبرة فظة:

- ان ظننت أنني قد أهنتك أو استخدمت شيئاً من
قوتي معك حتى الآن فأنت مُخطأه، لأن لو حدث
ذلك لكنت الآن هالكة.

تعاظم حنقها منه ولكنها حاولت الثبات حين قالت
بجفاء:

- إذن لماذا تقف هناك؟! و تُطلق تلك العبارات
السخيفة في وجهي ؟

طافت عينيه على مظهرها، و تلك الملابس الغير
لائقة التي ترتديها ، و خاصةً ذلك السروال الذي
يُعانق ساقيها بطريقة مُثيرة مُبرزاً رشاقتهم بطريقة
تُحفز الغرائز ، وقد كانت نظراته إجابة كافية على
استفهامها ليُباغتها هو بذلك الاستفهام المُفاجيء:

- أخبريني هل كنتِ ترتدين هذه الثياب و انتِ في
المدينة؟

لا تعلم لماذا شعرت بأن هناك خيط من الاحتقار
يتخلل نبرته ؟لذا أرادت استفزازه أكثر حين قالت
بنبرة هادئة لا مُبالية

- نعم . لماذا تسأل؟

اهتاجت جميع خلايا جسده غضباً وهو يتخيل أن
أناس آخرون قد رأوا زوجته بتلك الملابس التي

كانت بنظرة مُبتذله فكرز على فكيه بطريقة أجفلتها
ليتفشى الخوف بسائر جسدها و خاصة حين
سمعت كلماته و هتافه الشرس

_ وكيف كان عديم النخوة يسمح لك بذلك ؟

بارود كلماته أشعل فتيل الغضب بداخلها ؛لتهتف
بنبرة حادة تخطت حدود المسموح به:

_ لا تتحدث عن زين بتلك الطريقة و إلا..

قطع الخطوتين اللاتين تفصل بينهما و نظراته تكاد
تحرقها من فرط الغضب، الذي تخلل نبرته الحادة
وهو يقول:

_ لا تنطقي اسم ذلك الغبي مرة أخرى أمامي، ولا
حتى بينك وبين نفسك هل فهمتي ؟

هتفت بشراسة

_ لا لم افهم.

أجمها ضراخه حين قال بصرامة

_ أذن سأكسر رأسك حتى يعود إلى العمل و يفهم
ماذا اقول.

اخذت تَفْط شفتيها قاصدة استفزازة قبل أن
تقول:

_ انصحك بالألا تُهددني .ابدأ بالتنفيذ فورًا فأنا لا
يؤثر بي الحديث كثيرًا.

حتى لو سيُنفذ تهديده ،فهي لن تسمح له بالانتصار

عليها ولكنها لم تحسب حساب لذلك الشعور الأهوج
بداخله. الذي يطالبه بتكرار ما فعله البارحة، ويُعاقب
تلك الشفاه الرائعة على حماقاتها؛ لتتلون رماديتاه
بظلام الرغبة الحارقة التي لا يعلم من أي جهة
احتلت قلبه و لسوء حظه و حسن حظها فقد شغرت
بما ينتويه؛ لـ تتراجع إلى الخلف بلهفة وهي تقول
بارتباك

- أخبرني . ماذا كنت تريد مني ؟ ولماذا ثهاجمني
هكذا منذ الصباح ؟

كلماتها أعادت إليه جزء من وعيه و على الرغم من
غضبه كونها حرمته من لذة كان يتتوق للتنعم بها
لكنه حاول استعادة جأشه؛ ليُجيبها بنبرة جافة.

- هاجمتك لأنني توقعت أن تفعلي ما فعلتيه
وترتدين تلك الثياب الغير لائقة، وأنت تقابلين نساء
العائلة، و قد صح ظني.

قال جملته الأخيرة بغضب لم تفلح في إدراكه؛
ليُتابع بجهامة أجفلتها

- ولكن اعلمي بأنني لن أسمح لهذا الشيء أن
يحدث، فلهذا البيت قوانين يجب أن تلتزمي بها
شئتي أم أبيتي.

لم يأخذ الأمر منها أكثر من نصف دقيقة حتى
تُجيبه ببراءة تُحسد عليها حين قالت:

- مُخطيء. انا لم أردي تلك الثياب لأقابل نساء

عائلتكم، فموعد مجيئهم يتبقى عليه أكثر من
ساعة. هل أنا مُخطأة ؟

لا يعلم لما راوده شكًا قوي بأنها تكذب ولكنه
تجاهل ما يشغره به قائلاً بخشونة:

— لا لست مُخطأة، ولكن هل كنت تنوين أن
تتركي الزائرين في الأسفل حتى تنتهين من تجهيز
نفسك ؟

حورية بهدوء:

— لا. لقد كنت في طريقي الى ملاك؛ لا أطلب منها
المُساعدة في بعض الأمور، ولكنني وجدتك كالعامل
السيء في وجهي.

قمع رغبته الفُلحة في صفعها أمام فضوله في
معرفة ما تريده من شقيقته ليقول باستفهام

— وبماذا أردت أن تُساعدك ملاك ؟

حورية بهدوء مُستفز

— هذا ليس من شأنك. هلا ذهبت و تركتني لاتجهز
أن كنت لا تريد أن ينتظر ضيوفك في الأسفل ؟

أن بقي لثانية واحدة سيقتلها حتمًا لذا التفت
الى الباب ينوي الخروج ولكنه توقف ليقول بنبرة
مُحذرة:

— أحذرك من أن تفعلي أي شيء غير لائق. فقد
استنفذت كل محاولاتي معي.

أنهى كلماته و توجه إلى الخارج مُغلّقا الباب خلفه
لترتسم ابتسامة مأكرة على شفتيها وهي تقول
بوعيد:

- إذن لا يُعجبك ارتداء السراويل يا سيد جبار.
لنرى إن كنت ستندم في المُستقبل ام ماذا؟

- أين تلك الفتاة ؟ ألم تعلم بأن النساء أتت لرؤيتها
و التعرف إليها ؟

هكذا تحدث رجاء بجانب أذن فيروز التي ناظرت
ملاك بنبرة ذات مغزى وهي تُشير إليها بهزة طفيفة
من رأسها تفهمتها الأخرى على الفور لتتحرك إلى
الخارج تنوي استعجال حورية ولكنها تفاجئت من
جبار الذي كان أتيا من الخارج لتقول بلهفة:

- أخي . جيد انك هنا. كنت سأذهب و أنادي على
حورية حتى....

توقفت الكلمات فوق شفتيها حين التقمت عينيها
تلك التي كانت أتية من الأعلى ،تتهادى في مشيتها
كالغزال الذي يتبختر مُعتزا بنفسه فهتفت ملاك
بصدمة

- يا الهي ما هذا؟

التفت جبار لرؤية ماثمليق به ملاك لتتجمد الدماء
بعروقه وهو يرى تلك الفاتنة .التي كانت ترتدي
عباءة زرقاء من الشيفون المُطرز ب اللآلئ البراقة

التي كانت تُحاكي في توهجها عينيها بوميضها
القادر على سلب الأنفاس ككل شيء بها، وخاصةً و
أن العباءة كانت تلتف بإحكام حول جسدها الأهيف
لثبريز مُنحنياته بدقة كاشفة عن غنقها بقوسين
الجمال خاصتها و مُقدمة صدرها البض، و وجهها
البديع الذي زينته بإحترافيه أبرزت جماله دون
ابتذال و أطلقت العنان لـ خصلاتها الكثيفة لثغطي
أكثر من نصف ظهرها مُرتديه حذاء ذو كعب عالي
كان يطرق على الأرض بقوة و كأنه يُعلن عن حورية
هبطت من الجنة إلى عالمهم لتقلبه رأساً على عقب،
فكان هذا أول ما شعر به ما أن رآها بتلك الطلة
الفاتنة التي أضرمت نيراناً مُستعرة بداخل صدره لا
يعرف كنهها ولا يستطيع إخمادها.

— هل تأخرت عليك ؟

هكذا تحدثت حورية بهدوء الى ملاك مُتجاهله
وجوده تماثلاً ولكنه كان في تلك اللحظة مأثوراً
بجمالها و رائحتها التي لفحت أنفه فانتشت رأته
بأريجها حد تضارب الأنفاس بداخله مُهتاجه
وتصارع نبضاته بطريقة لم يعهدها مُسبقاً

— ما هذا الجمال حورية ؟ تبدين رائعة .

حورية بابتسامة هادئة و بنبره واثقه أجابتها

— أشكرك عزيزتي.

أنهت جملتها تزامناً مع صوت جواد القوي الآتي
من الخارج

- حكيم . أين أنت يا رجل؟

كان صوت جواد ك الإنذار اخترق عقله الذي لم
يحتمل أن يرى أحد إمرأته وهي بتلك الطلة الرائعة
فهتف بصوتًا جهوري هز أرجاء المكان حولهم
- توقف عندك جواد .

تلجم جواد في مكانه حين استمع الى صوت جبار
الصارم و كذلك الفتاتين لـ تلتفت ناظرة إليه بصدمة
ضاعفتها تلك النظرة الفرعية التي حدجها بها
فجعلت فرائسها تتحفز و أنفاسها تتسارع، فتدخلت
ملاك تحاول تلطيف الأجواء قائلة بخفوت

- جيد انك أتيتي. هيا الجميع ينتظرننا في الداخل.
أنهت جملتها و انتزعته من بين براثن نظراته
التي كانت حادة كالصقيع و هرولت بها إلى حيث
ينتظرها الجميع في الداخل وهي تحاول جاهدة
التحكم في رجفة جسدها ف عينيه، و نظراته، و
أنفاسه الهمجية نجحوا في زعزعة ثباتها بقوة وهي
الآن بأمس الحاجة إلى هدوئها حتى تستطيع التعامل
مع كل أولئك الفضوليين الذي يتابعونها بنظرات
متفحصة توشك أن تخرقها. وحدها كانت هناك
نظرة غامضة لتلك المرأة فيروز التي حادثتها بنبرة
جافة

- تعالي إلى هنا حورية.

تقدمت حورية منها على مضض و على وجهها
ابتسامة صفراء تفهمتها فيروز لثناظرها بتحذير لم
تُخطيء حورية في فهمه، ولكن ما جذب انتباهها
تلك الفتاة الجميلة التي كانت ثناظرها بكره كبير
لم تحاول حتى اخفائه و بجانبها امرأة تشبه
الأفعى بتلك النظرات المسمومة التي تُسلطها فوقها
فاقتربت من ملاك قائلة بخفوت

ـ من تلك الفتاة التي تشبه ذمية أنابيل الفرعية؟
حاولت ملاك قمع ضحكاتهما وهي تقول بخفوت
ـ اخفزي صوتك أنها سلمى ابنة خالتي مُفيدة.
حورية بتهكم

ـ أن كانت هذه مُفيدة و فما الضار إذا؟

استرعى انتباه سلمى تلك الهمسات و الضحكات
بين ملاك وبين حورية، و قد عزز هذا من حنقها على
الأخيرة لتقول بجفاء

ـ أأزلتي حمقاء كما هي عادتك ملاك؟ تُصادقين
القريب و الغريب. حتى اولاد الشوارع لهم حظاً
معك!

نشب الغضب مخالبه بصدر حورية التي كانت
على وشك الانقراض على تلك الفتاة الوقحة، ولكن
اوقفها ضغط ملاك على ذراعها والتي قالت بنبرة
هادئة ولكنها تحمل الكثير

ـ هكذا هم اولاد الأصول يا سلمى يتعاملون مع

الجميع بأدب وذوق فقد تربوا على ذلك، وأولاد
الشوارع هم بشر مثلنا، و لا يجب الحط من قدرهم
فلا أحد منا يختار ذويه.

لم تشفي غليلها إجابته ملاك لتتهتف قائلة بنبرة ذات
مغزى

_ أؤيدك يا ملاك، فأولاد الأصول أصبحوا غملة
نادرة في هذا الزمن الذي أعطى الحقير فظن نفسه
أصيل و تكبر، بينما هو لم يتجاوز كونه خثالة ترتدي
خرق غاليه.

احتد النقاش بينهم وجحظت عيني سلمى من
حديث حورية الذي حط من قدرها فحين أوشكت
على الرد عليها تدخلت فيروز قائلة بلهجة أمرة:

_ هيا يا حورية قدمي الحلوى و الفطائر إلى
الجميع حتى يتذوقوا صنيع يدك.

اومات حورية متصنعة الابتسامة بينما بداخلها
تتمنى لو أن يختنق الجميع بتلك الفطائر و أولهم
هذه الفيروز.

بعد أن تناول الجميع الحلوى بدأت همهمات التلذذ
بطعمها لتقول أحد السيدات :

_ ما شاء الله. كنتكم جميلة يا زوجة عمي، و كل ما
تصنعه جميل و شهى مثلها.

هكذا تحدثت إحدى السيدات وهي تُناظر حورية
بانبهار قابله رجاء بالسخط الذي تجلى في نبرتها

حين تمتمت بخفوت:

- انتظري حتى تستمعين لـ لسانها السليط، و
بعدها قرري يا حمقاء.

التفتت حوريه إلى رجاء بنظرات يلونها المكر الذي
تجلى في نبرتها حين قالت:

- لم اسمع ما قُلتيه جيدًا يا زوجة عمي من
الحمقاء هنا؟ اتقصدين السيدة عفاف؟

انتفضت رجاء بصدمة من وقاحة حورية التي
لمعت عينيها بوميض المكر فاندفعت عفاف قائلة
باستنكار:

- ماذا تقولين؟ من الحمقاء يا مُغفلة

حورية بعفوية مُفتعلة

- لا تغضبي يا سيدتي رجاء اعتقد انها لم تقصد
إهانتك، ولكن زوجة عمي تتحدث بطريقة عفوية، و
ما في قلبها دائمًا على لسانها.

تدخلت ماجدة شقيقه عفاف بغضب

- لا تُبرري يا بنيتي أن كان هذا ما في قلبها فهي
من المؤكد اكبر مُنافقة رأيتها في حياتي.

هبت رجاء من مجلسها وهي تقول بضراخ من
المنافقة أيُّها الخُثالة؟

بلمح البصر انقلبت الأجواء وتعالَت الأصوات وبدأ
الجميع بتبادل الإهانات مما جعل فيروز تهب من

مجلسها وهي تصرخ بهم

- يكفى. ماذا يحدث ؟ هل فقدتم عقولكم؟

كانت عينيها تطوف بشراسة على الجميع إلى أن
استقرت على تلك الداهية التي لازالت بمكانها
ترتدي قناع البراءة ف توعدها نظرات فيروز بالهلاك
ولكنها لم تُبالي كثيرًا ليجذب انتباهها صوت السيدة
ماجدة حين قالت

- هل يُرضيك ما حدث منها؟ كيف تُهين شقيقتي
في بيتكم ؟

رجاء بانفعال

- لم اهينها بعد، و لكنني سأفعل ذلك إن لم
تُحترمين نفسك يا ماجدة.

ماجدة باحتقار

- انظروا من تتحدث عن الاحترام ! هل تملكين
ذرة منه يا رجاء لكي تتحدثي عنه !

بدأت السيدات بتراشق الإهانات و قد كان هذا
المنظر أكثر من مُمتع لتلك التي أخذت تتسلل إلى
الخارج بخفة تنوي الذهاب إلى غرفتها دون أن يراها
أحد فأخذت ترجع بظهرها إلى الخلف إلى أن وصلت
إلى منتصف البهو لتصطدم بذلك الجسد الصلب
كالجبال لتشهق بذعر وتلتف باندفاع كاد أن يجعلها
تقع لولا يديه اللتان أحكمت الطوق حول خصرها
فرفعت رأسها لتشتبك أُمواجهها المضطربة برماده

المُشتعل بين حدقتيه لثوان قبل أن يقول بنبرة
حادة

_ لماذا تتسللين كاللصوص هكذا؟ و لم تركتي
مجلس النساء؟

حاولت استجداء ثباتها أمام ناظريه ولكنها فشلت
لتقول بنبرة مُرتجفة

_ لا . لا أتسلل. إنما شُغرت بالتعب المُفاجيء،
فقررت الصعود إلى عُرفتي.

لم يرتح لحديثها و شُغر بأن هناك شيء تُخفيه و
هو شبه مُتيقن من أنه لن يُعجبه، ولكن استرعى
انتباهه صوت جلبة آتية من مجلس النساء فهتف
بتساؤل

_ ماذا يحدث في الداخل؟

أفرجت يداه عنها لتستغل تقدمه نحو غرفة
المجلس و تهرول إلى الأعلى ولكن وصل إلى
مسامعها صوت سلمى الغاضب

_ الحق يا جبار نساء عائلتنا تتقاتل في الداخل
بسبب تلك الفتاة.

_ كيف تفعل ذلك بي؟

هكذا صرخ زين بصوتًا انتفضت له جدران المنزل
ليهب الجميع مفزوعين إلى البهو حيث يقف ذلك

المارد وعيناه تقدحان الشرر فأتى سرحان القادم من
غرفة مكتبه الى حيث يقف زين الذي كان كالأسد
الجريح وقد تفهم سرحان حالته لذا قال بهدوء

ـ هيا لنجلس في الداخل و نتحدث .

هتف زين بغضب

ـ لن اتحرك من مكاني حتى تُخبرني كيف فعلت
هذا بي و بها؟

بدأ غضب سرحان بأن يطفو على سطح نبرته حين
قال

ـ اخفض صوتك يا زين ولا يصح ما تفعله؟

زين بقهر امتزج بنبرته الثائرة

ـ وهل يصح أن تحبسني و تزوج خطيبتي إلى
هذا الوغد ؟ كيف استطعت أن تُرسلها إلى ديار
اولئك القتلة ؟ فهي بحياتها لم تكره أحد مثلما
كرهتهم. كيف تفعل ذلك؟ كيف؟

عند هذا الحد لم يستطع سرحان التمسك بحبال
الصبر أكثر فهتف بصوتاً جهوري غاضب

ـ لم يكن بمقدورنا فعل اي شيء. لقد وجدوا
قداحتك بجانب جثة ولدهم. ألم أخبرك في السابق
بأن صداقتك مع ذلك الرجل ستجلب البلاء فوق
رؤسنا؟

صاعقة قوية أصابت الجميع من حديث سرحان

ولكن لم يُبالي زين الذي كان جريح القلب منذ أن
سمع عن خبر موت صديقه الذي كان يُخفي أمر
صداقته عن الجميع، ولكن شاءت الأقدار ليعلم عمه
سرحان و قد أخبره بأن علاقتهم عادية وأنه شخص
مُسالِم ليس ك عائلته

لم يُجبه زين لِيَتابع سرحان بتقريب

_ أعلمت ماذا قصدت من حديثي؟ هاهي تلك
المسكينة تدفع الآن ثمن حماقاتك.

تقدمت زهرة تقف أمام الرجلين وهي تقول
بصدمة:

_ هل حقًا ما يقوله عمك يا زين؟ هل كنت صديق
لذلك الرجل الذي قتل أباه والدك و عمك؟

لا يعرف كيف يشرح لها خاصة وهو بتلك الحالة
المُبعثرة و تلك النيران التي تنهش بقلبه لتتهف
زهرة بقهر و خيبة أمل

_ لما لا تُجيبني؟ طفلتي الآن بين برائن الذئاب
بسببك؟ هيا أجبني و أخبرني بأن هذه مزحة سيئة،
و انك لا تُفِرط بروح والدك و عمك بتلك الطريقة
المُشينة. أخبرني أن طفلتي لا تُعاني الآن بين أولئك
القتلة بسببك.

كان تنتحب بقوة و ينتفض جسدها و تؤازره
عبراتها الغزيرة لتسود عينيه و يهتاج الغضب
بداخله حتى أعماه ليهتف بجنون

- سأذهب و اجلبها من بينهم حتى ولو كلفني الأمر
قتلهم جميعًا.

- ماذا فعلنا لك لتجلب ذلك البلاء فوق رؤوسنا
جبار؟

هكذا صاحت فيروز التي كانت تُمسك رأسها الذي
يكاد الضداع ان يشطره نصفين ،بينما تربعت ملاك
أسفل قدمها تقوم بتدليكها حتى تهدأ قليلًا لتتدخل
رجاء الباكية و تقول بسخط

- أقسم أنها داهيه. لقد قلبت الأجواء بلمح البصر،
و جعلت تلك الخثالة ماجدة تنعتني بالمُنافقة
عديمة الاحترام. والله لو لم تكن زوجتك لكنت
صفعتها حتى اندثرت معالم وجهها الخبيث.

تعالَت شهقات رجاء و بجانبها سلوى التي كانت
غاضبة و حزينة بسبب ما حدث لوالدتها و كذلك
والدته التي كانت في حالة يرثى لها ليثور جواد
الذي غضب لأجل والدته

- هل ستصفت عن كل ما حدث جبار؟ لقد أوقعت
العائلة ببعضها البعض و..

لم يحتمل كل هذا النواح و الصراخ فهتف بصوت
أرعد الجميع

- اصمتوا جميعًا.

التفت ليتوجه إلى الأعلى وهو يتشاجر مع

خطواته التي كانت تحفر الأرض أسفله وهو يزمجر
بوحشية

- سأقتلها. اقسم انني سأفعل، و ليذهب ذلك
الميثاق إلى الجحيم.

وصلها صوته الغاضب فانتفض جسدها و لأول مرة
تهزّب بل و تتمنى لو كان بإمكانها أن تقفز من النافذة
اتقاء لغضب هذا الوحش الكاسر الذي دفع باب
الغرفة بكتفه لينخلع وينخلع قلبها من مكانه لدى
رؤيتها لهيئته المُرعبة

- الآن تختبئين كالفران أليس كذلك ؟

حاولت أن تبقى على مسافة آمنة منه و قد جعلت
الطاولة بينهم قبل أن تقول بنبرة مُهتزة بعض
الشيء

- انا لا اهزّب أبدا و لما الهرب وانا لم افعل شيء؟!
عض على شفثيه التي ارتسمت فوقها ابتسامة
حائقة قبل أن يقول بهسيس مُرعب

- لم تفعلي شيء ! و هل يوجد شيء لم تفعليه ؟
انت شيطان و لست بشر . مما انت مصنوعة ؟
أخبريني ؟

تناست خوفها منه و احتل الغضب تقاسيمها و
كعادتها أمامه تضرب بعرض الحائط كل شيء ، و
تشرع بنهم في استفزازه فأخذت تدق باصبعها فوق
شفثها السفلية وهي تقول بدلال قاصدة إغضابه:

– من ماذا صنعت يا حورية ؟ هل يكون من الملبن
يا ثرى؟

رغمًا عنه تشتت تفكيره حين استقرت نظراته على
شفاهها ثم مظهرها الفاتن الذي لاقى صدى كبير
بداخله؛ لتشتعل جذوة غضبه مرة أخرى حين تذكر
تلك الكارثة التي كانت على وشك الحدوث فهتف
بغنف:

– و تمزحين أيضًا ؟ ألا يكفيك كل تلك المصائب
التي فعلتها منذ الصباح؟

انتابتها الحيرة من حديثه الذي يرمي إلى شيئًا
آخر فهتفت باستفهام

– عن أي مصائب تتحدث ؟ لم افهم؟

برقت عينيه من شدة الغضب حتى كادت أن
تخرج من محجريها ليهتف بشراسة

– و تجرؤين على السؤال ؟ أي لعنة اصابتك
لترتدي مثل هذه الثياب و تنزلي للأسفل؟

تصنمت بمكانها و هي تناظره باندهاش هل جن
هذا الرجل ؟ فهي ارتدت مثلما يرتدي النساء في
مثل هذه المناسبات لما يقول مثل هذا الكلام إذن؟

– هل انت شخصًا طبيعي؟ أم أنك تبحث عن
أي شيء لشحاسبني عليه ؟ لم افهمك حقًا مابه
مظهري؟

احتار بماذا يجيبها فكيف يُخبرها بأنها كانت فاتنة

للحد الذي جعل جميع حواسه تقف عن العمل ثم
تعود بقوة كادت تؤدي به إلى الجنون حين كان
جواد على وشك الدخول و رؤيتها هكذا.

ـ ألم تنظرين إلى نفسك في المرأة؟ أم أنك تريد
أن تقلبي هذا المنزل لساحة قتال؟ تهبطين الدرج
وانت تتدلين كعارضات الأزياء بتلك الثياب التي
تكشف كل ما هو مستور بك ماذا لو كان هناك رجال
في المنزل؟

في بداية الأمر أرادت العبث معه فهي تعلم مقدار
جمالها الذي بدأ يتأثر به لذا أرادت أن تلاعبه على
طريقتها ولكنها لم تحسب حساب لغيرته الشديدة
و تلك الدماء الحارة التي تسير بـ أوردته وقد كانت
هذه نقطة أخرى سـُـحسب استخدامها لصالحها لذا
هدأت نبرتها حين قالت بتساؤل

ـ اتسائل حقًا ماذا كنت ستفعل لو كان هناك رجالًا
بالمنزل و شاهدوني هكذا؟

زمجر جبار بشراسة أرعدتها:

ـ كنت سأرسل إلى الجحيم كل من يرى هذا
المنظر.

ارتجف بدنها من ضراخه و كلماته التي توحى
بمقدار شراسته فأخذت تناظره بصمت بينما
اشتبكت الاعين بأحاديث كثيرة أولها لوم و آخرها
غضب تجلى في نبرته حين قال

– انتهت اللعبة حورية آل شريف، و لتجهزي الليلة
لصباحي زوجتي فعليًا.

برقت عينيها و مادت الأرض تحت قدميها وهي
تهتف بملامح باهته و شفاة مرتجفة

– أن. انت ماذا تقول؟

جبار بقسوة

– ما سمعته، فقد كانت تلك محاولتك الأخيرة
معي، و كعادتك اسأتي استخدامها لذا قُضي الأمر،
وستنفذين ما أمرك به.

حورية بشراسة

– لن يحدث هذا الشيء حتى في أحلامك.

جبار بجفاء

– لا تتمادين بتفكيرك، فاحلامي أنت بعيدة عنها
بعد السماء عن الأرض، ولكن ما أقوله هو واقع و
سأطبقه حتى ولو اضطرت لاستخدام القوة، فأنا
أعتقد أنه حان الوقت لتأديبك.

تلك المرة كانت عينيها تؤكدان على حديثه بطريقة
أرعبتها فلم تستطع السيطرة على جسدها و تلك
الرجفة التي اعترته بينما اهتزت جفونها من ثقل
ما تحمله من عبرات ليقطع تلك اللحظة صوت رنين
هاتفه ليتناول جبار مُجيبًا بفضاظة و فجأة تجمد
جسدها حين استمعت لاسم زين يأتي من الطرف
الآخر للمكالمة و ذلك الأجرام الذي أطل من نظرات

جبار ليهوى قلبها بين قدميها حين استمعت إلى
كلماته المغلولة وهو يقول

- إذا ظهر هذا الجبان أخيرًا! و يجروء أيضًا على
عبور أراضينا! جيد لقد جاء لقدره و سأكون أكثر من
سعيد وانا أرسله إلى الجحيم.

كان يقول جملته الأخيرة وهو يتوجه إلى باب
الغرفة لتهرول حورية خلفه ثمسكه من ذراعه وهي
تهتف بقوة تنافي دُعرها الكبير

- توقف عندك. ماذا تنوي أن تفعل معه؟

قالت هذه الجملة وهي تقف سدا منيعا بينه وبين
باب الغرفة ليجن جنونه من دفاعها عن رجل آخر
أمامه فهتف بشراسة

- ابتعدي من أمامي.

عاندته صارخة

- لن افعل، ولن اتركك لتؤذيه حتى ولو قتلتني!

باغتتها تلك اللكمة التي وجهها للحائط خلفها وهو
يُزمجر بشراسة

- وتجروئين على الدفاع عن رجلًا غريب أمام
زوجك؟ كيف تكونين بهذا الانحطاط؟

- زين ليس غريبًا. لقد كان...

قاطع حديثها يده التي قبضت على عنقها بقوة
كادت أن تكسره ولكن ما كان مُفزعا ذلك الهسيس

الخشن الذي خرج من بين شفثيه التي كانت قريبة
للفاية من خاصتها حين قال

- اعلم ماذا كان جيدًا، و لهذا أعدك أن أضيف
رأسه إلى قائمة هدايا الزواج خاصتك.

دفعها إلى منتصف الغرفة ليقوم بفتح الباب ولكنه
تجمد بمكانه حين استمع الى كلماتها

- أقبل أن أكون زوجتك الليلة شرط أن تتركه
وشأنه.

التفت جبار بروية لينأظرها بجمود قبل أن يقول
بنبرة جافة

- ماذا تقولين ؟

بقلب متألم وروح مُلتاعه اقتربت لتقف أمامه
وهي تقول بمرارة كانت كطعم علكة تتوق بشدة
لبصقها

- اقول بأنني اوافق أن أكون زوجتك فعليًا شرط
ألا تؤذيه.

- شيخ سرحان. ستقوم القيامة.

هكذا هرول أحد الحرس إلى سرحان الذي هب من
مكانه وهو يقول بقلق

- ماذا هناك يا ولد ؟

- السيد زين يتوجه بسيارته إلى قصر آل فارس، و

خلفه السيد مصطفى.

هو قلبه دُعْزًا بين قدميه ولكنه لم يكن يملك
وقتًا للخوف فصرخ ملء صوته

- اجمع كل رجالنا واتبعوني.

كان يقود سيارته وعينيه لا ترى سوى شيء واحد
حوريته بين يدي ذلك الرجل. كانت هذه الفكرة
تجعل قاب قوسين أو أدنى من الجنون مما جعله
يزيد من سرعته وخلفه مصطفى يحاول بشتى
الطرق اللحاق به إلى أن استطاع أخيرًا أن يتقدمه
و يقف أمام سيارته ليضغط زين بقوة على مكابحها
حتى لا يصطدم مع مصطفى ل يتعاضم جنونه
و يترجل من السيارة وهو يهتف بصوتًا جهوري
غاضب

- ماذا تفعل ايها الغبي؟

ترجل مصطفى هو الآخر من مكانه وصاح بانفعال
- احاول منعك من قتل نفسك، و فتح أبواب
الجميع الجحيم مرة أخرى.

زين بقهر و نبرة صارخة:

- وهل ظننتم أنكم بـ فعلتكم الدنيئة تلك اغلقتوا
ابوابه؟

مصطفى بانفعال

- اي دناءة فعلناها؟

- إذن ماذا تسمي القائكم لتلك المسكينة ككبش
فداء لأولئك الشياطين؟!

مصطفى بنفاز صبر

- الأمر ليس كذلك. لما لا تريد أن تفهم؟ لقد عقدنا
ميثاق سلام بين العائلتين، و هذا السلام يضمن أن
تحيا حورية بينهم بسلام.

زين بضراخ

- أي سلام بين قتله؟ هل أنت معتوه أم ماذا؟
قاطع حديثهم أصوات سيارات قادمة من الخلف
لتتوقف أمامهم مباشرة و يترجل منها جبار الذي
قال بشراسة

- أهلاً بالجبان الهارب.

ساقني إليك قدر لا اعلم هل كان يُعاقبني؟ أم
أنه أراد أن يكف عني أذاه! ولكني بت مُتعبة للحد
الذي جعلني لا أريد التفكير بأي شئ فقط أتمنى أن
أغْمِض عيني إما للأبد أو لجنة تخلو من شياطين
الفراق و الألم.

نائمة وسط مخدعها ترتجف كطفلة صغيرة
تطاردها الأشباح تسكب غيومها عبرات حزينة و
ينتفض قلبها بآلم على كل ما يحدث معها، ف لأول

مرة بحياتها تستجدي أحد بل تعرض نفسها بتلك
الطريقة الرخيصة ولكنه مازاد ذلك الطاغية الا
شراسة و جحود تجلى في نبرته حين قال :

_ ما هذا الذي تتفوهين به ؟

حورية بنبرة مُشجبة واهنه كانت جديدة كَلِّيا
عليها

_ سمعت ما قلته جيذا. لما تُريد مني أن أكرره؟

جبار بشراسة أجفلتها:

_ أردت التأكد من أن عقلك لا يزال في رأسك ولكن
اتضح انك اضعته يا حدى الطرقات، و سأكون سعيدا
بأعادته إلى مكانه ولكن على طريقتي الخاصة.

رفعت رأسها تناظره بألم قابله بغضب مُربع تجلى
في نبرته حين قال

_ أغربي عن وجهي.

دفعها على السرير وتوجه للخارج، و أغلق الباب
بالمفتاح لثُهرول حورية خلفه وهي تدق الباب
بصراخ لم يؤثر به قيد أنفلة أو هكذا ظنت، و ها هي
مرت ساعات طويلة لم يأتي ولم يأتيها اي خبر حتى
كاد الانتظار أن يُذهب عقلها، فارتمت على السرير
تبكي و تنوح، فهي لا تملك أي شيء غير ذلك لتفعله.

فجأة اخترق سمعها صوت قفل الباب يدور لتهب
من مكانها حين شاهدته يطل عليها بجسده الضخم

و عينيهِ تَبرقان من شدة الغضب ليهوى قلبها دُعْراً
جعل قدماها ثقيلتان وهي تتوجه إليه تجر ذيول
الألم والخوف لتقف أمامه قائلة بنبرة متحشجة

_ ما. ماذا حدث ؟ هل ؟ هل قت...

_ لم أقتله.

هكذا تحدث بجفاء أطل من عينيهِ التي كانت
صادقة بالرغم من كل شيء لثَغْمُض عينيها براحة
لم تَدم طويلاً فقد أتاها صوته الخشن بجانب أذنيها
حين قال

_ هيا لـ تبدأ بتنفيذ جانبك من الاتفاق.

برقت عينيها من وقع كلماته الثقيلة على قلبها،
الذي تشنجت دقاته حد الجنون الذي احتل أنفاسها
فأخذ صدرها يعلو ويهبط من فرط ما يشعُر به من
خوف و استنكار لما يقول ولكنها لم تكن تملك خياراً
واحداً تلجأ إليه ولو كان موتها لذا قالت أخيراً بنبرة
جافة

_ حسناً.

مظهرها كان مُذرياً عينيهِ احترقت سمائهم فبدت
حمراء وكأنها آتية من الجحيم من فرط ما ذرفت من
العبرات و ملامح شاحبة مُتجهمة وجسد يرتجف
رغماً عنها فامتدت يديها تحاوط بها نفسها وهي
تقف أمام المرأة في الحمام تتجهز من أجل أن تُساق
إلى الموت بأقدامها، فكانت و كأنها تتجرع السُم عن

دراية، و لأول مرة بحياتها تكره نفسها و جسدها
إلى ذلك الحد، فقد كان ذلك القميص الأسود
الذي ضاعف فتنتها يبرز جسدها بسخاء و كذلك
اشمئزازها منه ومن نفسها و مما هي مقدمة عليه
ولكن لا مفر فحياة من تُجبههم على المحك.

قامت بجلب أحمر الشفاه الذي كان بلون النبيذ و
زينت به شفاهها المرتجفة، واسنانها تصطك فوق
بعضها البعض بقوة، ف أطلقت العنان لصرخة غضب،
مزقت جوفها من الداخل فقد شعرت في تلك
اللحظة بأن قلبها سيتوقف من فرط ألمه

عبأت صدرها بالهواء قبل أن تخطو أولى خطواتها
إلى الجحيم، فقامت بفتح باب الغرفة لتجده يقف
أمام الشرفة يُعطيها ظهره ليقوم ب الإلتفات بروية
ما أن سمع صوت خشخشة خفيفة خلفه، فتجمد
جسده لشوان وهو يقف أمام كل هذا الجمال الذي
يتناقض بقوة مع هذا الحزن الذي يُسيطر عليها،
و يتخلل رُقة عينيها التي كانت تُحاكي رُقة
الياقوت النادر الذي يتخلله بخُبت بعض الشعيرات
الدموية الناتجة عن بُكائها، و رغماً عن كل شيء فقد
انتابته رغبة قوية في ضمها و تهدئة هذا الخوف
الذي يسكن عينيها ولكن فتنتها و جمالها الباهر لا
يُساعدانه أبداً

رفعت عينيها تناظره بجمود وهي تقف أمامه لا
يفصلهم سوى عدة خطوات بسيطة قطعها بهدوء
حتى أصبح يتشارك معها الأنفاس خاصة حين

أحنى رأسه ليصل إلى مستوى طولها و امتدت
أنامله الخشنة تقبض على أكتافها العارية ف ارتجف
جسدها بين يديه مما ضاعف من رغبته الحارقة و
لأول مرة بحياته يشغُر بأنه فقد اتصاله بينه وبين
عقله إضافة الى أن جميع حواسه تمردت عليه و
اشتتهتها بقوة بينما كانت تشغُر بأن دقائقها تتقاذف
بغنف ألم صدرها الذي اختلت أنفاسه الفرتجفة
لتصطدم مع أنفاسه المحرورة و حين كاد أن يقترب
منها فجأة ظهرت أمام عينيه صورة عمران وهو
مُسجى فوق الأرض غارقاً بدمائه ل تجتاحه نوبة
نفور جذبتة من لُجة الرغبة التي اجتاحتته، فأرعدت
سماء عينيه بغضب و رغبة نهمة للثأر كانت هي
فريستها ليراها للحظة ليست سوى ابنة القتلة لذا
فهي لا تستحق ذرة شفقة واحدة فاقترب من أذنها
هامساً بحروف جافة مُدججة بالاحتقار :

— هل تعلمين شيئاً؟ لا تُغريني كثيرًا تلك العروض
التي تُقدم مجاناً لذا اذهبي. لا أريدك.

طعم يشبه الصدا تفشى بحلقها و كُتِمت الحروف
بفمها للحظة فأخذت سُحبها بالتخبُّط لثُمِطر ألما
تناثر فوق خديها بغزارة وهي تناظره و كلماته
المُهيينة تتردد بعقلها، فكان مظهرها مُريباً ولدهشته
فقد كان لا يحتمل رؤيتها بهذه الحالة ولا يدري لما؟
فتولدت بداخله شحنات حاقدة على نفسه وعلى
كل شيء فصب جم غضبه عليها ليقول بقسوة
افزعتهَا

- اغربي عن وجهي هيا.

بأقدام كانت كالآله توجهت إلى غرفتها لثقل الباب خلفها و تستند عليه وهي لازالت غير مستوعبة لتلك الإهانة المقيتة التي تعرضت لها. كل ما تشغره به ألم مروع داخل صدرها لا تستطيع احتماله، فخانتها قدمها و هوت بها على الأرض الصلبة بينما نظراتها ظلت شاخصة للبعيد، فمر بعض الوقت الذي تجهل هويته و الألم يزداد بطريقة سيئة حتى أن تلك الأنهار التي اهدرتها لم تفلح في التخفيف منه، و بلحظة اسودت الدنيا بعينيها، و صارت الحياة لعنة تتمنى الخلاص منها لذا تقدمت إلى منتصف الغرفة تبحث بعينيها كالمجنونة على أي شيء قد يساعدها في تنفيذ ما انتوته ولكن لسوء حظها لم تجد شيء لتقوم بفتح باب الغرفة و التوجه رأساً إلى الشرفة تنوي إنهاء لعنتها للأبد، ولكنها لم تعلم بأنها لم تكن الوحيدة التي تتألم فقد كان يتوسط مخدعه واضعاً يده فوق رأسه بعد أن وقع فريسة للألم و تأنيب الضمير و صورتها المفجوعة لا تفارق خياله ليتفاجأ بتلك التي كانت و كأن مساً من الجنون طالها فقامت بفتح باب الشرفة لتندفع إلى السور تنوي إلقاء نفسها و نظراً لأنه غرفتهم في الطابق الثالث فموتها أمراً محتوم

و بالفعل أرخت جسدها فوق سياج الشرفة و هي مغمضة العينين لم تعد تريد أن ترى أي شيء من هذه الحياة...

الميثاق السادس

أحيانًا نشعر أننا لا نرغب من الحياة سوى الحياة
نفسها بأبسط مفاهيمها. كأن نتنفس الهواء دون أن
يضيق صدرنا بكدر . أن يذوق قلبنا دون أن تؤلمنا
دقاته، أن لا يقتصر قوس الأيام على الرمادي فقط،
فإن كانت السعادة أمرًا بعيد المنال فيكفي الهدوء.
أن تسكن الروح بأمان. أن لا نضطر لمحاربة أوجاع و
مخاوف لا يملك القلب طاقة لفجابتها.

حين كادت أن تُلقي بنفسها في الهواء راجية
الراحة الأبدية بخلت عليها الحياة بأمنيتها لتشعر
بقبضته الحديدية حول خصرها تجذبها بقوة نحو
الداخل فكانت إذنا لحل عُقدة لسانها فأخذت تصرخ
بقوة وهي تتخبط بين يديه تحاول الفكك من
قبضته :

– اتركني أيها الوغد. اتركني يا لعين. اتركني حتى
أموت وانتهي من ذلك البلاء.

لم يلتفت لكلماتها الغاضبة ولا لتخبطها بتلك
الطريقة بين يديه إنما شدد من إمساكه لجسدها
يجرها إلى الداخل، وحين لم تهدأ مقاومتها قام
بحملها و إلقائها فوق السرير وهو فوقها كلاهما
يتنفسان بقوة جعلت صدورهم تعلو و تنخفض

بُغِفَ حد اصطدامهم ببعضهم البعض بينما هناك
حربًا من النظرات دائرة، فلأول مرة بحياته يرى
عينين فانتتين إلى هذه الدرجة يتخللهم كل هذا
الكُره الذي تساقط من بين حروفها حين صاحت
بانفعال :

ـ ابتعد عني، و لا تلمسني مُجددًا.

كان ضراخها كالنشاز فوق مسامعه إضافة إلى
كلماتها التي أيقظت وحوش الغضب الكامنة بداخله،
لتقسو أنامله فوق ذراعيها التي كان يُكبلهم فوق
رأسها و تحتدم نبرته حين قال بلهجة فظة:

ـ اسمعيني جيدًا. لم تُخلق من تأمر عبد الجبار
الفارس بعد.

استشاطت غضبًا فوق غضبها فأخذت تتململ
أسفل جسده الفُطل على جسدها وهي تقول بكُره
شع من بين حروفها

ـ اللعنة عليك يا عبد الجبار الفارس انت و...

وجد نفسه بين خيارين إما أن يقتلها كما يهوى
عقله او يقتل تمزدها و غضبه منها بين شطي ثغرها
الفُثير كما يشتهي قلبه، والذي نجح في تسيد
الموقف وإمساك زمام الأمور، ليبتز باقي جملتها بين
شفتيه التي انتزعت منها تمزدها و غضبها و ذلك
الرحيق المُسكر الذي أخذ يغترف منه بنهم وهو
يسحقها بين طيات صدره الخافق بجنون لم يختبره
مُسبقًا. جنون جعله يُعمق من التحامهم أكثر و

أكثر بعد أن نجح في حجب هتافات عقله و تنحيه
من القيادة التي كانت من نصيبه طوال خمسة و
ثلاثون عامًا مضت، والآن تبدل كل شيء أمامها،
فكان كشخص جاع لسنوات و الآن قُدم إليه أشهى
أنواع الطعام، فأى إرادة تلك التي ستصمد أمام هذا
الإغواء؟

بينما كانت هي الأخرى بعالم آخر تُقاوم غضبها
الذي اندثر دون تدخلها و تنحى أمام رغبات عاتية
اجتاحت عُذرية جسدها و مشاعرها فوقعت فريسة
هي أيضًا لهياج عقلها و استنكاره لما يحدث بينما
هناك زوبعة من الأعاصير تفشت في قلبها الذي لم
يأتي اسمه من فراغ فقد انقلب ضدها و تأثر كثيرًا
باقتراب ذلك الرجل الذي فصل اقترابهم للحظة
طافت به عينيه فوق ملامحها و ثغرها المُتورم
لتشتد عاصفة رغبته التي حجبت إدراكه لما تفوه به
حين زمجر بخشونة:

ـ اللعنة. ما هذا السحر المُذاب بين شفتاك؟

دق قلبها بقوة و كادت أن تُفلت منها شهقة قوية
ابتلعها بجوفه حين اقتنص شفاهها مرة أخرى و
هذه المرة طال الأمر و اشتد هجومه الكاسح عليها
و خاصة حين تجرأت يده على جسدها بطريقة
خشنة بعض الشيء، فضاقت صدرها حتى أوشك
على الانفجار طالبًا للهواء بينما كان هو ذائب كليًا
تحت وطأة رغبته القوية فقد كان على وشك
إلتهامها فهو رجل ضخم قوي البنية، طاقته

أضعاف طاقتها، فالأمر أشبه بمواجهة ضارية بين
قطرة صغيرة و نمر ضخم، لتفقد القطرة قدرتها على
المقاومة و يهدأ جسدها بعد أن جرفها الإغماء من
فرط التعب ليذق ناقوس الخطر بعقله و يبتعد عنها
بلهفة وعينية تطوف على ملامحها بخوف و حين
شاهد سكونها هب من مكانه مفزوعاً و قام بجلب
قنينة عطر أخذ ينثره حول أنفها لتبدأ في إستعادة
وعياها ببطء وهو بجانبها لا يعرف كيف يُفسر
شعوره نحوها ما بين الخوف و الرغبة التي لازالت
موقدة داخله لشعور آخر يتسلل خلسة داخل صدره
لا يستطيع تفسيره ولا يجد ما قد يصفه.

— هل أنت بخير ؟

وصلها صوته الخشن وهي بين اليقظة و المنام
لتبدأ رويداً رويداً في استعادة وعيها الكامل
فتلسعها لمستته الخشنة فوق وجهها، فقد باغتته
أناملة لثلي رغبة قوية داخله في لمس ملامحها
الفاتنة وهي بهذا السكون خاصة حين أطلت عليه
زرقاوتها ببريقهم الذي كان يشع حد اختطاف
أنفاسه فمرت لحظات خاطفة بينهم كان كلاً منهما
يرى الآخر بطريقة مُختلفة مُجردة من الألقاب التي
تحمل أوزاراً يدفع ثمنها الأبرياء.

لم يذم ذلك السكون الذي كان يكتنفهم طويلاً، فقد
انتفض جسدها بغضب تنائر من بين حروفها وهي
تدفعه بقوة:

- ابتعد عني أيها الوقح. كيف تفعل هذا ؟ كيف
تجرؤ على لمسي دون إرادتي أي الرجال...

كمم كفه الخشن ثغرها بينما غمرتها عينيه بلهيب
الغضب ليقول بنبرة مُحذرة:

- إياك أن تُكملي حتى لا أرسلك للموت بأكثر
الطرق بشاعه، و لتعلمي أن صبري عليك ليس لشيء
سوى شفقة على حالتك المُذرية هذه.

حورية بشراسة:

- وفر شفقتك لنفسك قد تحتاجها قريبًا. أما أنا فلا
احتاج أي شيئًا منك.

غامت عينيه بحنق تجلى في نبرته حين قال:

- تتحدثين و كأنني لم أنقذ حياتك منذ قليل.
لولاى لكنت الآن ميتة.

حورية بغنف :

- كنت أفضل الموت على رؤية وجهك أنت
وعائلتك، و لتعلم بأنني أنا من تسببت بما حدث
في مجلس النساء، وإن لم تتركني وشأني سأطلق
شياطيني في هذا القصر لئرسلكم إلى الجحيم.

كانت تتحدث بانفعال جعل عينيهما تبرقان غضبًا
تفشى بسائر جسدها و انطبعت آثاره فوق خديها
لينبت الزهر على ضفافهم فأعطاهما هيئة قطعة
جميلة غاضبة. جانبًا منه يُريد مُراضاتها و آخر
يشتهي صفعها، و بين هذا وذاك تولدت بداخله رغبة

قوية ل إخضاعها بين برائته، فأنشئ مثلها ترويضها
سيكون أكثر من مُمتع بالنسبة إليه.

- تعلمين شيئاً؟ أثرت فضولي لمعرفة كيف
ستفعلين ذلك؟ لذا هيا أخرجي شيطاينك ولا
تُحجميها، فأنا ساكون أكثر من سعيد وأنا أروضها
وأزدها إلى الجحيم خائبة.

ذلك الرجل يُثير بداخلها نوازع العنف بطريقة لم
تعهد لها مُسبقاً لذا صرخت بملء صوتها:
- ابتعد عني أريد الذهاب الى عُرفتي.

- أنتِ الآن بها ولا داعي لأن أخبرك بأن ما حدث
منذ قليل خطأ كبير. الانتحار ليس حلاً أبداً، وإن
كنتِ قويه كما تدعين فيجب عليكِ مُجابهة أزماتك
وليس الهرب منها بتلك الطريقة المُخجلة.

امتقع وجهها من حديثه و ذلك التقرير الذي
يشوب لهجته وللحظة أعطته الحق بكل كلمه قالها
ولكنها حتماً لن تجعله يشغُر حتى بذلك لذا هتفت
بسُخرية محشوه بالغضب:

- هل لك أن لا تحشُر أنفك في ما يُخصني؟

- وهل إلقاءك لنفسك من نافذة عُرفتي أمراً لا
يُخصني برأيك؟

هكذا تحدث بتهكُم قبل أن تغزو عينيه نظرة
وقحة حين طافت على معالم أنوثتها البارزة من
غلاتها التي لازالت ترتديها ليُضيف بنبرة خشنة

يتراقص بها العبت :

- و أيضا إن أردتي الانتحار في المرة القادمة
فيجب عليك أن ترتدي شيئا مُحْتَشَما، لكي لا تُثيرين
ضجة وسط الأموات!

شهقة خافتة شقت جوفها حين تذكرت أمر ذلك
القميص الفاضح الذي لازالت ترتديه ف غمرها
الحر ج للحد الذي جعلها تدفعه في صدره بقوه
باغتته وهي تهرول إلى غرفتها تلعنه بكل اللغات
لتخرج من فمه ضحكة صاخبة على فعلتها الهوجاء.

الكثير من الامتنان يغمرني نحو الشروق الذي
أظنه دائما وعد غير منطوق بأن هناك خيزا
سيحدث. حين تشق خيوط الفجر دجى الظلام
ليتنفس قلبي من جديد. تزامن الليل والنهار
يُعطيني دفعة من الأمل بأن اشتداد الكرب دلالة
على قرب انتهائه، فالنهار لا يأتي إلا حين تشتد
ظلمة الليل، لذا و من كل قلبي أتمنى لو يأتي
الصباح على حياتي لشرق من جديد.

فتحت عينيها تشعر بثقل كبير في رأسها، فأحداث
البارحة لم تكن هينة أبدا ولكن جاء الصباح وهذا
أكثر من كاف لبث الأمل إلى صدرها، فنفضت عنها
غبار الكسل و توجهت إلى المرحاض و داخلها تتمنى
لو لا تراه أو تصطدم به و قد استجاب دعائها فلم

يكن موجودًا فأخذت حمامًا مُنعشًا و توضأت لكي
تُصلي حتى تسقط عن كاهلها كل تلك الأمور المُتعبة
و بعد أن انتهت فرضها قامت لـ تخلع ردائها فأتاها
صوت طرقات على باب الغرفة فظنت أنها ملاك
فتوجهت وهي تُخرج الاسدال من فوق رأسها لتقوم
بفتح الباب و القماش يُغطي وجهها وهي تقول من
خلفه

- اغلقي الباب خلفك فلا طاقة لي برؤية الوغد
أخاك، و إياك أن تُدافعي عنه أمامي..

توقفت الكلمات بحلقها حين خلعت ردائها فوقع
عينها على ذلك المارد الذي يسد الباب بطوله
الفارع واضعًا يديه خلف ظهره يُناظرها بجمود
كانت تحسده عليه في تلك اللحظة فبعد أن
تجاوزت صدمتها هتفت بحنق:

- لمن انا مدينة بشرف زيارتك يا ثرى ؟ هل
للجحيم الذي أرسلك لي ليفسد يومي بأكمله؟

وقاحتها لم تعد تُغضبه كما في السابق فقد شغل
بأنه يتلذذ بتلك الحروب الدامية التي تنشب بينهم
لذا حاول استفزازها قائلاً:

- لا اعلم لمن تدينين، ولا يُهمني، و بالمناسبة لقد
انتصف النهار و أنت نائمة لذا بدلاً عن وقاحتك هذه
يجب عليك أن تخجلي من نفسك.

ابتلعت حنقها و ذلك السباب الذي أطلقتته عليه في
رأسها لتقول بحنق

– ماذا تريد ؟

– هيا لننزل إلى الأسفل، لتتناول طعام الغداء
وسط الجميع.

شهقة مُستنكرة خرجت من بين شفتيها لتقف
أمامه مُتخصرة وهي تقول بتهكم:

– ننزل و نتناول ؟ من أين أتيت بتلك النون التي
تجمعنا يا ثرى ؟

جبار بنبرة يفوح منها رائحة الكبر و يتخللها
التحذير:

– أن أردت جعلت جميع حروف اللغة العربية
تجمعنا، و أنت تعرفين ذلك !

عضت على شفتيها حانقة قبل أن تقول بنبرة
حاولت أن تكون ثابتة:

– استمع إلي. انا لا أريد الشجار معك و إفساد
الباقى من يومي. يكفي أنني وسط قصر الأشباح
هذا. لذا أنصحك بالابتعاد عني، فلن يجمعني بكم لا
طعام ولا شراب.

توقعت منه كل شيء إلا إجابته حين انتقلت
عينيه إلى ساعة يده قبل أن يُعيد نظراتها إليها مرة
أخرى وهو يقول بفضاظة:

– أمامك خمسة عشر دقيقة لتجهزين بهم ريثما
أقوم بعمل مكالمة هاتفية هامة.

لم يتوقف ليستمع الى ردها إنما توجه إلى داخل
الغرفة فتبعته وهي تتشاجر مع خطواتها ليتوقف
فجأة فكادت أن تصطدم به لولا يداها التي التفت
حولها لتفادي سقوطها أرضاً لتشتبك أعينهم بنظرة
طويلة كان كليهما يُبجر في أعماق الآخر ليدور
استفهام مُلح داخل عقله:

- لم بكل مرة يشتبك معها ينتهي بهم الأمر وهي
بين يداها بتلك الطريقة ؟ هل ما يحدث مُجرد ضدف
أم أن القدر أراد التلاعب بهم قليلاً ؟
- اتركني .

هكذا قالت بجفاء حين تقهقر ثباتها أمام نظراته
العميقة لثفلتها يداها على مهل بينما عينيه لا زالت
تأسراناها، فحاولت الهرب من سطوتها حين تمتمت
باقتضاب:

- انا مُتعبة ساعود الى النوم، ولا أريد أن أكل.
- هاربة.

هكذا تحدث بتسلية حين وجدها تندفع إلى
غرفتها لتتوقف أمام الباب قائلة باستهجان:

- عفواً. ماذا قلت ؟

- و جبانه أيضاً.

برقت عينيها حين رأت التسلية بعينيه و سمعت
كلمته التي أثارت حنقها لتقول بجفاء:

- توقف عن إلقاء الكلمات فهذه لعبة الأطفال.

- و الهرب أيضًا تصرفات أطفال.

- و مما أهزب يا ثرى؟

استفهام حائق صدر من بين شفتاها قابله بالتسلية
حين قال:

- أبحث عن الإجابة عندك وليس عندي، والآن
لأنهي ذلك الجدل اللعين و لنهبط إلى الأسفل،
فليس لدي اليوم بأكمله لانتظارك!

قال جملته الأخيرة بجدة افزعته داخلها ولكن
خارجيًا لم يصدر عنها شيء فقد التفت لـ تدلف إلى
غرفتها وهي تتوعده بالهلاك سرًا.

بعض مُضي نصف ساعة مُتعمدة من جهتها
توجهت إلى الخارج وهي ترتدي سروال باللون
الأبيض و فوقه قميص زهري يصل طوله إلى فوق
ركبتها بقليل و على قدر احتشامه كان مُلفًا خاصةً
بتلك الخصلات الشائرة حولها و التي تُعطيها هالة
من الطاقة تجعلها مُشعة متوهجة بشكل يبعث على
التفاؤل و الحماس

- هل انتهيت من تقييمي يا ثرى ؟

هكذا هتفت بحنق قاصدة استفزازه فأجابها بنبرة
جامدة وهو يتحرك إلى باب الغرفة:

- أجل. في الحقيقة أصابني الفضول لرؤية نتيجة
النصف ساعة التي اهدرتيها و أنتِ تتجهزين .

حورية باستنكار

_ اهدرتها!

جبار بلا مبالاة مُتعمدة :

_ أجل، فأنا لم أرى أي جديد.

تقدمت منه حين أعطاها ظهره و خرج لتهتف
بحنق:

_ أعمى البصر و القلب.

وصلته هممتها الحانقة ليبتسم بهدوء وهي خلفه
يهبطون الدرج في طريقهم إلى الداخل و رغقا عنها
شعرت برهبة قوية تغزو صدرها فهي لم ترى أحد
منهم منذ البارحة، ولا تعرف كيف انتهى العراك
بينهم، ولكن تلك النظرات الحانقة التي شملتها
فيروز بها كانت إجابة صامتة بأن الأمر لم يفر بخير
_ اجلسي.

هكذا تحدث جبار بخشونة لثطيعه مكرها،
فباغتتها كلمات فيروز الحانقة:

_ خيذا. هل أخيرا قررت الخروج من غرفتك و
التعزف علينا!

أجابتها حورية باستفزاز و لا مبالاة تقصدت منها
إثارة حنقها:

_ أجل. مع الأسف.

نجحت في استفزاز فيروز التي قالت بحدة:

– مع الأسف! و تجرؤين على التواثق معي أيضًا ؟
ألا يكفيك ما حدث البارحة بسببك؟

حاولت حورية ارتداء قناع اللامبالاة و تجاهل تلك
الإهانة حين قالت بلامبالاة:

– ما الذي حدث البارحة ؟

– ما هذا البرود ! ألا تعلمين ماذا فعلتي ؟ ام
تدعين ذلك ؟

هكذا تحدثت رجاء بحنق قابلته حورية ببرود كان
كالبارود الذي تفشى في صدور الجميع:

– لم افعل شئ. هل تقصدين ذلك العراك الذي
حدث البارحة؟ ليس الذنب ذنبي ان كنتم تغارون
من بعضكم البعض. لقد كانت جملة عفوية خرجت
دون قصد مني و بسببها ظهر ماتخفونه خلف ستار
التملق و النفاق.

رجاء بانفعال:

– هل تنعتيني بالمنافقة؟

حورية ببرود ثلجي:

– لا. لم أكن أنا. بل كانت تلك السيدة لا أذكر اسمها.
تقريبًا ماجدة! أجل هي.

هتف جواد بحنق وهو يدلف إلى داخل الغرفة

– هل تتعمدين أن تذكريها بما حدث؟

التفتت حورية إلى جواد الغاضب ثم نظرت إلى
يديه التي لازالت مُعلقة في عنقه وهتفت بسخرية
يشوبها الاستفزاز:

- أهلاً بالولد الفدائي. ألم تُعلمك تلك الرصاصة
التي اخترقت ذراعك ألا تتدخل في ما لا يُعنيك؟
أو اقوم بالتصويب على يدك الأخرى لتفهم الدرس
جيذاً.

تحدث حكيم بهدوء و تشفي:

- لعين في موقف حرج.

شعر جواد بتدفق الدماء في أوردته كالحمم التي
جعلت عينيه تحرقانه من فرط احتدادهم، فتلك
الداهية أوشت به أمام النساء و سلمته بمنتهى
الهدوء، بهتت معالم الجميع من حديثها فهتفت
رجاء بصدمة:

- ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ هل ما أسمعته حقيقي؟ أنتِ
من صوب على ولدي؟

اجابتها بذلك البرود الثلجي الذي كاد أن يُصيب
الجميع بجلطة دماغية:

- نعم. انا من أطلقت عليه، ولكن مهلاً لم أكن
أقصده كانت الرصاصة في طريقها إلى رأس أحدهم
ليعرضها هو.

عض جبار على شفثيه يُحاول منع يده من
الوصول إلى عنقها، فهي بارعة في الاستفزاز

بشكل لم يعهده في إنسان من قبل، و قد أشفق
على الجميع من حديثها. خاصةً و أنه لا أحد منهم
سيجروا على المساس بها فهي زوجته، وهذا أكثر
من كاف لجعل الجميع يبتلع لسانه أمامها .

شهقت رجاء بهلع فتابعت حورية بنبرة صبغتها
بالأسف:

- و من المفترض أن يكن هذا درسًا قاسيًا له،
ليتعلم ألا يتدخل في ما لا يعنيه ولكن أعتقد أن
عقله سميك و لا يفهم بسهولة، أو أن الرصاصة لم
تكن كافية.

لم تستطع رجاء إلا أن تهتف صارخة و هي تهب
من مكانها

- ماذا؟! هل تنوين قتل ابني ؟ ألم تكتفي من
إصابته ؟

حورية باستفزاز:

- لا لن يصل الأمر إلى القتل، فلن أضحي
بمستقبلي لأجل سبب تافه كهذا.
- جبار .

هكذا هتفت فيروز بحدة لتلفت انتباه جبار الذي
كان يحاول قمع ضحكاته بصعوبة فبالرغم من كل
شيء إلا أن وقاحتها تلك كانت مضحكة بشكل كبير
و أيضًا مظهر جواد الذي يكاد ينفجر من الغيظ:

- اجعل زوجتك تلتزم الصمت. يكفيها وقاحة، فلم

يسلم أحد من لسانها.

جبار بخشونة

- إذن اقترح أن لا يوجه أحد إليها أي حديث إن
كان لا يُعجبكم ما تقوله.

برقت عيني فيروز من حديث جبار الذي كان
فرماناً للجميع بالالتزام الصمت معها أو عدم تجاوز
الحدود، فحدجته فيروز بنظرة غامضة قابلها بأخرى
مُحذرة

لثباغتهم حورية التي هتفت بتملق:

- أوه. يا زوجي الغالي. كم أنت رائع؟ لا أصدق أنك
تهتم لمشاعري لهذه الدرجة..!

تشابهت نظراته مع نبرته المتوقعة حين قال:

- استمري على هذا المنوال و سيصدمك مدى
اهتمامي بمشاعرك.

اجفلتها كلماته و نجحت في جعلها تلتزم الصمت
لثمتهم فيروز حانقة :

- قالوا سـ يعطوننا امرأة من بيت آل شريف، و لم
يقولوا أنهم بصدد إرسال مُصيبة.

لم تفلح حورية في منع كلماتها الساخرة حين
قالت:

- انصحك ألا تذكرني المصائب لأن كل ما هو
منطوق واقع.

برقت عين فيروز و حين أوشكت على الرد دق
هاتف جبار الذي ما أن أجاب عليه حتى هب من
مكانه قائلاً بحدة:

— ماذا تقول ؟

هتفت حورية بنبرة خفيضة:

— رأييت ؟

هب الرجلان جواد و حكيم أمام نظرات جبار
الفرعبة و نبرته الحادة حين قال:

— سأكون عندك في غضون ساعة.

اغلق جبار الهاتف فاستفهم حكيم بلهفة :

— ماذا حدث جبار ؟

تشابهت عيني جبار مع لهجته القاسية حين قال:

— أحدهم قام بإحراق غابات الزيتون خاصتنا، و
قتل أكثر من ثلاثة من رجالنا.

شهقت رجاء و صدم جواد وحكيم الذي هتف
بانفعال:

— من هذا الوغد الذي تجرأ و فعل ذلك ؟

تدخلت فيروز وهي تنظر الى حورية بغضب و كره
فاح من بين حروفها حين قالت:

— الأوغاد معروفون حكيم، و القتلة أيضًا.

هوى قلبها دُعًا و انتفضت دقاتها من نظرات

فيروز و كلماتها و ،رغما عنها التفتت تناظره
لتصطدم عينيها بخاصته التي كانت غاضبة حد بث
الذعر في أوصالها.

اندفع جواد ثائرا

- اقسم لو كان لأولئك الأوغاد يد فيما حدث
سأمحي نسلهم من الوجود...

- يكفي جواد.

هكذا هتف جبار بصرامة، فلم تحتمل كل تلك
النظرات اللائمة، و الأخرى الكارهة لتهب من مكانها
تهرول إلى الأعلى غاضبة، خائفة، مُتألمة.

مر وقتا طويلا قبل أن تسمع طرقات خافته
على باب غرفتها عرفت هوية صاحبتها على الفور
فقامت بمحو عبراتها و هندمة مظهرها الفبعثر ثم
توجهت لفتح باب الغرفة و تقف أمام ملاك الحزينة
لأجلها ولا تعرف كيف تواسيها ؟ لتجد نفسها تقول
بتعاضف:

- كنتِ تبكين أليس كذلك؟

على الرغم من أنها لم تكن تُريد أن تراها باكية
أو ضعيفة ولكنها لم تستطع الصمت لتقول بنبرة
مُشجبة:

- أجل.

لا تعرف ما الذي عليها قوله في هذه اللحظة. او
لنقل أن الكلام لن يكون مُجديا في هذا الموقف

لذا تقدمت تعانقها بقوة قضت على الباقي من
ثبات حورية التي أفصحت عن ضعفها وخوفها و
انخرطت في نوبة بكاء حارة شاركتها بها ملاك التي
تأثرت كثيرًا من حالتها لتهتف حورية بأسى:

لقد تعبت يا ملاك. أقسم بالله أنني تعبت، و سأمت
من المقاومة و العراك، و التظاهر بالقوة.

حاولت ملاك مؤازرتها قائلة بحنو

– لن اقول لك لا تبكي، فربما البكاء يُريحك، و لكن
أرجوك لا تفقدي إيمانك و اعلمي أن الله عز و جل لا
يظلم أحد أبدًا.

تراجعت حورية إلى الخلف لتتجه إلى السرير
لتجلس بتعب لازم لهجتها حين قالت:

– أعلم، ولكن البشر ظالمين، و أكبر مثال على ذلك
وجودي بينكم الآن.

اقتربت ملاك لتجلس بجانبها ثمسك بيدها قائلة
بحنو:

– سأخبرك أمرًا قد لا تُصدقيه، ولكن الأيام ستثبت
لك ذلك.

ناظرتها حورية باستفهام، فتابعت ملاك بنبرة
هادئة تملك الكثير من الصدق:

– أفراد عائلتي ليسوا سيئين بتلك الدرجة التي
تتخيلينها. أُمي ليست قاسية كما تبدو، زوجة عمي
رجاء و ابنتها سلوى أيضًا طيبين إلى درجة كبيرة.

جواد، حكيم، و حتى جبار أنهم على الرغم من كل شيء ليسوا ظالمين.

أوشكت حورية على الحديث فأردفت ملاك
يالحاح:

— اعلم انك لن تقتنعي بحديثي الآن على الأقل،
و لكن دعيني أطرح عليك استفهام، و أتمنى أن
تجيبيني بصدق

اومات حورية برأسها لتقول ملاك باستفهام:

— ماذا لو تبادلنا الأدوار، وأنا الذي كنت مكانك،
و ذهبت إلى دياركم عروس؟ هل كنت سأحظى
بمعاملة أفضل من التي تحضلين عليها هنا؟

دار استفهام ملاك برأس حورية لثوان، وقد تخيلت
والدتها و كيف أنها تكره حتى حروف اللغة التي
تشكل اسم آل فارس، و قد تفعل بملاك ما هو أكثر
من ذلك ليس لأنها ظالمة بل لأنها مجروحة.

— لم لم تجيبيني؟

اخفضت حورية رأسها بتعب تجلى في نبرتها حين
قالت:

— اعلم ما ترمين إليه جيدًا، ولهذا أخبرتك بأن
البشر ظالمين، فلم تدفع أحدانا ثمن جريمة لم
ترتكبها؟ لم لا يُعاقب القاتل و يُسلم إلى العدالة لتهدأ
تلك الجراح النازفة؟

ملاك بقلة حيلة:

ـ هذا هو مجتمعنا للأسف، ولا نملك سلطة تغييره
انما التعايش معه.

اومات حورية بصمت أمام تلك الحقيقة التي بقدر
واقعيته تكررُها، و بقدر ما تكررُها لا تملك القدرة
على تغييرها

ـ هيا لننزل إلى الأسفل، فميعاد العشاء اقترب،
و أنتِ الآن لم تتناولي معنا وجبة طعام واحدة،
و أيضًا جبار تحدث في الهاتف و أخبر والدتي
أنهم في طريقهم إلى المنزل، و شدد على ضرورة
وجودك حين يصل.

اhtاجت من ذلك الطاغية الذي لا يملك ذرة مشاعر
واحدة. أبعد كل ما حدث يُريدها أن تتواجد بينهم؟
هبت من مكانها وهي تقول بغضب:

ـ أخبرتني بأن عائلتك ليسوا سيئين أليس كذلك؟
فهل لك أن تُخبريني من أي جحيم أتى شقيقك؟ أنه
الشیطان بعينه. هل يُريد أن انزل الى الأسفل بعد
كل ما حدث؟

تجاهلت ملاك إهانة حورية وقد استرعى انتباهها
شيء لذا قالت باندعاش:

ـ أتعلمين؟ هناك شيء مُثير للإهتمام يدور بينك و
بين شقيقي الذي تقولين عليه شیطان.

جفلت حورية من حديثها وقالت بفضول مُريب:

ـ ماذا؟ ما الذي تقصدينه؟

ملاك بتفكير:

ـ انا اعلم أخي جيدًا وهو شخص هاديء حد البرود، و الشيء القادر على أشعال غضبه يكون كارثيًا، و انت أيضًا من خلال حديثنا القصير أراك شخصًا هادئًا متعقلًا لم حين تلتقون تبدو ان و كأنكم في حلبة مُصارعة؟ انا بحياتي لم أرى عبد الجبار غاضب سوى مرة أو اثنان، و لكن منذ أن أتيتي رأيت الجحيم بعينه لأكثر من عشرون مرة. ما السبب يا ثرى؟

نعم هي مُحقة هي لم تكن شخصًا عصبيًا أو انفعاليًا فقد كانت دائمًا ما تُحسد على برود أعصابها التي تتلف بعد مرور ثوان وهي بجانبه. أنه استفهام مُثير للإهتمام.

زامور سيارة اخترق سمعهم، فاقتربت ملاك الى جانبها لتقول بنبرة يشوبها الرجاء:

لقد وصل جبار . هيا لننزل إلى الأسفل ولا تُغضبيه. تحتاجين إلى السلام أكثر من أي شخص في هذا العالم. لذا تحلي بالهدوء حتى تنعمين به.

تقاذفت دقات قلبها لا تعلم لم؟ حضوره أصبح مُربك بالنسبة إليها. إضافة إلى خوفها من أن يكون زين خلف ما حدث لذا أغمضت عينيها بتعب وهي تقول بنبرة يتخللها الخوف:

- ماذا لو القى اللوم علي وعلى عائلتي فيما
حدث؟

ملاك بتأكيد:

جبار ليس ظالماً، و أنت لم تفعل شيء. اتمنى
منك ألا تُثيرين ضجة في الخارج فقط.

أومات حورية باستسلام غريب كلياً عليها لتتوجه
إلى الخارج مع ملاك فوجدته يدلف من باب القصر و
خلفه جواد وحكيم فاقتربت منه فيروز قائلة بلهفة:

- ماذا حدث جبار؟ أخبرني.

جبار بنبرة قاسية بثت الذعر في صدرها:

- لقد احترقت الأشجار بالكامل، و قُتل أكثر من
خمس رجال، و الفاعل لم يُستدل عليه بعد.

تلقائياً ارتفعت الرؤوس، لتنصب النظرات فوق تلك
التي كانت تقبض على كفيها بغنف، فما أقسى أن
ثلام الضحية على دناءة الذئاب.

- وما الإجراء الذي اتخذتموه؟

هكذا تحدث فيروز بجفاء فأجابها جواد مغلولاً:

- لقد أبلغنا الشرطة بدلاً عن مُعاقبة الفاعل!

- جواد.

هكذا صاح عبد الجبار بلهجة قوية مُحذرة
فتدخلت رجاء قائلة بحنق:

- أيعقل يا جبار انك لم تعلم هوية الفاعل بعد؟!

زمجر جبار بغلظة اجفلت الجميع:

- لو علمت لكان الان في عداد الأموات، ولكن الآن
لم امسك دليلاً ملموساً، ولا أريد أي حديث في هذا
الأمر دون إذنًا مني.

أنهى جملته و توجه إلى غرفة مكتبه ليبقى
الجميع يُحدّقون ببعضهم البعض فهتفت فيروز
بحدة:

- ألم تسمعوا ماذا قال؟ هيا إلى الداخل.

أطاعها الجميع إلا من حكيم الذي انتظر حتى
اختفى الجميع بداخل الغرفة ليقف أمام عيني
فيروز المُتسائلة و يُجيب بنبرة جافة:

- لقد علم المجلس ماذا حدث و جاري التحقيق
في الأمر.

رفعت رأسها تُطالع حورية بغموض تجلى في
نبرتها حين قالت:

- إذن لن ننتظر كثيرًا لمُعاقبة الفاعل.

اجتمع أفراد المنزل حول تلك الطاولة الكبيرة
التي تحتوي على أشهى أنواع الطعام لمن يملك
شهية، وكيف تأتي شهيتها؟ وهي غريبة بين أولئك
الناس الذين لو استطاعوا لجعلوها طعامًا للحيوانات
المُفترسة ولن تتأبهم ذرة شفقة واحدة.

كانت عينيه تلتقمان يديها المرتجفة التي تلهو
بالطعام دون أن تمسه، فاجتاحته موجة غضب لم
يكن بحاجة لها في الوقت الراهن لذا استغل انشغال
الجميع ليقترّب منها خلسة وهو يقول بلهجة خشنة
بجانب أذنها:

ـ كفي عن اللعب و تناولي طعامك، حتى لا تقضين
الليل بأكمله جائعة.

اغضبها حديثه و طريقته في الكلام لذا أرادت أن
تجيبه بأن يذهب إلى الجحيم وحين رفعت رأسها
تناظره باغتها نظرتة الغائمة الى شفيتها لذكراها
بعقابها أن أفصحت عما يدور في مخيلتها :

تضرج خديها بدماء الخجل رُغمًا عنها ولكنها لم
تفلح في قمع إجابة ساخرة:

ـ لا اعلم ماذا اقول لك على ذلك الاهتمام

الذي تشملني به!

كانت تقصد إصراره على تواجدتها بينهم ولكن
باغتها إجابته حين قال بغموض :

ـ جيد أنك لاحظتي هذا الإستثناء الذي تحظين به
من قبلي.

لم تفهم ماذا يقصد ولكن جملته كان لها ضجيج
قوي في صدرها، فحاولت تجاهله وشرعت في
تناول الطعام، فقد كانت جائعة خاصة و أنها لم
تتناول شيئًا منذ الصباح، فلم تلاحظ نظراته التي

تسلطت عليها دون وعيا منه و منها لينتهي الطعام
أخيرًا ويتوجه الجميع إلى الداخل لتتقدم حتى
تجلس بجانب ملاك، ولكنها تفاجأت حين قال
بخشونة:

ـ اجلسي مكانك.

كان يشير بحديثه إلى هذا المقعد بجانبه، و على
الرغم من غضبها منه ولهجته الأمر فقد شعرت بأنها
ستكون آمنة بجواره لذا اطاعته بصمت أثار رييته و
فضوله، ولكنه لم يُعلق.

أخذ الجميع يتبادل الحديث وسط مُزاح جواد
و تعنيف حكيم له الذي لاحظت في نظراته شيئًا
خاصًا تجاه ملاك التي بدورها كانت تتحاشى النظر
إليه. مما جعلها تشغُر بأن هناك شيء مخفي بينهم

انتهت الجلسة أخيرًا دون أحداث تُذكر و توجهت
معه إلى غرفتهم بالأعلى و حين اغلق الباب خلفه
ذهبت إلى غرفتها على الفور وما كادت أن تدلف
إليها حتى اوقفتها كلماته الجافة حين قال:

ـ بدء من الغد ستتناولين طعامك بالأسفل مع
الجميع، مفهوم ؟

لم تكن تملك أدنى طاقة للجدال أو العراك لذا قالت
باختصار و لهجة مُقتضبة

ـ مفهوم .

كان هو على النقيض منها، فلم يُريد لهذا اليوم

أن ينتهي بهدوء هكذا. أراد أن يطيل الحديث معها حتى ولو كان عراقًا كما أنه هناك إستفهام مُلح يطن برأسه وهو يحاول تكذيبه لكن في النهاية لم يفلح بالإفلات منه لذا قال بفضاظة:

_ لم لست مُرتاحًا ل هدوئك هذا يا ثرى؟ ام انك تُخفين شيئًا عني؟

بدأت ثورتها بالإشتعال فبرقت عينيها حين قالت بجفاء:

_ و ما الشيء الذي سأخفيه برأيك؟
جبار بخشونة:

_ لا أعلم، إجابة هذا السؤال عندك!
حورية بنفاز صبر:

_ لا أملك أي إجابات على استفهامك.

باغتتها ذلك الاستفهام الذي خرج بتمهل من بين شفتاه حين قال:

_ ما حدث اليوم لم تكوني على علم به أليس كذلك؟



الميثاق السابع

أكرهك !

أكره ذلك الشعور باللذة الذي يملكني حين نتبارز
بالحديث و إلقاء الكلمات !

أكره تلك الرجفة التي تنتابني حين تتغزل بي
سهوًا، فتدق طبول الحرب بداخلي رغفًا عن هدوئي
المُعتاد !

أكره ذلك الاشتهااء الذي يملكني حين أكون أمام
عينيك فأتمنى لو أكون أجمل النساء !

أكره تلك الابتسامة الساخرة التي ترتسم على
ملامحك ما أن أغضبك فتولد بداخلي عاصفة
هوجاء !

أكرهك وأكره نفسي التي تشتهي كل ما سبق و
تخطو بي في طريق أعلم بأن نهايته سوداء !

اغضبتها كلماته و آلمتها كثيرًا ولكنها نجحت في
جعل نبرتها قاسية حين قالت:

- أن كنت تقصد ما حدث في حدائق الزيتون
خاصتكم، فلا أعلم شيئًا عنه سوى أن لا دخل
لعائلتي به.

كان الغضب و شيئاً آخر يمتزجان في عينيها ، ولكن
غضبه كان يطمس أي شعور لديه في تلك اللحظة
ليهتف بسخرية:

– تلك الثقة التي تتحدثين بها عن عائلتك مُثيرة
للإعجاب! أتعلمين ذلك؟

تقدمت إلى منتصف الغرفة لتقف أمامه مباشرةً
وهي تقول بحدة:

– بل انت الذي يجب أن يعلم بأن لا أحد من
عائلتي يُمكن أن يفعل ذلك الشيء. صدقت أم لم
تُصدق فنحن لسنا قتلة، ولا نتجبر على ضعيف أو
نتعرض لأعزل.

يعلم آلام ترمي بحديثها الذي استفزه كثيرًا ليقول
بنبرة قاسية تُشبه نظراته التي شملتها كليًا:

– إذن تنفين التهم عن ذلك الوغد؟

اشتدت رُقة عينيها ، فبدت بعمق المُحيط حين
قالت بقوة :

– ذلك الوغد كما تُسميه يُخصّص أكثر من نصف
راتبه الشهري و ما يأتيه من أموال العائلة لدور
الأيتام و الملاجئ. ذلك الوغد الذي تظن بأنه قاتل
أن رأى عصفورًا مجروح قد يقضي الليل بأكمله إلى
جانبه حتى يُشفى. أتعلم ؟ لقد تبرع بإحدى كليتيه
لمساعدة شاب في مُقتبل العمر كان يُعاني من
الفشل الكلوي ولم يجدوا مُتبرعًا ليتطوع هو، و

يُجري الفحوصات و يشاء الله أن تكن متطابقة مع ذلك الولد، ليقوم بإعطائه قطعه من جسده دون أي مُقابل. هل برأيك شخصاً مثل هذا يصلح أن يكون قاتل؟

أخطأت حين ظنت أنها بحديثها عن زين سثصلح صورته في نظر جبار الذي تدفقت الدماء كالجمم في شرايينه حتى برزت عروق رقبتة و اشتدت قبضته حين لامس ذلك الإعجاب الذي يتبلور في لهجتها و حديثها عن ذلك الرجل . لا يملك تفسيراً علمياً لشعوره المُريع في تلك اللحظة، و لكنه لو رآه الآن لقام بسفك دمانه في الحال، ولن يُبالي حتى ولو كان بريئاً كما تقول لذا زمجر بشراسة اربعبتها:

– أرى انك مُتأثرة كثيراً بشهامة هذا الرجل !

حورية بقوة لا تعلم من أين جاءتها:

– اعلم بأن هذا قد يُغضبك، ولكن نعم. انا متأثرة بل مُعجبة بـ شهامته ومروءته التي لم أرها برجل غيره.

باغتتها يدها التي قبضت على عنقها من الخلف ليلصق وجهها بوجهه و أنفاسه الموقدة تحرق بشرتها إضافة إلى نظراته التي غامت فجأة فبدا رمادها أسود يُشبه رماد الجحيم المُحترق إضافة إلى نبرته القاسية حين قال وهو يمد يده الأخرى لتقبض على عنقها من الأمام:

– تعلمين شيئاً ؟ سأكون أكثر من سعيد الآن وأنا

أقوم بكسر عنقك الجميل هذا.

كان يأسرها بجسده الضخم المتخم بالعضلات
بيئها الذعر بنظراته الفرعبة ولكنها حاولت التماسك
قدر الإمكان حين قالت بشجاعة تُحسد عليها:

ـ قد أشعر بالإمتنان نحوك لأول مرة إن فعلت ذلك.

كل حرف تنطقه في تلك اللحظة يُصيبه بالجنون
الذي تبلور في لهجته حين قال:

ـ تشتهين الموت على البقاء هنا. أليس كذلك؟

هتفت من بين اختناقها:

ـ أجل.

اشتدت يديه حول عنقها و أنفه مغروز بأنفها وهو
يقول بهسيس مُرعب

ـ تريدان العودة إليه ؟

أرادت استفزازه أكثر و كأنها كانت تشتهي الموت
حقًا فقالت باختناق:

ـ بلى.

أرعدت سمائه حتى برقت عينيه فقد احترق شيئًا
ما بداخل صدره لا يعلم لمَ و كيف؟ كل ما يعلمه
الآن أنه على وشك قتلها من فرط الجنون، لذا زمجر
بوحشية :

ـ إذن سأحقق لك أمنيتك ولكن على طريقتي.

تعاظم زعبيها منه فهتفت بخفوت:

_ ماذا تقصد ؟

جبار بشراسة اربعبتها:

_ سأجعلك تموتين في الدقيقة مائة مرة حورية آل فارس، و سأرسل ذلك الوغد الى الجحيم السابعة، و اعذك حينها أنك ستكونين مُمتنة لي كثيرًا.

تعلم أنها تمادت معه كثيرًا لو كان الأمر مرهونًا بحياتها وحدها لما اهتمت إنما ذلك الوحش لن يرحم احبائها لذا هتفت بقهر:

_ أخبرتك قبل ذلك إلا تقترب منه، و سأفعل ما أريده.

ألجمتها كلماته حين قال صارخًا و يده الخشنة قابضة على عنقها:

_ لا انتظر منك فعل ما أريده بل سأنتزع منك كل ما أريد. هل فهمتي؟

كانت على وشك الاختناق فهمست بخفوت:

_ أتركني. لا أريد حتى تنفس الهواء ذاته معك.

في تلك اللحظة ود لو يقتلها فعلاً لذا هتف بقسوة:

_ إذن فلتكتمي أنفاسك. أو تعتادين على انفاسي.

حتى وهي على مشارف الموت لازالت تُحاربه ولو خرج همسها ضعيفًا ولكنه يعلم هدفه بدقة:

- لن اعتاد عليها ولا على أي شيء يخصك.

مُثيرة للإعجاب بكل ما يُحيط بها، فلو كان رجلاً
بمكانها فلن يحتمل قوته ولا تهديداته ولكنها لازالت
تقاوم لذا خفف من قبضته دون أن تطاوعه يداه
لأفلاتها قبل أن يهتف بهسيس خشن:

- إذن عادت مخالِب القطة للظهور مرة أخرى ؟

ما أن بدأ الهواء يعود إلى رئتيها حتى عادت
للهجوم مرة أخرى قائلة بسخط:

- أجل، و لذلك ابتعد حتى لا تُمزق مخالبي وجهك.
- افعليها.

هكذا هتف بعد أن غامت عينيه بنظرات أصقلتها
رغبة عاتية جراء ذلك التماس المُباشر بينهم لثجيبه
بارتباك:

- ماذا ؟

- اقولك لك افعليها. هيا.

حاولت المناص منه ولكنها كانت كمن يحرك جبلا
شامخا لا يهتز فشغرت بالضعف يجتاح أوصالها لذا
هتفت بتعب:

- أريد الذهاب الى غرفتي.

- جبانة.

شعور غريب كان يحوي الضدين بداخله جزء
منه يريد تركها والآخر يأبى ذلك، و كليهم يحاربان
بشراسة وهي لم تكن تساعد على الإطلاق فقد
كانت مقاومتها و غضبها و حتى لسانها السليط
يصيبانه بلعنة الاشتهااء لقربها بطريقة لم يعهدا من
قبل

- وانت مُستغل . تعلم جيدا أنني لن اقوى على
هزيمتك، و لكنك تستغل قوتك لإخضاعني.

هناك نبضات أصابها الجنون بداخله و أحاسيس
رائعة تجتاح صدره وهو غارق بين أمواج عينيها
العاتية، و يزداد الأمر سوءً بتخبطها بين يديه بتلك
الطريقة لتتهاج نزعتة الذكورية في السيطرة على
أنشاه

- تعلمين شيئا ؟ يليق بك الخضوع كثيرا، لذا
سأحرص على إخضاعك دائما.

كلماته كانت تُخيفها و الأكثر من ذلك تلك الزوبعة
من المشاعر الغريبة التي أخذت تتسلل إلى داخلها
لثبعثره ولكنها قاومتها و قاومته قائلة بقوة:

- و أنا سأظل احاربك دائما حتى ولو ميت وانا
افعل ذلك.

جذبها بغتة إلى الحائط خلفها حتى أصبحت
بأكملها تحت حصاره أسيرة ل ظلمته التي اشتدت
بلا هوادة حين قال بنبرة مُدججة بالوعيد و شيء
آخر لم تفتن إليه:

— إذن استعدي قطتي فلدينا معركة قريبًا، أما الآن
فسأعطيك عقابًا صغيرًا لذلك اللسان السليط حتى
يتعلم ألا يتفوه بالحقايات مرة أخرى.

أنهى جملته و أخذ يقطف ثمار التوت الشهي فوق
ثغرها بضراوة افزعته. دون أن يستمع لإنذارات
العقل الذي عجز كليًا أمام سحر تلك المرأة التي
تتغلب عليه بشكل لم يعهده مُسبقًا، فتجعله لا يعي
شيء في هذه الحياة سوى وجودها بين يديه التي
أخذت تنقش لحنا مُغرنا فوق خصرها لتتقاذف
دقاتها بغُنف وهي تحاول التمسك بكل ذرة إرادة
تمتلكها لدفعه ولكن حين تأتي الخيانة من الداخل
تُكن الهزيمة أمر مُسلّمًا به، وهذا ما حدث لها فقد
انسأقت خلف سحرًا جذبها إليه منذ اللحظة الأولى
حين سقطت من الحصان لتجد نفسها في مواجهة
رجلًا رماديًا بملامحه الخشنة و عينيّه التي تشبه
ليلاً حالكا أوشك فجره على البزوغ، ولكن ما أن
عرفت هويته حتى استنكرت كل ما شُغرت به
حينها فهو من أعدائها بل ألهم. عند هذه النقطة
نشب الندم مخالبه في صدرها لتتفض ك الملدوغة
بين يديه تُريد الفرار من بين برائنه لتمحي عنها
ذلك الخزي الذي لطخ صفحتها البيضاء لتتفاجئ
بصوته الأَجش يهمس بجانب أذنها:

— لا تبتعدي.

همسه بتلك الطريقة إلى جانب ضعفها المُخزي

جعلوا التوسل يتخلل نبرتها حين قالت:

- اتركني جبار.

لأول مرة يستمع لأسمه من بين شفتيها التي أضفت مذاق العسل بين حروفه فكم يود الآن لو يرتشفها من فوق ثغرها لكنه كان يشغّر بتخبطها ولما لا ؟ فهو مثلها أيضًا لذا همس بنبرة عميقة:

- أريد فعل ذلك ولكن...

جرفها الفضول لتتلف باستفهام:

- لكن ماذا ؟

يعرف ماذا يُريد و ماذا تُريد، ويعي جيدًا ما معنى أن يكشف المرأ نقطة ضعفه لعدوه، و هل يوجد أسوء من ذلك ؟

تركها بغته بعد أن أحكم سيطرة لحظيه على رغبته و كل تلك المشاعر العاتيه التي تجرفه نحوها ليقول بصوتًا قاس:

- عودي إلى غرفتك ولا تخرجي منها حتى الصباح.

هيئته و عينيه الغائمة و يديه التي كان يقبض عليهم بشدة بالإضافة إلى سخطها على نفسها من استسلامها الفخزي له جعلها تستغل هذه الفرصة و تهرول إلى الداخل لتُغلق الباب خلفها بقوة توازي قوة دقاتها في تلك اللحظة.

شريدُ أنا في مَغيبك
كتائه بين أروقة الحياة ضلّ
يتلهف لعناق صفى
ضن عليه بالتلاق وبالوصل بخل
يهيم مُشجبا في دروب الهوى
ينعي عشقا بأغلال الفراق و أصفاده كُبل
يشتهي الوصال وإن أضنته شهيته
يُناجي الإله غوثة من غمقي جرح مُستعر
شاب الفؤاد وبات كهلاً دونك
كعمر بغياك غابث عينه و صار مُرّ
وروحاً مرقتها عواصف الجوى
وقلباً من فرط لوعته قد ثمر.

مرت أيام رغما عن صعوبتها ولكنها مرت. يكفيها
بأنه ابتعد عنها تماما ولم يغد أحد يُضايقها في هذا
المنزل، وقد علمت من ملاك ذات يوم بأن هذه هي
أوامره، و لأول مرة تشغُر بالامتنان تجاهه ولكنها
حتما لن تُفصح عن ما يجول ببالها، فبالرغم من أنها
شغرت بحرصه على أن لا يتواجد معها بأي مكان
سوى مواعيد الطعام و حتى بعد العشاء كان يبقى

في الأسفل إلى أن يمر الوقت الكافي ليضمن أنه لن يراها فيصعد إلى غرفته، ولكن لا تدري لم كان هناك وخزات حزينة غاضبة تنغز بقوة في منطقة منزوعة السلاح داخل صدرها. كانت تُحارب تلك الخزات بضراوة تحاول قمعها و القضاء عليها ولكنها كانت تُهاجمها في أكثر أوقاتها ضعفاً فحين يأتي ذلك الوقت و تصعد إلى غرفتها تجد نفسها تبحث عنه و عن رائحته ولا تطمئن إلا بعد أن تستمع الى صوت حركته في الغرفة الأخرى، غافله عن كيف هي مُعاناته حين يدلف إلى غرفته و تلامس أنفه رائحتها التي يعج بها المكان فتبدأ رحلته اليومية مع تلك المُعاناة التي بقدر ما يرفضها عقله يشتهيها قلبه الذي لا يعلم من أين أتى بكل هذا التمرّد؟ فقد كان سابقاً يظن بأنه بارع في السيطرة على كل شيء. كانت هذه حقيقة منقوصة فكل شيء خاضع لسيطرته إلا قلبه الذي يأمره الآن بخلع ذلك الباب اللعين الذي يحول بينهم فقد أضنته لوعه الابتعاد عنها لمدة شهراً كاملاً يتحدى به ثباته و إرادته التي كانت تضعف شيئاً فشيئاً و كأن فيروساً حاداً أصابها،

تسطح فوق مخدعه واضعاً ذراعه أسفل رأسه و آخر فوقها يحاول استدعاء النوم بشتى الطرق لتأتي رياح ظهورها بما تشتهي سفنه فقد شاهد باب عُرفتها يُفتح و تخرج تلك الحورية التي سلبت النوم من عينيه و الصفاء من حياته و تتوجه إلى خارج

الغرفة بأقدام سلحفية جعلت جميع حواسه تتنبه و
أيقظت وحوشه الكامنة في داخله حين غزت عقله
الظنون بأنها قد تفعل شيء خاطيء كالهرب مثلاً،
فهو لازال يتذكر تلك النظرة الغامضة في عينيها
ذلك اليوم حين أعلن المجلس بأن عائلة آل شريف
ليس لهم علاقة بحريق أشجار الزيتون خاصتهم،
فقد بدا وكأنها تُحذره أو ربما تتوعده لذا لم يتوانى
عن اللحاق بها إلى الأسفل ليتفاجأ حين وجدها
تستند على الطاولة بيد وبالأخرى تحتضن بطنها
فيبدو أنها مريضة والحقيقة أنها كانت مُتعبة كثيراً
بسبب نوبات القولون العصبي التي عادةً ما تُهاجمها
بسبب امتناعها عن تناول أدويتها لوقتاً طويلاً فهي
لم تجلبها معها من الأساس، كذلك فجسدها لم
يتقبل طعامهم كما لم تتقبل هي أي شيء يُحيط
بهم.

توجهت إلى خزانة المطبخ على أنوار مصباح
هاتفها فهي لم تُرد إضاءة المكان حتى لا تجذب
انتباه أحد من سكان هذا القصر فلا تُطبق ألماً آخر
يُضاف إلى ألمها فشرعت تبحث عن أي أعشاب
ساخنة لتقوم بإعدادها حتى تُريحها قليلاً و سيكون
من حسن حظها أن وجدت عشبة النعناع التي عادةً
ما تُهديء من حالتها كثيراً

كانت مُنهكة في البحث الذي لم يُسفر عن شيء
ليبدأ حنقها في الظهور على السطح فهُتفت بانفعال
- اللعنة عليكم جميعاً أين تضعون هذه الأشياء؟

رغمًا عنه ابتسم على حنقها الذي أراد أن يضاعفه
حين قال بتسلية

- أرى أن هناك لصًا ينوي سرقة المؤن من بيتنا!

شهقة فزع خرجت من جوفها حين اخترق صوته
ظلمة المكان حولها، فهي لم تشعر بوجود أحد
خلفها لتتفاجأ به يقف على أعتاب باب المطبخ
يستند فوق أحد جوانبه بكسل

- من أي جحيم خرجت الآن يا ثرى؟

لا زالت سليطة اللسان الذي أيقن أنه لن يتهذب أبدًا
لذا قال بنبرة متوعدة:

- ما رأيك أو أرسلتك إلى هناك حتى تعرفي
الإجابة بنفسك؟

تناحرت أنفاسها واهتاجت دقات قلبها لحديثه لا
تدري أن كان هذا خوفًا أم شيء آخر لا تعرفه ولكنها
تخلصت من وطأة شعورها لتقول بسخط:

- لا حاجة لذلك فأنا أعيش به الآن. حتى أنني
مُضطرة أن أتعامل مع شياطينه يوميًا.

تفشى الغضب في صدره فتوجه إليها بخط وثيدة
واضغًا يديه في جيوب سرواله وهو يقول بخشونة:

- لم أنت بهذا السوء؟ هل ترين أن ملاك شيطان؟

حورية باندفاع:

- لا . لم اقصد ملاك بالطبع.

جبار باستفهام:

- من تقصدين إذن ؟

هل يسأل حقًا ؟ الا يعرف زوجة عمه و ابنتها و
تلك المرأة خالته و ابنتها الغبية ؟ إضافة إلى والدته
التي كانت تنظر إليها و كأنها قذارة علقت بثوبها ؟

كانت متألّمة ولا تريد الغضب أن يزيد من ألمها
أكثر فالتفتت تكمل بحثها عن أي شيء قد يسكن
آلامها قليلاً وهي تقول بلا مبالاة:

- لا اقصد شيء. من لا يرى من الغربال فهو أحمق.

أنهت جملتها لتشعر بجسده يُطل على جسدها من
الخلف و أنفاسه الهمجية تضرب عنقها لتعلم بأنها
لغائها قد أغضبتة وهي بحالتها تلك لن تقدر على
مجابهته

- من الواضح أن القطة أصبحت تستلذ بعقابها ؟

لا إرادياً التفتت قائلة باستنكار

- عفواً.

جبار بنبرة خشنة :

- لا تقولي لي انك لا تتذكري عقابي لك بـ آخر مرة!

حزمة من المشاعر الموقوتة تفجرت في صدرها
حين لمح الى تلك القُبلة كما أن قُربه بهذا الشكل
كان خطيئاً خاصة حين فرت عنها شجاعته لتجد
نفسها أسيرة بينه وبين الخزانة خلفها و لسوء حظها

هي لا تقدر على الهرب ولا الانحناء لذا استمسكت
بآخر ذرة شجاعه لديها حين قالت ساخطة منه ومن
نفسها:

_ لم يخلق من يُعاقبني فلتضع هذا في رأسك، أما
بالنسبة لتلك الوقاحة التي صدرت منك فهي شيء
أتفه من أن أتذكره.

تصاعدت أبخرة الغضب إلى رأسه من وقاحتها و
بنفس اللحظة اهتمت دقات صدره و تولد شعورًا
عائياً بالظماً إليها و كلاهما شعورين أقوى من بعضهم
البعض لذا زمجر بشراسة اجفلتها:

_ ما رأيك إذن لو اجعلها شيئاً يستحق أن
تذكره؟

حين أوشك على الانقراض عليها تفاجيء حين
وجدها تستند عليه وهي تصيح مُتألمة:
_ أه. بطني.

خوفًا غريب تولد داخله حين شاهدها بذلك الشكل
فقام باسنادها بكلتا يديه ليستقر رأسها فوق صدره
الخافق بغنف كالذي شاب لهجته حين قال:

_ ما بك؟

بالكاد استطاعت الحديث لتقول بآلم:

_ أتألم كثيرًا. قولوني العصبي مُحتاج بشدة.

لأول مرة بحياته يراها تنحني بهذا الشكل الذي لم

يروق له لذا و بدون اي ترزد وضع يد أسفل ركبتيها
و أخرى خلف ظهرها ليحملها بقوة أجفلتها، فبلمح
البصر وجدت نفسها تطير في الهواء بين ذراعيه
التي اشتدت عليها و كذلك لهجته حين قال :

- لم لم تخبريني من قبل ؟

هتفت حورية من بين صدمتها و آلامها:

- و لم أخبرك ؟

كان يتوجه إلى الأعلى وهو يجيبها حانقا:

- قد يكون لأنني زوجك.

تجاهلت تلك النبضة التي ثارت بداخلها إثر جملته
وهتفت بنفي :

- لست كذلك. نحن لسنا زوجين.

ارتسم الوعيد و العبث بنظراته ونبرته حين قال:

- إذن سأحرص على تصحيح ذلك الخطأ قريبا.

وضعها على مخدعه برفق و توجه رأسا إلى
المرحاض ليغيب دقيقة قبل أن يظهر حاملا بعض
العقاقير لتتفاجئ منه حين قام بتقريب حبة دواء
إلى فمها الذي أبت أن تفتحه ليفد يده الأخرى
ضاغظا بأنامله فوق ذقنها لتنفرج شفاهها و يضع
بهم الحبة ثم ناولها كوب من المياه ارتشفت منه
رشفتين ليأخذه منها و يضعه على الطاولة بجانب
السريр ثم تراجع دون حديث إلى الخارج وسط

دهشتها التي تعاظمت حين وجدته يعود بعد دقائق
حاملًا كوب ساخن من الشراب الذي لم تتعرف إليه
بعد ليضعه فوق الطاولة بجانبها وهو يقول بجفاء:

- تلك الحبة سثفيدك و هذا المشروب أيضًا رائع.

حاولت ألا تتأثر خارجيًا بما يفعله يكفيها ثورتها
الداخلية لتهدف بلا مبالاة:

- لم يكن عليك أن تُتعب نفسك. كنت سأقوم
بإعداد كوب من النعناع و ينتهي الأمر.

جبار بخشونة :

- و هذا ما حدث بالضبط. هيا اشربي النعناع
لتشعرين بتحسّن، و في الغد ياذن الله سنذهب إلى
الطبيب حتى يفحصك و يُعطيك الدواء المناسب
لحالتك.

خرجت الكلمات منها بعفوية حين أجابته

- انا أخذ دواء له بالفعل فقد كتبه زين لي منذ
سنوات و

فطنت إلى ذلتها حين رأت تلك الغيوم التي
اجتاحت سماء عينيهِ و ملامحه التي تجهمت بعد
أن غادرها صفائها حين أتت على ذكر اسم زين
بينهم.

- استغفر الله .

هكذا تمتمت قبل أن تلتفت لتأخذ كوب النعناع

الذي كانت أكثر ما تحتاجه في تلك اللحظة فأخذت ترتشف منه في صمت خارجي بينما هناك طواحين داخلية من جانب كليهم لا تهدأ أبداً، فمهما حاول ابتعاد عينيها عنها لا يستطيع وهو الذي ظن نفسه مُحصناً ضد سحر النساء فلم تؤثر به امرأة طوال حياته بأكثر مما يسمح لها ولكن تلك الفتاة تتغلغل داخله رغماً عنه فيجد نفسه حائقاً عليها وبنفس الوقت مُشتاقاً!

تحمحم بخشونة وعينيها تُبحران فوق ملامحها الجميلة و هي تتوسط مخدعه بذلك الشكل الذي أثار زوبعة من المشاعر العاتية داخل صدره، ولكنه كالعادة يعلم جيداً كيف يُخفي كل ما يعتمل بداخله، ولكن لم يكن وحده من يفعل ذلك فقد كانت هي الأخرى تُحاول تجاهل وجوده الجائر و نظراته ورائحته التي تسكن صدرها رغماً عنها لتقوم بإنهاء مشروبها بسرعة جعلت لسانها يحترق من فرط سخونة الشراب ولكنها كانت تود الهرب ولا شيء آخر لذا قامت بوضع الكوب الفارغ فوق الطاولة و التفتت تنوي القيام وهي تقول بخفوت:

ـ أشكرك.

ـ عودي إلى مكانك.

هكذا تحدث جبار بصرامة أجفلتها لترفع رأسها تناظره بصدمة بعد أن تجمدت بمكانها، فتفاجئت حين وجدته يقترب من السرير بخطى وثيقة قذفت

الزعب بصدرها الذي ألمها عراك دقاته لتجده يأخذ
مكانه إلى جانبها وهو يقول بنبرة جافة:
- هيا لننام.

برقت عينيها بصدمة شابت لهجتها حين قالت:

- عفوا! من سينام؟ لم أفهم!

تجاهل ضحكة قويه كادت أن تطفو على السطح
من مظهرها ليقول بنبرة خشنة:

- وهل هناك أحد غيرنا في الغرفة لتسألي؟

- إذن سأعود لأنام في غرفتي.

- ابقِ مكانك.

جمدتها لهجته الغاضبة في مكانها و دون سابق
إنذار شغرت بتدافع العبرات إلى مقلتيها فقد كانت
متألمة غاضبة و خائفة أيضا و قد لاحظ ذلك فرقت
نبرته قليلا حين قال:

- أنتِ مُتعبة لهذا ستنامين هنا الليلة، و في الغد
سنذهب للطبيب ، و بعدها نامي في المكان الذي
تشائين لا فرق عندي.

لم تُصدق وقاحته فبرقت عينيها من حديثه الذي
أضرم نيرانا هوجاء داخل صدرها لا تستطع اخمادها
ولا حتى السيطرة عليها و حين أوشكت على
الحديث تفاجئت حين هتف بجفاء بعد أن لامس
غضبها:

... لا أريد أي اعتراض فلن يحدث سوى ما أخبرتك
به لذا نامي الآن.

كانت مُتعبة، مُتألّمة، غاضبة و تُريد البكاء بشدة
لذا لم تُجادله و داخلها أحاديث مُعقدة و استفهامات
لاذعة فودت لو أنها تحجب تواصل عقلها مع سائر
جسدها في تلك اللحظة حتى ترتاح، و لهذا لم
تُجادله تُمني نفسها بأنها ستقيم القيامة فوق رأسه
حين تستيقظ في الصباح لذا انزوت في الطرف
الآخر من السرير تبتعد عنه قدر المُستطاع لينقلب
هو على جنبه مُحدقاً في ظهرها بهدوء يُنافي ذلك
الضجيج الذي يعج به صدره بالإضافة لصخب
تساؤلات العقل الذي منذ أن دخلت حياته لا يفعل
شيء سوى لومه فقط.

لا زالت تتألم فحاولت الانكماش على نفسها أكثر
ليتجمد جسدها حين شغرت بذلك الدفء يجتاح
ظهرها من التصاقه بها و أنفاسه التي اقتربت كثيراً
من خصلات شعرها ويديه التي حواطتها بطريقة
حميمية ولكن المُفاجأة جاءت حين أخذت يداها
تُمسكان بطنها بحركات دائرية و صوته الأَجَش
يهمس بجانب أذنها :

... تلك التمرينات قد تُفيد كثيراً لذا حاولي أن تهدي
فقط.

كيف السبيل للهرب منه ومن تلك المشاعر الغريبة
التي تتولد داخلها من اقترابه؟ هل هكذا ستهدأ أم

ستهلك؟ حاولت الابتعاد عنه قائلة بخفوت:

- رجاء ابتعد.

اقترب يطوي السنتيمترات القليلة التي ابتعدتها
عنه قبل أن يقول بخشونة دغدغت أوصالها:

- لن ابتعد ولن أسمح لك بذلك لذا حاولي أن
تنامي.

- اللعنه على هذا القاولون الغبي الذي وضعني في
هذا المأزق.

هكذا تمت بحنق وصل إلى مسامعه ليهتف بنبرة
غامضة خشنة:

- عليك أن تكوني ممتنه له كثير فلولاك لكانت
التهمتكم في الحال.

لم تسمعه جيدًا لذا قالت باستفهام:

- عفوا.

جبار بصرامة

- كفاك ثرثرة وهيا لتنامي.

و هل لا تريد ذلك من كل قلبها؟ الذي أخذت دقائقه
تتخبط بعنف داخل صدرها فحاولت الثبات قدر
الإمكان وهي تنوي الهرب إلى غرفتها ما أن يذهب
إلى النوم، و لدهشتها شغرت بـ الراحة تتسلل إلى
جسدها الذي خمدت آلامه بفضل تلك اللمسات
الناعمة التي كان يُتقنها إلى حد كبير جعلها تنساق

خلف إغواء النوم بهدوء جافاها طوال الأيام
المنصرمة، و على عكسها تمامًا فقد كان يعاني بقوة
من قُربها منه بتلك الطريقة ليجد نفسه غارقًا بين
أريج خصلاتها الناعمة التي دفن رأسه بها و جسدها
الذي أصبح بالكامل تحت سطوته فتضاعف عذابه
الذي بات يُلازمه منذ أن دخلت الى حياته تلك المرأة
التي جعلته يضيع خطواته بسببها، ولكن الآن كان له
مذاق فريد فهي بالرغم من كل شيء بين يديه حتى
ولو لوقتٍ قصير يكفيه أن يشعر بها بجانب صدره
الذي يود حجزها داخل جدرانها إلى الأبد، و هنا في
هذه اللحظة تحديداً أدرك تلك الحقيقة المروعة أنه
سقط في شرك عشقها دون وعيًا منه ولا دراية.

جاء الصباح حاملاً الكثير من الأمل و الحياة رغماً
عن عناد البعض و تهور الآخر فما أن استيقظت و
فتحت عينيها التي انعكست بسمائهم أشعة الشمس
الذهبية حتى أعطتهم وهج رائع يُضاف إلى فتنها
التي ضاعفها نومها الفريح الليلة الفاتنة فنبت فوق
خديها الورد الشامي الرائع و لونه الوردي الشهي
الذي انطبع فوق شفاهها فكانت جميلة تقر الأعين
برؤيتها، ولكن بقدر جمالها تأتي شرستها فحين
كانت تتمطى بكسل كالقطة وقعت عينيها على
أساس الغرفة المُحيط بها ل تضرب رأسها أحداث
ليلة البارحة فهبت لتجلس مذعورة وعينيها تطوف
المكان بأكمله قبل أن تخرج منها زمجرة اعتراض
قوية:

ـ الوغد. الحقيير. لقد أستغل تعبي و اجبرني أن
أنام بجواره، و لكن لن اكون حورية آل شريف لو لم
أجعله أسوء يومًا في حياته.

تخبطها الداخلي يلوح بقوة في عينيها ولكن عقلها
في تلك اللحظة كان يتسيد الأمر مُنحياً جميع
ثُرّهات القلب التي ستقودها إلى الهلاك الذي كان
يتقاسمه معها جبار الذي كان مُستيقظًا منذ أكثر. من
ساعة يُتابعها دون ملل و عينيّه تتلّكأ بلذّة ملامحها
عن كُتب فزبما لن تُتاح له تلك الفرصة مرة أخرى
فهو يعلم بأنه ما أن يُغادرها الآن سيعود كل شيء
إلى طبيعته إلى جفائه وتخبطه و حيرته من كل ما
يحدث معهم.

ـ أخيرًا استيقظت القطة الكسولة ؟

هكذا هتف وهو يخرج من المرحاض متوجّها إلى
تلك القطة الثائرة حد الجنون الذي تبلور في نظراتها
و نبرتها حين قالت:

ـ و تجرّو على المُزاح أيضًا؟

ارسل نظرة مُحذرة استقرت على شفاها وهو
يُذكرها بمدى جرّاته ثم تجاهلها ليدخل إلى غرفة
الملابس، فتضاعف سخطها منه ومن نفسها التي
تُعطيه الأفضلية بضعفها المُخزي أمامه، لتنفّض
عنها كل تلك الأفكار و تتوجه إلى غرفتها وهي تسبه
بكل أنواع السباب الذي وصل إلى مسامعه همهمات
متقطعة ليقول بوعيد خشن:

ـ قريباً ستموئين في فراشي أيتها القطعة الغاضبة.

انتصف النهار وكان الرجال مُجتمعون في غرفة
المكتب و معهم صفوان الشليمانى الذى قال
بجهامة:

ـ لا أصدقك جبار، فقد ظننت أنك ستقضى على
هذا الجرذ فور أن تقع عيناك عليه. لا أن تتزكه يعود
سالفًا إلى عشيرته!

ناظره جبار بسخط تخلل كلماته الفظة حين قال:

ـ لا أنقض عهدي مع أحد و تعلم ذلك جيدًا.

صفوان بانفعال :

ـ ولكنهم ليسوا أي احد. أنهم قتلة عمك وولده و
الكثير من ابناء عشيرتك هل نسيت؟

احتقنت عينيه بدماء الغضب الذى انحسر في
غيومات مُظلمه لونت سماءه ولهجته حين قال:

ـ و هل نسيت ذلك الميثاق الذى يحمل توقيعي.

صفوان بسخط:

ـ لقد تعدى على اراضيك.

تدخل حكيم مُهدئًا من حدة الموقف قليلًا:

ـ ولكن لم تعد اراضينا مُحرمة عليهم كما في
السابق. لذا مجيئه إلى المزرعة لم يَعد تصرف
خاطيء من جهته.

ـ مُحَقِّقٌ لَيْسَ . وَ كَأَنَّهُ جَاءَ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى عَرُوسِهِ ..

كَانَ الْجَمُودُ يُسَيِّطِرُ عَلَى مَلَامِحِ جِبَارٍ إِلَى أَنْ
اخْتَرَقَتْ مَسَامِعَهُ جَمَلَةٌ صَفْوَانِ الْأَخِيرَةِ وَالَّتِي
كَانَتْ تَحْمِلُ أَسْلِحَةَ نَوَوِيَّةٍ تُعَدُّ خَطَرًا عَلَى جَمِيعِ
الْمَوْجُودِينَ، فَذَلِكَ الْغَضَبُ الَّذِي لَوْنُ مَلَامِحِهِ وَ
اِحْتَقَنَتْ بِهِ عَيْنِيهِ كَانَ مُرْعَبًا بِحَقِّ إِضَافَةٍ إِلَى لَهْجَتِهِ
حِينَ زَمَجَرَ بِشِرَاسَةِ أَجْفَلَتِ الْجَمِيعَ:

ـ إِيَّاكَ أَنْ تُكْمَلَ حَتَّى لَا أَفْعَلَ بِكَ مَا أَنْوِي فَعْلَهُ
بِذَلِكَ الْحَقِيرِ.

ازدرد صفوان ريقه بصعوبة فهو يعلم جيدًا أن
جبار لا يُطْلَقُ تَهْدِيدًا عَبَثٌ لَذَا حَاوِلَ أَنْ يَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ
قَائِلًا:

ـ لَا تَغْضَبْ بُنَيَّ لَمْ أَقْصِدْ إِغْضَابَكَ إِنَّمَا أَنَا أَسْعَى
لِمَصْلَحَتِكَ، وَ أَعْلَمُ جَيِّدًا بِأَنْ سَرَحَانَ الشَّرِيفِ وَ
عَائِلَتِهِ يُرِيدُونَ إِلْحَاقَ الْأَذَى بِكَ لَيْسَ إِلَّا، وَ مَا حَدَثَ
لِأَشْجَارِ الزَّيْتُونِ خَاصَتَكُمْ أَقْوَى دَلِيلٍ، فَهَذِهِ هِيَ
أَوَّلُ سَنَةٍ تَقُومُ بِبَيْعِ الْمَحْصُولِ كَامِلًا، وَلَا تَحْتَفِظُ
بِأَيِّ مَخْزُونٍ احْتِيَاطِيٍّ كَمَا كُنْتَ تَفْعَلُ فِي السَّنِينَ
الْمَاضِيَةِ، وَلِهَذَا قَامُوا بِفَعْلَتِهِمُ الدَّنِيئَةَ لَكَ يُقْجِمُوكَ
بِالْمَشَاكِلِ وَ تَكُنْ أَنْتَ مَنْ يَنْقُضُ هَذَا الْمِيثَاقَ مَعَهُمْ وَ
أَيْضًا شَرَائِطَكَ مَعَ الْإِيطَالِيِّينَ.

تَدَخَّلَ جَوَادُ الَّذِي اقْتَنَعَ كُلِّيًّا بِحَدِيثِ صَفْوَانِ
الْمَسْمُومِ:

ـ وَ أَنَا أَرَى ذَلِكَ يَا أَخِي. أَوْلَيْكَ الْعَدِيمِيُّ الشَّرَفُ لَا

تستبعد منهم أي شيء.

كان الغموض جزءاً لا يتجزأ من شخصيته إضافة إلى ذلك الجمود و هذا التجهّم الفرعب الذي يجتاح معالمة فتتولد حوله هالة من الهيبة البدائية تجعل الجميع يهابه لذا لم يُجادله أحد حين قال بقسوة:

_ لا استبعد اي شيء من أي أحد، ولكن هناك ميثاق شرف قمت بالتوقيع عليه ولم اخرقه أبداً و منذ هذه اللحظة آل شريف ليسوا أعدائنا، ومن يجرؤ على الاعتراض فأنا قاتله.

قال جملته الأخيرة بشكل أفزع صفوان الذي لم يُضيف شيئاً لتفرد الدقائق القادمة بهدوء قبل أن يُغادر المكان و ما أن أغلق الباب خلفه حتى تحدث حكيم بهدوء :

_ هُناك استفهام يدور بعقلي جبار. من أين علم آل شريف بأنك لم تحتفظ بأي مخزون احتياطي من الزيتون هذه السنة ؟

عزز استفهام حكيم من ظلمة عيني جبار الذي قال بجفاء:

_ و هذا ما سنعرفه قريباً اخي.



الميثاق الثامن

أمرًا شاق على المرء أن يرى مخاوفه تتبختر
بخيلاء أمام ناظريه بينما هو يعجز عن مُحاربتها أو
التملص منها، فقط عليه أن يتقبلها و لو كانت صبارًا،
فلا سلطة لنا على قلوبنا، و لم يُخلق عقار في العالم
من شأنه أن يُخمد نيران الغيرة و ما تُخلفه من آلام
عظيمة .

تجلس كالعادة برفقة ملاك في الحديقة يتجاذبن
أطراف الحديث ليخترق جلستهم صوتًا مُدجج
بالحق قد حد نفور الأبدان منه:

– أرى أن هناك صداقة غريبة نشأت بينك و بين
ابنة القتلة يا ملاك ؟

أغمضت حورية عينيها تعد للعشرة حتى لا تقوم و
تجذب تلك المرأة من خصلاتها لتتولى ملاك الإجابة
قائلة بجفاء:

– ليس هناك شيء من هذا القبيل يا سلمى فمن
أصادقها الآن هي زوجة أخي. جبار.

نطقت اسمه في نهاية الجملة بطريقة مُحذرة لُتذكر
سلمى إلى من تنتمي حورية، ولكنها تجاهلت ذلك
التحذير في لهجتها قائلة بنبرة تشع كُرْهًا:

ـ تقصدين زوجة أجبر أخاك على تقبلها حقاً
للدماء يا ملاك. ضعي الحديث في مكانه الصحيح
رجاءً.

إلى هنا و نفذ صبره حورية التي نصبت عودها
الكمثري و توجهت بخط وثيدة إلى سلمى التي
تبلور الحقد في عينيها يُقابله الوعيد من جهة
حورية التي قالت بنبرة فاحت منها رائحة الكبر:

ـ بما انك تُريدين وضع الحديث في مكانه
الصحيح إذن لك ما تُريدينه. انا المهندس حورية
آل شريف ابنة قاسم آل شريف الذي يملك أكثر من
نصف أراضي الجنوب، و زوجة كبير عائلة الفارس
مالك هذا البيت الذي تقفين على أرضه. انا التي
أتى إلى طلب يدها كبار رجال الدولة ورؤساء أكبر
العشائر بالمنطقة والمناطق المجاورة. انا ابنة الأصل
الراقي و سلية أعرق العائلات، فمن أنت يا هذه
حتى تقفين أمامي و تُثرتين بالكلام الفارغ بدلاً عن
تقديم فروض الولاء و الطاعة مثلك مثل اي خادم
يعمل هنا؟!

كانت إهانة بالغة جعلت دماء سلمى تثور بقوة في
أوردتها حتى كادت أن تُصاب بالإغماء وهي تقف
أمام حورية التي ثناظرها بدونية واحتقار لم تحاول
إخفاءه، و لكن جاءهم صوتاً حانقاً من الخلف جعل
نوبة غضب جنونية تضرب رأس حورية:

ـ وهل ابنة الحسب و النسب تهين الناس في بيتها

كما تدعين أيتها السيدة الراقية؟

كان صوت فيروز قارص كبرد الشتاء لاذع مُدجج
باحترار كبير كان مقصودًا من جهتها مما جعل جسد
حورية ينتفض غيظًا تساقط من بين حروفها حين
قالت:

- بالطبع لا، و لكن حين يكون الضيوف قليلين
الاحترام فيجب وضع حدود لهم حتى لا يتطاولوا
أكثر.

- اخرسي.

هكذا صاحت فيروز تزامناً مع مجيء جبار وخلفه
حكيم لـ تلسع العبرات عيني حورية ولكنها حاولت
البقاء صامدة أمام أولئك المُعتدين و رغماً عن ذلك
لم تفلح في السيطرة على رجفة نبرتها وهي تقول:
- ساخرس بالفعل فقد أوصلت رسالتي بدقة، و
لهذا لا داعي لكثرة الثرثرة.

- حورية.

هكذا هتف جبار بصرامة اجفلتها ولكن ما الذي
تنتظره منه؟ هل سيقف معها ضد والدته أو ابنة
خالته؟ هتف صوتًا شامتً بداخلها يُخبرها بقسوة
آلمتها:

" استفيقي يا حورية، فهذا الرجل لا يراك سوى
عدوته، فلتستمتعي بغبائك أنتِ و مشاعرك التي لن
يتوانى بدهسها تحت حذائه دون أن يُفكر حتى!"

رأى جيذا ماذا حل بعينيها وكيف انطلقاً شهبها
المتوهج ولكن ذلك لم يردعه من أمرها بنبرة جافة:
- اسبقيني إلى المكتب.

"لا تبكي حورية" هكذا أخذت تتوسل بداخلها كي
لا تُعطي تلك الأزواج من العيون الشامتة فرصة
التشفي بها أكثر لذا رفعت رأسها وهي تتوجه إلى
الداخل تحاول إدعاء القوة بينما داخلها أبعد ما
يكون عن ذلك.

أخذت تدور في المكتب حول نفسها تحاول
استخدام كل أساليب الطب النفسي في تهدئه
غضبها ولكن كيف و هذا الألم الدامي يجتاح صدرها
بتلك الطريقة؟ تشغّر بأن هناك وحشاً نشب مخالفه
في قلبها، وهي عاجزة كلياً عن الفرار من بين برائنه
أو السيطرة على وجعها العظيم.

توقفت حين سمعت صوت باب الغرفة يُغلق بهدوء
ولحسن حظها كان في تلك اللحظة وجهها أمام
النافذة فلن يرى ذلك السوء الذي ألم بها

شعرت باقترابه منها من ذلك الدفء الذي غمر
جسدها من الخلف ولكن بلحظة اجتاحتها صدمة
عاتية جراء همسه الخشن خلف أذنها:

- كيف أصبحت الآن؟

ودت في تلك اللحظة أن تصفعه بشدة على وجهه
البغيض، ولكنها استدارت تناظره بصدمة سرعان ما

تحولت إلى حنق ساخر حين قالت:

- بخير. في أفضل حالاتي، و هل يعقل ألا أكون
كذلك و أنا أحيأ بين هذا الحشد من الشياطين؟

لدهشتها لاحظت شبح ابتسامة تشككت على ثغره
قبل أن يقول بنبرة خشنة :

- في الحقيقة أنت لا تختلفين عنهم بـ شيء.

حورية بحنق :

- أعلم جيدًا إلى ما تُلِمح، ولكن لا انتظر منك
عكس ذلك، و أن تنظر بعين الإنصاف لما حدث! فأنا
فقط من تُخطيء هنا؟ و هل ستري غيري يفعل؟!

باغتتها إجابته و عينيه التي دكنت بطريقة أثارت
شيئًا ما بداخلها:

- لا. لن أرى غيرك، ف عيناك عليك أنت فقط
حورية.

نطق اسمها بطريقة مُختلفة فشعرت و كأنها لم
تسمعه من قبل، فتلك النبرة العميقة التي نطقها به
جعلت حزمة من المشاعر الموترة تتفشى بجسدها
مما جعل نظرتها تهتز و عينيها تزوغ في كل مكان
قبل أن تقول بنبرة مُتَحَشِرجة:

- لم أندم على شيء مما قلته في الخارج. تلك
الفتاة سليطة اللسان، وحتى إن كان على موتي فلن
أقبل أن يُقلل أحد من شأني و شأن عائلتي.

أنهت حديثها و توجهت قاصدة المغادرة ولكن
جمدتها كلماته في مكانها حين قال:

ـ ألم تشتاقي لعائلتك؟

دق قلبها مُعبرة عن ألمه، فهي مُنذ ذلك اليوم
تقتصر مُحادثتها مع ذويها على بضع دقائق بسيطة
لا تعلم ماذا تقول ولا هم أيضًا لذا تكتفي بالإطمئنان
عليهم و طمأننتهم عليها، ولكنها لم تكن تحلم
بالذهاب إليهم أبدًا فهي تعلم أنها أمنية مستحيلة
الحدوث!

التفتت تواجهه وعينيها تبحث عن أي لمحة
سُخرية في عينيهِ و ملامحه ولكنها لم تجد وبالرغم
من ذلك لم تمنع نفسها من القول بعتب ذو نبرة
قاسية:

ـ هل تعبث معي؟

تمتم جبار بخفوت:

ـ اتمنى لو افعل حقًا.

ـ عفوا ماذا قلت؟

جبار بخشونة:

ـ سألتك سؤال و انتظر الإجابة. لذا لا تُطيلين في
الحديث.

اغرتها تلك الأمنية كثيرًا لذا لم تستطع منع نفسها
من الحديث قائلة نبرة يُخالطها الأسى:



- أجل اشتقت إليهم.

أعجبته صراحتها في الإجابة لذا باغتها حين قال :

- إذن تجهزي سنذهب لزيارتهم في غضون ساعة من الآن.

برقت عينيها من هول المفاجأة و رغما عنها هتفت
باسمه بنبرة خافتة مُتلهفة:

- جبار.

و كأن حروف اسمه من بين شفاهها سهام مُشتعلة
عرفت طريقها إلى قلبه ليُجيبها بصوتًا كان أجش:

- نعم حورية.

لم تمنع الخوف من تسيد نظراتها و كذلك التوسل
حين قالت:

- انت لا تعبث معي صحيح؟

أراد الآن أن يُقبلها بقوة حتى تهلك بين يديه
ليتخلص من هذا السحر الأسر الذي ثمارسه عليه،
ولكنه قمع رغباته بقوة ليقترّب منها قائلاً بلهجة بها
شيء من الوقاحة:

- أؤكد لك حلوتي بأن العبث قادم لا محالة، وأنا
أتوق لذلك كثيرًا، ولكن الآن أنا أتحدث بجدية،
فلتجهزي سنذهب إلى بيت أهلك اليوم.

أخفقت في تجاهل تلك الذبذبات التي جرفتها
لتغفر جسدها و خاصة قلبها من كلماته و ما تحمله

من معاني، و لأول مرة لم تستطع التحكم في عينيها
التي ألتصع بها الياقوت الأزرق بوجهه الفريد و
شبهه الدافئ الذي كان يحمل مشاعر جياشة لم
يخطيء في فهمها جعلت جميع حواسه تنتفض
إذن فهي تشغى بما يعتره و يقض مضجعه. كانت
لحظة فريدة ضمت أعينهم التي لم تتوانى عن
الإفصاح عن أسرارها دون خوفًا أو حذر مما جعله
يبادر بالاقتراب منها أمام أغواء استسلامها الفطلق
له، فتسقط نظراته فوق ثمار الفراولة المنثورة بدلال
فوق شفافها التي يتوق الآن لتذوقها وما أن أوشك
على نيل مأربه حتى استطاعت التحكم في جسدها
بأعجوبة لتخفيض رأسها وهي تهمس بنبرة متوسلة:

- جبار لا.

استقرت قبلته فوق جبهتها قبل أن يُعبأ صدره من
أريج خصلاتها الرائع، فرائحتها أصبحت هي الشيء
الوحيد في هذا العالم الذي يجعل رثتيه تعمل بشكل
صحيح ليطلق لوعته في زفرة قوية حارة قبل أن
يقول بنبرة محرورة

- أنت و كل تفاصيلك سبب أكثر من كاف لشقائي.

نظرًا لغرقها في خجل عظيم و تخططات أعظم لم
تلاحظ تلك اللوعة في نبرته، ولا المغزى خلف كلماته،
ليحاول استعادة ثباته قبل أن يقول بنبرة جافة:

- هيا تجهزي، فلا أريد أن نتأخر حتى نستطيع
العودة قبل موعد العشاء.

لم تُزد حرفاً إنما التفتت على الفور تُغادر المكان
بأكمله حتى تهزّب منه ومن سطوته على مشاعرها
الخائنة و من كل ذلك الخزي الذي يتضاعف بقلبها
أكثر بكل مرة يقترب منها.

أحياناً نتسائل لما لا يكتفي القلب بوظيفته بضخ
الدماء إلى جميع أنحاء الجسد فقط! لما يحن و
يشواق و يتألم ! و يضعنا دائماً بأمور مُعقدة تُرهق
العقل و تُهلك الروح !

لم تكن تُصدّق نفسها بأنها ستذهب إلى عائلتها
كانت أمنية من فرط استحالتها لم تجرؤ على تمنيتها
ولكن تبدل كل شيء و الآن هي قاب قوسين أو
أدنى من تحقيق أمنيتها فهاهي برفقته في السيارة
في الطريق إلى مزرعتهم و كم كانت ممتنة إليه في
تلك اللحظة ليس لكونه سيأخذها إلى أهلها فقط
إنما لكونها علّمت من ملاك ما الذي فعله مع والدته
و تلك الفتاة ظهر اليوم بعد أن سبقته إلى غرفة
المكتب على الرغم من أنها كانت عروسه المنتظره
- لو تعلمين يا حورية ما الذي فعله جبار بسلمى
بعد أن غادرتي؟

حورية بترقب و حماس حاولت اخفاه:

- ماذا فعل ؟

حاولت ملاك تقليد أخاها بشكل مُضحك وهي

تقول بنبرة خشنة :

- لقد زوى ما بين حاجبيه هكذا، واحتدت عينيه
الساحرة بتلك الطريقة ثم قال لأمي بنبرة لا أحد
يستطع تقليدها للأسف:

اخبري ابنة اختك بأن زوجة جبار الفارس لا يجرو
أحد على إهانتها، و من يفعل فلن يُبصر النور طوال
حياته، و هذا التحذير الأول و الأخير.

انفاس دافئة احتلت صدرها كونه لم يقبل بإهانتها
رغمًا عن كل شيء و على الرغم من روعة ما حدث
الا أنه يُعد تهديدًا كبيرًا لقلبها الذي لا تعلم هل
لازالت تملك زمامه أم فقدته في حضرة هذا الرجل
الذي كان يُحيرها كثيرًا ، فكيف يُمكنه أن يكون
الشيء و نقيضه في آن واحد؟ كيف يكون رجل
عادل بتلك الطريقة بينما هو قاتل بطريقة أخرى؟

عادت تلك الغصة تنغز بصدرها مرة أخرى فأطلقت
نفسًا حارًا استرعى انتباه جبار الذي استفهم
بخشونة:

- ما بك؟

حورية باختصار

- لا شيء.

جبار بلا مبالاه:

- ظننتك ستكونين سعيدة كونك ستزورين أهلك؟
أم انك تحملين هنا آخر لا أعرفه؟

تعلم إلى ماذا يُشير ولكن لا تُريد التطرق إلى هذا الأمر فقد ارتاحت كثيرًا حين علمت من شقيقتها بأن زين غادر إلى العاصمة فهكذا لن تحمل هم مواجهة ضارية قد تحدث بين الاثنين خاصةً وأنها اكتشفت جانب خطير من هذا الرجل وهي غيرته الشديدة والحقيقة أن هذه الصفة في معظم رجال مجتمعهم يغارون بشدة على ذويهم ولكن هي بالنسبة إليه لا تُمثل شيء أو هكذا تعتقد و الأمور مختلفة من جانبه؟

استفهام شائك نجح في جذب انتباهها و نجحت في الهرب منه حتى لا تقع فريسة لتخبّطها من جديد لتجيبه بجفاء:

- نعم سعيدة، و لكن كوني أعلم بأنني سأعود إلى وكر الثعابين مرة أخرى يجعل سعادتي منقوصة.

لم تُعد وقاحتها تُثير غضبه بل على النقيض تمامًا فقد كانت إعلانًا مُغرّيًا بأن قطته تُشاغبه وقد كان هذا الأمر مُثيرًا للإهتمام من جانبه.

لفت انتباهها أنه سلك طريق آخر فالتفتت تسأله بريبة:

- إلى أين أنت ذاهب ؟ هذا الطريق ليس طريق مزرعتنا!

جبار بغموض أربكها:

- ستعرفين بعد قليل.

لم تُريد جعله يشغُر بذلك القلق الذي يعتريها لهذا
لزمت الصمت إلى أن توقف أمام بناية كبيرة جعلت
دهشة كبيرة تُسيطر عليها و خاصةً حين قال بنبرة
أمر:

_ هيا فلدينا موعد بالداخل.

ترجلت من السيارة لتتفاجئ بيديه التي احتوت
خصرها ليتوجه بها إلى المركز الطبي و منه إلى
أحد العيادات رأسًا فيبدو وكأن الجميع هنا كان في
انتظاره و على رأسهم الطبيبة التي رحبت بهم كثيرًا
وكان من الواضح أنها تعرفه حق المعرفة

_ أهلاً جبار. سعدت برؤيتك .

جبار بنبرة خشنة تليق بوسامة الفذة:

_ أهلاً ولاء و أنا أيضًا.

لم يطول حديثهم ولكن كان هناك حديث جانبي
بين عينيهم تجاهله جبار الذي التفت ناظرًا الى
حورية التي كانت جميلة كالعادة ولكن بوجنتين
تشتعلان بخمرة رائعة لطالما أسرته حتى أنه ود لو
يقطم خديها في تلك اللحظة حتى يُشاكسها، ولكن
بالطبع احتفظ بجميع شعوره لنفسه، و خاصةً حين
وجد عينيها تحدجانه بنظرة كانت غاضبة رغم
مُحاولتها للظهور بمظهر الغير مُبالي

_ مما تشتكين ؟

هكذا تحدثت ولاء بجفاء قابلته حورية بالتعالي

حين قالت :

- أعاني من الـام في القولون ، و كنت أخذ دواء رائع وصفه لي طبيب جيد، ولكن لسوء الحظ انتهى بي الأمر هنا.

برقت عيني ولاء من وقاحة تلك المرأة والتفتت بلهفة تُناظر جبار الذي كان غارقاً مع حورية في معركة دامية يتسيدها الصمت، فقد تولت العيون الحديث لذا تعاظم السخط بـصدر ولاء التي قالت بجفاء:

- اصعدي إلى السرير حتى نرى ما بك لكي يتخلص كلانا من هذا الحظ السيء.

طاوعتها حورية وعلى شفاهها بـسمة ساخرة مُتجاهله نظرات جبار الجليديه المُنـصبـة عليها، و بعد أن انتهت ولاء من فحصها عادت الاثنتين الى مكانهم لتقول بـنبـرة جافة:

- تُعانين من تهيج في القولون. لذا يجب أن تتوقفي عن تناول كميات كبيرة من الطعام وخاصةً الطعام الذي به بهارات كثيرة، و أيضًا لكي لا يزداد وزنك أكثر من ذلك. كما انه يجب عليك مُمارسة الرياضة، و السباحة أيضًا قد تُفيدك، و سأكتب لك بعض العقاقير التي ستُحسن حالتك كثيرًا.

احتاجت دواخل حورية غـضـلـًا من تلك الطـبـيـبة التي تجرأت و وجهت لها مثل هذا الكلام ؟ وذلك الوغد الذي ارتسمت على ملامحه ابتسامة بسيطة و

كانه سعيد مما يسمع، ولكنها لن تمرر ما حدث على
خير لذا مدت يدها وهي تتناول الورقة المدون بها
الأدوية من يد ولاء وهي تقول بنبرة عابثة:

- من الواضح أنك حقًا طبيبة بارعة، و نصائحك
ثمينة ولهذا اقترح عليك أن تُطبقها على نفسك أولاً
حتى لا تنطبق عليك تلك المقولة شعبية الشهيرة
بأن "باب النجار مخلوع" أشكرك.

كان تتحدث وهي تُناظر ولاء بطريقة يشوبها
الاشمئزاز، فلم يفلح جبار في تلك اللحظة في
حجب بسمته ولا نظرات الإعجاب التي ضمت تلك
المرأة التي لا تنفك عن إبهاره بكل حرف تتفوه به،
ولكن داخلياً أشفق على ولاء التي امتقع وجهها من
كلمات حورية الوقحة ولكن لسوء حظها فهي من
بدأت

- أشكرك ولاء.

ولاء بنبرة مُشجبة يتخللها العتب:

- ليس عليك ذلك جبار، فأنا هنا دائماً لمُساعدتك.

نيراناً هوجاء اجتاحت صدرها و كأن أحدهم غمره
بالوقود قبل أن يُشعل عود الثقاب فودت لو تعود
للخلف و تُمزق وجه تلك المرأة التي تُناظر زوجها
بتلك الطريقة الوقحة أمامها دون اعتبار لأي شيء،
فلم تشغُر بنفسها وهي تُغلق باب السيارة بغُنف و
تجلس بجانبه عابثة الوجه مُتجهمة الملامح و صدر
يعلو و يهبط بسبب عراك أنفاسه من شدة الغضب

— ما بك ؟

كان سؤال من جانبه التف حول عنقها ليضيق الخناق حوله وهي تُعيد هذا الاستفهام مرة أخرى لنفسها و كأنها تُعنفها

" ما بك حورية ؟ مما أنت غاضبة ؟ ولم كل هذا الألم لكون امرأة غازلتة ؟ مهلاً هي لم تفعل ذلك إنما رمقته بنظرات خاصة، فهل ما حدث يستدعي كل هذا الغضب ؟

موجة من الخزي غمرتها وهي تقف في مواجهة ضعفها و تعنيف عقلها الذي أعادها إلى الواقع المرير بأن الجالس بجانبها بالرغم من كل شيء هو ألد أعدائها لذا أجابته بلهجة مقتضبة:

— لا شيء.

لم يُعلق على حديثها فهو يعلم ما تمر به الآن و تلك الدائرة المُفرغة التي تدور بها و تتخبط بين جوانبها.

بعد وقت ليس طويل وصلت إلى باب مزرعتهم و رغماً عنها جرفت بها موجة حنين و شوق تنائر من بين مآقيها رغماً عنها فحاولت السيطرة عليه ولكن دون جدوى فأوقف جبار السيارة والتفت يُناظرها بعينين يلتصق بهم العشق الذي يُحاول تجاهله بقدر الإمكان، ولكنه غافله كما هي العادة و امتدت يده تمحي ضعفها بأنامل حانية فرفعت رأسها تُطالعه بصدمة ضاعفتها كلماته حين قال بنبرة خشنة:

ـ لما البكاء خلوتي؟

لا تعلم كيف تخبره بأنها فريسة لأعتى أنواع
المشاعر وهو الذنب يعقبه الندم والحسرة ولا
تجروء بأن تطأ قدماها بيثهم وهي تحمل وزر
مشاعرها العميقة نحوه.

ـ يكفيك إهدازا لهذا الياقوت الذي يتدحرج من
عينيك، فلم تغد لدي القدرة على مقاومته أكثر.

ـ جبار.

لا تعلم لما همست باسمه بتلك الطريقة لكنها
تحتاج لدعم أحدهم بشدة وقد كان خير داعم لها
في تلك اللحظة حين قال بنبرة هادئة تتنافى مع
طبيعته الخشنة:

ـ لا تحملي نفسك فوق طاقتها، فلا يملك أحد منا
زماد حياته بالقدر الكافي لمواجهة قدره، كما أن
هناك أشياء كالموت لا حيلة لنا أمامها ولا نستطيع
الفرار منها، و الاعتراض عليها هو الشقاء بعينه. هيا
إلى الداخل. سآتي لأخذك في المساء.

نعم هذا هو ما حدث، فهي لم تستطيع مواجهة
قدرها ولا تملك القدرة في الاعتراض حتى وكما
الموت يأتي بغتة فعشقها لهذا الرجل كان كالموت
الذي داهمها ولا قدرة لها على التصدي له أو حتى
نكرانه.

أغمضت عينيها بقوة وهي تقف أمام باب القصر

فقد أقرت بذنبها في أكثر الأوقات خطأ.

فُتِح الباب و أطلت منه عينيْن برغم جمالهم ولكن
عشعش بهم الحزن يُعانقه الغضب، فتجمدت الدماء
بعروقها من نظرات والدتها المُحتقنة بنيران مُستعرة
لا تملك أدنى تبرير لها ولكن فاجأتها مُهرة شقيقتها
التي اندفعت تُعانقها بقوة فلم يَكُن قلبها يتسع
لكل هذه الفرحة حين علمت بمجيء شقيقتها التي
بادلتها العناق بأقوى منه و عينيها تذرفان الوجد
بغزارة

- أختي لا أصدق أنك هنا. اشتقت اليك كثيرًا.

هكذا تحدثت مُهرة بشوق بادلتها إياه حورية قائلة:

- وانا أيضًا حبيبتي اشتقت اليك كثيرًا. بل
اشتقت الى كل شيء هنا.

تراجعت مُهرة للخلف وهي تقول بلهفة:

- و كل شيء هنا يشواقك عزيزتي.

رفعت حورية رأسها تُناظر والدتها بعتب تجلى في
نبرتها حين قالت:

- لا أظن ذلك مُهرة فيبدو أن والدتي لم تشتاق لي.

تجاهلت زهرة العتب الجلي في كلمات حورية
ولكنها لم تفلح في تجاهل شوقها إلى طفلتها
فاقتربت تعانقها بقوة لِتشدد حورية هي الأخرى من
عناق والدتها التي قالت بنبرة مُتَحشجة:

- أنرت بيت عائلتك.

لا تعلم لما هناك أشياء مُستترة في حديث والدتها
أو لأنها تحمل ذلك الإثم تشغُر بذلك؟

- اشتقت اليكم أُمي.

- و نحن أيضًا بُنيتي.

هكذا تحدث سرحان الذي أطل من الداخل لتندفع
حورية لمعانقته ليبادلها العجوز عناقها بأقوى منه
فقد كان يشغُر بالذنب حيالها فهي من حملت أوزار
الجميع دون أن تقترف لها أي ذنب.

- أين زوجك؟

هكذا تحدث سرحان بجفاء قابلته حورية بلا مبالاة
تتنافى مع ذلك الطرق القوي أيسر صدرها:

- ذهب و سيأتي في المساء لأخذي.

- أخبريني حورية كيف تعيشين بين هؤلاء الناس؟

هكذا تحدثت أسيل بعد أن استقر الجميع في
غرفة الصالون فلم تغد تستطيع التحكم بفضولها
الذي قمعته زهرة قائلة بجفاء:

- توقفي عن الثرثرة و اتركي شقيقتك لترتاح
قليلاً.

شغرت أسيل بالحرص من حديث زهرة التي التفتت
الى حورية قائلة بلهجة أمرة:

- يريد عمك سرحان الحديث معك بعد قليل،
ولكن الآن هيا لنصعد الى غرفتك حتى تأخذين
أغراضك التي نسينا إرسالها في السابق.

فطنت إلى أن والدتها تحاول الاختلاء بها ولا تعلم
لما تخاف بتلك الطريقة؟ أم أنها تخشى أن تواجهها
بإثمها دون أن تملك القدرة على الإنكار!

أغلقت حورية باب الغرفة لتتقدم خلف زهرة التي
توقفت في منتصف المكان ثم التفتت تناظر ابنتها
بغضب و وعيد تجلى في نبرتها حين قالت:

- أخبريني حورية هل تتذكرين لحظاتك مع والدك
في هذه الغرفة؟

تناحرت دقائقها وعلى وجيب قلبها من كلمات
والدتها ولكنها حاولت الثبات قائلة:

- نعم أُمي وهل يُمكن أن أنسى!

زهرة بنبرة قاسية:

- و هل لازلتِ تتذكرين بيد من قُتلت تلك الحياة
بهذا المنزل وبقلبي؟

لم تتنحى عن ثباتها ولكنها على وشك الإغماء من
فرط الألم الذي عصف بكيانها و لذلك أجابتها بنبرة
مُشجبة:

- بلى اتذكر.

زهرة بجفاء:

- جيد. إياك أن تنسي ذلك.

للحظة تحول كل هذا الألم الذي تحمله بصدرها
الى جنون جعلها تطلق ضحكة ساخرة قبل أن تقول
بنبرة محشوة بالوجع:

- و هل أجروا على النسيان أمي! لقد كُتب علي أن
أكون فريسة للماضي بكل ذكرياته و ضحية للحاضر
بكل مآسيه.

شهقات مُتتالية شقت جوفها قبل أن تتابع بقهر
يستوطن أعماق صدرها:

- انا حلقة الوصل بين الماضي المؤسف و
المستقبل المرير. هكذا أصبحت حياتي يا أمي
لاداعي لأن تذكريني، فأنا لا استطيع النسيان ولو بعد
ألف عام.

ضاعف حديث حورية ألم زهرة التي يتقطع
نياط قلبها حزناً على طفلتها ولكنها لم تستطع
منع صيحات الألم المغروس بحنايا صدرها لتهتف
بحرقة:

- إذن لم كنت تجلسين مع ذلك الرجل في السيارة
بتلك الحميمية ؟ كيف تسمحين ليداه الملوثة بدماء
والدك أن تلمسك؟

صرخت حورية بكل ما يعتمل بداخلها كمد:

- ليس بيدي. لم اعد املك زمام امري. هذا الرجل
هو قدرتي. أصبحت زوجته أمي، و أصبح بيته هو

بيتي و عائلته هي عائلتي رغما عن هذا الحريق في
قلبي ولكني لا أملك سلطة تغيير قدرتي الذي كتب
علي الشقاء طوال حياتي. ألا تفهمين؟

تألمت كما لم تتألم من قبل و لكنها حاولت تجاهل
أنينها مُطلقة العنان لمخاوفها في الظهور على
السطح

ـ كيف يُعاملك؟

لا تعلم بماذا تُجيبها و أي إجابة قد تخرج من بين
شفاهها ستجعلها أما فريسة للندم أو لتأنيب الضمير
لذا اختصرت وجعها قائلة:

ـ جيد للحد الذي يجعلني أحيأ بسلام.

اقتربت زهرة من حورية تحتضن كتفها و هي
تقول بأسى

ـ أخبريني حورية. لا تُخفين شيئا عني أرجوك.
أعلم بأنني لم استطع الحفاظ عليك ولا ردع هذا
الأذى من أن يطالك ولكني سأقيم القيامة لو كان
اولئك القتلة يُسيئون مُعاملتك.

في تلك اللحظة شعرت بأن والدتها كطفلة تائهة
تتوق للشعور بالأمان، فقامت حورية بجذبها لتستقر
داخل أحضانها وهي تقول بحنو:

ـ لا تقولي ذلك فأنتِ أعظم أم في هذا العالم،
كما أنني لا أخفي عليك شيء لا أحد يجرو على
الاقتراب مني، فمن حسن حظي هذا الرجل يحظى

بمكانة عظيمة بين قومه و كوني زوجته فهذا
يعطيني عدة امتيازات.

قالت جملتها الأخيرة بنبرة ساخرة لترفع زهرة
رأسها تناظر حورية بتمغن قبل أن تقول بقوة:

ـ اثق بك كثيرًا، و أعلم بأن ابنة قاسم الشريف لم
يُخلق من يهزمها بعد. فقط قاومي.

تسارع نبضها و حاولت بشتى الطرق أن تبقى
عينها ثابتة أمام نظرات والدتها ولكن بأعماقها تعلم
بأن هذا تحذير مُبطن لكي لا تضعف أبدًا.

انقضى اليوم مع عائلتها بين ضحكات و مُزاح بينها
و بين شقيقتها و أسيل و والدتها و لكن لم يأتي أحد
على ذكر زين أو ذكر أي شيء يخص زواجها و كأن
الأيام الخوالي عادت من جديد إلى أن دق هاتفها
لتجد اسمه يملأ شاشة هاتفها فأخذت دقاتها بالقفز
داخل صدرها و قد لون الترقب نظراتها قبل أن
تُجيب بنبرة جافة:

ـ نعم.

ـ انا بالخارج انتظرك.

ما أن أوشكت على إجابته حتى تفاجئت من
كلمات والدتها التي كانت قوية لا تقبل الجدل:

ـ قلبي زوجك بأن يأتي إلى هنا لشرب الشاي. ام
أنه لا يريد التعرّف على عائلة زوجته؟!

صدمة قوية و كأن السماء تعامدت على قلبها

في تلك اللحظة فهي تعلم أنه حتمًا لن يقبل ولا تعرف كيف تُجيب على والدتها، فلو كان الأمر كما في السابق لرفضت الفكرة ولكنها الآن لا تعلم ما بها ؟ ولا تدري ماذا عليها أن تفعل أو تقول، ولكن المفاجآت لم تنتهي بعد فقد باغتها كلماته حين قال بخشونة:

ـ اخبري والدتك بأنني اقبل دعوتها لتناول الشاي.

مرت دقائق كانت عاجزة كليًا عن إدراك ما يحدث معها فقد كان جبار يجلس في وسط بيتهم يتجاذب أطراف الحديث مع عمها بهدوء ؟ أو هكذا ظنت فقد كان الرجلان يجلسان بعيدًا عنهم فلم يصلها حديثهم، وقد كان هذا موترًا إلى حد كبير

كانت تُفرق نظراتها بينهم بخوف أصابها بالخرس. نعم تشعُر بأن الأجواء مشحونة بالتوتر الذي جعل الأجواء ساخنة ولكنه هنا و يتحدث مع عمها أيضًا فهل توجد مُعجزة أكبر من ذلك ؟

ـ ماذا ستفعل بخصوص محصول الزيتون؟ أعني كيف ستتصرف مع الشركة الإيطالية ؟

هكذا تحدث سرحان ليُجيبه جبار بلهجة تبدو عادية ولكن عينيه كانت تتلقفان معالم وجه سرحان بدقة لم تُخطيء في إدراكها

ـ انا عادةً ما أخذ حذري في مثل تلك الأمور، ف بكل عام أقوم بالاحتفاظ بمخزون احتياطي من العام الماضي تفاديًا لمثل تلك الأمور المفاجأة.

لم تتبدل معالم سرحان وهو يستمع إلى حديث
جبار ليحييه بهدوء:

- اعلم انك تفعل هذا الأمر كل سنة، ولكن الخسارة
من المؤكد كانت فادحة، فقد علمت من الشيخ
بدران بأن النار أكلت الحقائق بأكملها.
جبار بترقُب:

- لا. فقط الحقائق التي بالقرب من الجسر، ولكن
الحدائق القريبة من الضيعة لم يمسه شيء، فهي
أيضاً ملكاً لنا.

قال جملته الأخيرة بنبرة ذات مغزى فلم تتبدل
ملامح سرحان الذي قال بهدوء:

- اتقصد تلك التي تتشاركها مع صفوان
السليمانى؟ ليكنّ العوض بها إذن.

جبار بلهجة بدت عادية ولكنها تخفي الكثير:

- هل تعلم بأمرها؟ لقد كانت شراكة سرية بيننا.

قال جملته الأخيرة بنبرة ساخرة قابلها سرحان
بالتهمك حين قال:

- ألا تعلم صفوان؟ يُحب التباهي كثيراً، وقد ذكر
أمرها يوم اجتمعنا لأجل زفاف ابن عائلة القاضي.

لم تتأثر ملامحه خارجياً إنما من الداخل بدأت بعض
الشكوك تنمو بداخل عقله و يشتد عودها الذي أقسم
أن يقتلعه أما باليقين أو بالدماء

مرت الجلسة بهدوء ظاهري على حورية التي كانت
ثراقب ما يحدث عن كثب و تتحين فرصة انقضاض
الرجلين على بعضهم البعض في أي لحظة وقد
أصاب هذا الأمر معدتها بالآلام حادة، وقد ظهر الألم
جليا على ملامحها التي كانت عينه مُسلطة عليها
وهو يقترب منها، بعد أن انتهى من تناول مشروبه
برفقة عمها ليتقدم تجاه والدتها قائلاً باحترام :

- أشكرك سيدتي على كرم ضيافتك، و سنتنظر
زيارتك في القريب العاجل بإذن الله.

حديث جبار أضرم نيران الحيرة في صدرها عن
معدن هذا الرجل و كيف يكون بهذا الهدوء و قد
كان منذ أكثر من شهرين يقتحم بيتهم بالأسلحة و
جيش من الرجال؟
- بإذن الله.

هكذا اجابته زهرة باقتضاب فلم يهتم جبار انما
التفت إلى حورية قائلاً بخشونة:
- هيا لنعد إلى المنزل.

بالفعل اطاعته بعد أن ودعت عائلتها و هاهي
تستقل السيارة بجانبه بصمت مُميت خيم على
الأجواء حولهم لا هي بقادرة على قطعه ولا بقادرة
على تخطيه.

- سنسافر إلى العاصمة فجراً، فكوني مستعدة.
هكذا تحدث جبار بنبرة جافة نجحت في جذب

اهتمامها لتلتفت إليه قائلة باستنكار

ـ عفؤا!!

جبار بجفاء

ـ ألم تسمعي حديثي أم تريدن تفسيراً له؟

ـ جيد أنك تعلم أنه يحتاج إلى تفسير.

ـ ما الذي يحتاج إلى تفسير. أخبرك بأننا سنذهب
إلى العاصمة فجر اليوم. هل أضفت اللوغاريتمات
إلى حديثي وأنا لا أعلم؟

كلماته أيقظت وحوش غضبها الكامنة فهتفت بنبرة
ساخرة يتخللها الحنق:

ـ مُخطيء، فاللوغاريتمات من وضعها كان شخصاً
يملك من العقل ما يجعله قادراً على جعلها عنصر
مهم للغاية في الرياضيات. بينما حضرتك تلقى
بثرهات لا أهمية لها ولا ترقى حتى بكونها مجرد
دُعاة، و المطلوب مني تقبلها فحسب!

توقفت العربية فجأة على جانب الطريق لتخرج
شهقة قوية من فم حورية التي انتفضت بمكانها من
هول الصدمة التي لم تكد تتغلب عليها حتى جاءها
صوته الغاضب حين قال :

ـ هل كنتِ تدرسين الوقاحة في كلية الهندسة ام
ماذا؟

جفلت من كلماته التي افزعته، فتجاوز سخطها منه

حدود المسموح و لم تستطع امساك لسانها عن ذلته
حين تهتف ساخطة:

– اين الوقاحة الآن؟ ام انك تريد القصاص مني لما
فعلت بتلك الطيبة الغبية؟



الميثاق التاسع

أيا قلب قتله العشق ماذا أنت فاعلاً بنا أكثر ؟
ألا يكفيك تلك اللوعة و هذا الهوان الذي أصاب
خيلائنا في مقتل ؟
علم الحبيب مكانته بين طيات الروح فولى و
اعرض و على هوانا تكبر !
هل يُرضيك عذابنا و جراحنا أم أنك اعتدت على
الجوى ولم تعد به تتأثر ؟
فلتغربي يا شمس الهوى عن كوننا ، واخبري حبيبي
أن الفؤاد الذي اكتوي بنار الشوق قادر على تحمل
كمد الفراق و أكثر ..

لا يوجد في الحياة أسوأ من أن يُعري الإنسان
نقاط ضعفه أمام خصمه كما كانت تُسميه، والآن
بغبائها و ذلة لسانها أصبحت أسيرة لتلك التسلية
التي أطلت من عينيه لتحاول إنفاذ ما تبقى من ماء
الوجه حين قالت غاضبة:

– ليكن بعلمك انا لا أنسى شيء، و اصطحابك لي
إلى عيادتها كان مقصوداً من جهتك.

لم تفلح كلماتها المُبعثرة من محو تلك النظرات
العابثة من عينيها والتي شاركتها العبث نبرته حين

قال:

- حقًا ؟ و لما تظنين ذلك ؟

بللت حلقها قبل أن تحاول توطيد الثبات بنبرتها
وهي تقول

- مُجرد طريقة حمقاء للإنتقام، فقد اهنت تلك
الشمطاء ابنة خالتك، أردت بأن تزدها لي. أليس
كذلك؟

بحياتها لم تتخيل إجابته التي كانت كالإعصار
الذي اجتاح سدا هش فأسقطه في الحال

- هل أخبرك أحدهم بأنك تُصبحين فاتنة عندما
ترتبيكين هكذا؟

مهما كانت الأنثى قوية و ذات عنفوان و بأشأ
شديد، ف باستطاعة كلمات الغزل أن تُزلزل دفاعاتها
و قوتها و خاصة حين يكون الغزل من رجل يملك
سلطة قوية على قلبها وهذا ما أدركته في هذه
اللحظة. كما أدرك هو الآخر مشاعرها نحوه و التي
لن تُقدم على الاعتراف بها أبدًا لذا سيحاول هو
دفعها بكل طاقته لذلك.

تراجعت إلى الخلف و وجهت أنظارها إلى الطريق
أمامها لتجده قام بتشغيل مُحرك السيارة و انطلق
إلى مزرعتهم في صمت تام من جانب كلا الطرفين
إلى أن وصل إلى باب القصر الداخلي فقامت بفك
حزام الأمان و فتح باب السيارة ل تهوّل إلى

الأعلى دون أن تنتظره لتدلف إلى غرفتها وهي
تتنفس الصعداء بأنها أخيرًا آمنة أو على الأقل
بعيده عنه بالقدر الذي يُمكنها من لملمة مشاعرها
المبعثرة و التفكير بروية مما يحدث معها لتتوجه
إلى تلك الغرفة الصغيرة التي تعتبرها ملجأها بقلعة
الوحش كما تُسميه و ترتمي فوق السرير بضعف
ذرفته بغزارة من بين مآقيها ، لا تعلم لماذا تبكي ؟
هل لخدLANها لعائلتها و عشيرتها و فوقهم والدها
الراحل؟ أم تبكي حزنًا على عشقها الذي لزامًا عليها
دفنه في أعماق قلبها حتى لا ينمو أكثر و أكثر فهذا
الرجل عدوها الأول والأخير.

لم يقتصر الأمر على العشق فقط. بل كان احتياج
قاتل لم يشغُر به القلب إلا عندما لامس ما ينقصه،
و عانى من شعور مُربع بالخواء حين اخطأ بتفسير
مشاعره وظن بأنها محض تخیلات، ولكن معاناته
تلك كانت خير بُرهانًا للعقل الذي يأبى الانصياع. بل
و فرمانًا له برفع راية الإستسلام للجة الهوى التي
جرفته نحوها دون سابق إنذار.

ـ صحيح أنك كنت في بيت أولئك القتلة جبار؟

هكذا تحدث فيروز التي اندفعت إلى غرفة
مكتب جبار بشرر يتطاير من عينيها ليُجيبها جبار
بهدوء مُثير للحنق:

ـ بلى أُمي.

- كيف تجرات و فعلتها أخبرني ؟

جبار بجمود :

- تعلمين امي أنني أجرؤ على فعل كل شيء و
خاصة أن كان يُفيد مصالح العائلة.

تشدقت ساخرة:

- هل اعتبر كلماتك هذه مجرد دُعاة سخيفة؟

- لا بل حقيقة ثابتة لا تتغير لأجل أحد ولا
يُزحزحها أي شيء.

لم تُعجبها كلماته لهذا شرعت في كشف جميع
أوراقها دفعة واحدة حين قالت بسخط:

- إذن دعني أضع أمام عينيك بعض الحقائق التي
ادركتها مؤخرًا.

جبار باختصار:

- اسمعك.

اندفعت الكلمات تتناحر فوق شفاهها حين هتفت
بغضب:

- أرى اهتمامًا من جانبك بتلك المرأة لا يُعجبني.
أرى نظرات و همسات و أشياء غير مقبولة كما أنني
لم أحاسبك على اهانتك لسلمى في وسط بيتنا
لأجل تلك المرأة.

- زوجتي . تقصدين لأجل زوجتك.

هكذا صحح جبار حديثها لتثور غاضبة :

- جبار.

هب جبار من مكانه ناصبًا عوده ليتقدم إلى حيث
تقف والدته و يقول بنبرة جادة:

- اسمعيني أمي. اتفقتي مع تلك المرأة أو لا فلا
جدال على أنها زوجتي و تحصني، ولو كانت ابنة
الشيطان فلن اسمح لأحد يهانته، و كان هذا رأيك
أنت أيضًا أن كنت تتذكرين.

فيروز بحنق:

- اذكر، ولكن لا أذكر أبدًا أنك قررت بجعلها
زوجتك!

جبار باستفهام:

- من قال لك أنني فعلت؟

- أرى أنك مُقدم على ذلك، كل شيء يحدث
يُشير بأنه عن قريب سأسمع بأنها تحمل طفلك بين
أحشائها!

باغتتها إجابة جبار حين قال باستفهام:

- ألا تتوقين لذلك؟

برقت عينيها من شدة الصدمة التي تحولت إلى
غضب كبير تجلى في نبرتها حين قالت:

- أجننت جبار؟ كيف تسأل هذا السؤال؟

- أريد الإجابة أمي.

- بلا اتوق إلى رؤية أطفالك، ولكن ليس من ابنة
اعدائنا. اردت رؤية أطفالك من امرأة مثل سلمى.
تلك الفتاة التي تعشقك، و كانت مُقدرة لك مُنذ
الصغر، و الآن كُسر قلبها بسبب تلك المرأة.

- و ما أدراك بأن حورية ليست إمراة صالحة ؟

يكفي انها ابنة تلك العائلة.

لم تكن المُناقشة مع والدته الآن أمرا جيدا لذا
اختصر الكثير من الجدال حين قال بحسم:

- اقترح أن تتعرفي عليها. لأنك أكثر من يعرف بأن
أمر طلاقها لها يُعد مُستحيل، فهذا سيفتح النيران
من جديد.

اهتاجت فيروز من حديث جبار، ولكن معرفتها
الجيدة بابنها جعلتها تشغُر بأن هناك الكثير من
الأمور الخفية التي لم يُفصح عنها بعد لذا تحدته
قائلة بجمود:

- اوافقك لا تُطلقها، ولكن لن يضر أحد أن تزوجت
بالمرأة التي تليق بك.

جبار بجفاء:

- ماذا تقصدين؟

فيروز بقسوة:

- أريدك أن تتزوج من سلمى!

_ تماسك يا حورية، فالمؤمن مُبتلى و أنت مؤمنة،
فليكن هذا العشق هو بلائك، و يجب عليك المقاومة.

هكذا أخذت تُحدث نفسها في المرأة قبل أن ترتدي
ثيابها و تنزل إلى الأسفل لتناول العشاء بوجه خال
تمامًا من التعابير و عينين تُشبهان الزجاج الברاق
الذي لا يعكس أي شيء سوى جمودها وهذا ما
ارادته.

كانت تهبط الدرج حين استرعى انتباهها فيروز
التي كانت خارجه من المطبخ لتوها كالمُعْتاد تُلقي
نظرة عامة على تجهيزات العشاء، فقد كانت تلك
السيدة تقوم بمهامها كاملةً بصفقتها المرأة الأولى
في هذا القصر، و حين كانت تتوجه إلى داخل
غرفة الجلوس اشتبك عكازها بطرف تلك السجادة
الكبيرة، فكادت أن تقع لولا يد حورية التي لحسن
الحظ في تلك اللحظة وصلت الى نهاية الدرج
لتمنعها من الوقوع و اصطدام رأسها بتلك الطاولة
الضخمة لتتهتف بلهفة:

_ احذري سيدتي.

حدث كل شيء بلمح البصر فخرجت صرخة
قوية من جوف فيروز التي اصطدمت عينيها
بعيني حورية التي تلاشى جمودها و احتلت اللهفة
مكانه وقد كان هذا أمرًا مُحيرًا كثيرًا فكيف لعدو
أن يحجب أذى عن خصمه؟ و الأدهى من ذلك أن
تصرفها هذا جاء كرد فعل طبيعي من جانبها حين

وجدتها على وشك السقوط وهذا أن دل يذل على
أن داخل هذه الفتاة يكمن قلب ينبض بالخير.

— هل أنت بخير؟

هكذا استفهمت حورية بجفاء قابلته فيروز
بالتحفظ حين قالت

— أجل. شكرًا لك.

لم تكد حورية تتركها حتى خرج جبار من غرفته
و معرفة ماذا حدث و كذلك خرج الجميع من غرفة
الجلوس لتقترب ملاك مهرولة إلى والدتها وهي
تقول بلهفة:

— هل أنت بخير أمي؟

فيروز باختصار:

— بخير.

— ماذا حدث؟

هكذا استفهم جبار بخشونة، فرفعت فيروز رأسها
إليه لتشتبك نظراتهم بحديث شائك قطعتة فيروز
قائلة بجفاء:

— كنت سأسقط، ولكن زوجتك انقذتني في الوقت
المناسب.

— إذن قامت حوريتي بعمل رائع!

انطلقت كلمة جبار كالرصاصة التي أصابت أسمع
الجميع و أولهم هي ليستدير عنقها لا إراديًا يُناظره

ذلك الذي يقف بهدوء و كأنه لم يُفجر قنبلة فوق رؤوسهم منذ ثوان، ولكن استرعى انتباهها تلك النظرات المُتبادلة بينه وبين والدته التي قطعها اقترابه منها ليقوم بتقبيل كفها ثم يحاوطها بيديه وهو يقول بنبرة خشنة:

ـ حفظك الله لنا يا فيروزة آل فارس.

شعرت بالغباء من كل ما يحدث خاصة وقد وجدت ملامح فيروز تلين وهي تُناظره قبل أن يُفُض جبار هذا الجمع قائلاً بلهجة أمرة:

ـ هيا الى الداخل. لترتاح امي قليلاً.

و كأنهم قطع من الشطرنج يُحركهم ذلك الطاغية، فقد تجاوز الجميع صدمته، و احتجزت جميع استفهاماتهم التي تتبلور في نظراتهم بشدة، ولكن لا تملك الجرأة على الخروج إلى العلن.

ـ هيا حورية إلى الداخل.

هكذا تحدث قبل أن يتجاوزها و هو يسند والدته و يدلف إلى داخل الغرفة فتبعته هي أيضًا بصمت، ليخترق سمعها تلك الجملة الساخرة التي اندفعت من فم جواد:

ـ هيا يا حوريتي، فلا تدعيه ينتظرك أكثر!

اغتاظت من سُخرية ذلك الوغد فالتفتت قائلة بتهكم:

ظريف تمامًا مثل ابن عمك .

ارتفع أحد حاجبي جواد باندهاش تجلى في نبرته
جين قال:

- مهلاً. هل لديك مشكلة معي؟

حدجته بنظرة دونية قبل أن تقول بتعالي:

- عفواً، و من انت حتى يكون لي معك مشاكل؟

ابتسم حكيم قبل أن يقول بشماته :

- تراجع جواد، فقد تم قصف جبهتك ببراعة.

ناظرته حورية بعينين التمتع بهم الخُبث الذي تجلى
في نبرتها حين قالت:

- و قد ادمر جبهتك انت الآخر ايها العاشق
المُتخفي.

أنهت جملتها و توجهت إلى الداخل، تاركه حكيم
الذي برقت عينيه من هول الصدمة التي تشارك معه
بها جواد قائلاً:

- لا أصدق. أنها داهيه. اتعلم تليق بذلك الجبار
كثيراً. كلاهما بعقل أصقله الشيطان.

دلفت إلى الداخل يلون العبث ملامحها والذي
سُرعان ما تبدل إلى وجوم حين رأت عينيه تشملائها
بنظرة غامضة، فعقفت شفيتها بطريقة توحى بأنها
غاضبة فتحسر بداخله يتمنى لو كانا وحدهما لكان
سيعرف كيف يُراضي هاتين الشفتين الرائعتين على

طريقته.

- حورية هل تجهزت للسفر؟

هكذا تحدث ملاك فجذبت الأنظار الى حورية التي كانت مُفتازلة من نظراته العابثة ونظرات فيروز الغامضة لتتجاهل كليهم وهي تقول بلا مُبالاة:

- الأمر لا يستدعي الاهتمام، فهي محض سفرة عادية إلى المدينة التي أعرفها كما أعرف بيتنا.

يعلم جيدًا المغزى من حديثها ف لا مُبالاتها المُبالغ فيها ماهي الا أهتمامًا كبير ولهذا لم يُجيب إنما انخرط في حديث جانبي مع جواد.

مر العشاء بسلام. و ما تلاه أيضًا ليحين وقت سفرتهم فحاولت أن تُثبِط ذلك الحماس الخائن الذي يجتاح صدرها و أخذت تُقنع نفسها بأن الأمر مُمل، و أنها تحفظ تلك المدينة عن ظهر قلب، ولكن هيهات فقد خانتها يداها وهي تضع أغلى و اجمل الثياب التي لم تكن سوى بعض قطع بسيطة كونهم كما أخبرها سيقضون بضع أيام فقط و سيعودون.

طوال رحلة السفر كان كليهم يلتزم الصمت، الذي جعل النعاس يتسرب إلى عينيها شيئًا فشيئًا لتسقط في غفوة طويلة انتهت حين شعرت بجسدها يهتز فبدأت بالعودة إلى الواقع وهي تُرفرف برموشها ولا تعلم بأنها تعبت بإعدادات قلبه الذي انشرح حين أطلت عليه بسمائها الرائعة والتي اختطف وهجها أنفاسه ولكنه كما هي العادة لم يُعلق ليحدها تتململ

بين يديه وهي تقول بنبرة مُتَحَشِرْجَة:

– ما هذا؟ اتركني.

– هاقد استيقظت القطة الكسولة، و بدأت في إلقاء الأوامر أيضًا.

أنهى كلماته وهو يضعها على السرير في أحد الغرف التي لم تلاحظ معالمها وهي غارقة في هذا الخجل كونها كانت منذ لحظات بين يديه لتتهف بنبرة مُرتبكة:

– لمَ لم توقظني حتى امشي على قدمي؟ لم يكن عليك أن تقوم بتأدية دور الفارس المغوار.

أظلمت عينيه بطريقة أضرمت النيران في ثباتها فبكل مرة ترى تلك النظرات الداكنة في عينيه يقترب منها ولكنه باغتها الآن حين قال بخشونة:

– لولا دور الفارس هذا لكنت دُهستي تحت أقدام الخيل منذ خمس سنوات. لا تكوني ناكرة للجميل.

ذلك الماكر لا تعلم لمَ يتقصد الإشارة إلى هذا اللقاء العاصف ولكن ما أن أوشكت على إلقاء ردًا لازعًا جائتها كلماته الآمرة حين قال:

– أمامك خمس ساعات فقط لتنامين، فاليوم حافل بالكثير.

حورية باستفهام

ماذا تقصد؟

جبار بنفاز صبر :

- لدي عشاء عمل الليلة مع بعض الشخصيات المهمة، و أنت من ستختارين لي الملابس و المطعم الذي سيقام به العشاء، و حتى أصناف الأكل التي سئعد، لا تنسي أن تختاري لنفسك ثوب محتشم و رائع يليق بك كزوجة جبار الفارس، و كل هذا سيحدث قبل الساعة الثانية ظهرًا، و لهذا يجب عليك أن ترتاحي قليل قبل أن تبدأ المعصمة.

أنهى كلماته و أغلق باب الغرفة قبل أن تستطع الاستفهام عن كل هذا الهراء الذي تفوه به و لكن كانت مرهقة كثيرًا و عقلها مشوش لذا لأول مرة استمعت إلى حديثه دون جدال و ذهبت فورًا إلى النوم.

لا تعلم كم مر من الوقت لتجد يد رقيقة تحاول إيقاظها لتفتح عينيها ببطء فوجدت أمامها فتاة جميلة تنظر إليها بود تجلى في نبرتها حين قالت:

- سيدتي. هيا استيقظي، فالساعة تجاوزت الحادية عشر، و سيدي ينتظرك في الأسفل.

لم تأخذ وقتًا طويل في تجهيز نفسها فقد اختارت أكثر الإطلالات بساطة حين ارتدت تيشيرت بنصف أكمام لونه أبيض و بنطال من خامة الجينز يلتف حول ساقها بدلال و قامت برفع خصلات شعرها على هيئة كعكة فوضوية نجحت بعض الخيوط الذهبية من شعرها في الهرب منها ولكن ذلك لم

يُخْجَم من جمال عُنْقها النُضْر فحين وقعت عينيه عليها تفشت بأوردته لعنة الاشتهااء لتذوق حسنهما حتى آخر قطرة و وشمها بعلاماته، ولكن صبرا فلكل مقام مقال هكذا أخبر نفسه.

– لم أكن أعلم بأنك كسولة إلى هذا الحد!

هكذا تحدث ساخراً فأجابته بكدر:

– إذن فلتعلم هذا أيضاً. انا حين لا آخذ كفايتي من النوم يُصبح مزاجي عِكر لذا لا تبدأ بالقاء الكلام حتى نستطيع إنجاز مهماتك في موعدها.

يتوق بشدة لمعرفة كيف تستطيع استدعاء تلك الردود الماهرة، دون حتى أن تُعطي نفسها فرصة في التفكير؟

– إذن تناولي فطورك لنبدأ.

شرعت في تناول فطورها دون كلمة واحدة لتنتهي سريعاً و تبدأ معه في تنسيق أمر ذلك العشاء، الذي كانت تنوي عدم الذهاب إليه لتقول بعد أن انتهت من تنظيم كل شيء:

– كل شيء أصبح جاهزاً الآن يُمكنك البدء في اخبار ضيوفك.

اختتمت حديثها وهي تضع حاسوبها المحمول أمامه ليُلقي نظرة على ما فعلته، وما كان منه سوى إيماءة بسيطة من رأسه ليتعاضم حنقها منه، فحاولت قمع تلك الرغبة التي تعترىها لصفعه

وقالت بجفاء:

- ستأتي بذلتك في غضون ساعة من الآن.

لاحظ جفائها فأراد مُشاكستها قائلاً:

- رائع. كيف عرفتني مقاسي، فأنا لا أذكر أنني أخبرتك.

حورية باقتضاب:

- يسهل توقعه لذا لم أسألك.

- أنا أيضًا توقعت قياسك لذا ستجدين فستانك ينتظرك في الغرفة.

برقت عينيها من حديثه لتهتف بحنق:

- و من قال لك أنني سأتي معك؟

جبار باختصار:

- أنا قلت.

هبت من مكانها وهي تهتف غاضبة:

- إذن بما أنك قلت فأنا لم اسمع و بالتالي لن أنفذ،
و اقترح عليك أن تبحث عن أي امرأة غيري لترتدي
ثوبك وتذهب معك عشائك، فأنا بصفتي زوجتك لا
أمانع.

قالت جملتها الأخيرة بسخرية ثم التفتت تنوي
الخروج ف جمدها نبرته الهادئة حين قال:

- وأنا أيضًا بصفتي زوجك لن أمانع في الباسك

ذلك الثوب و حملك إلى العشاء ولو كان قسراً.

التفت تناظره بغضب بلغ ذروته لتهتف بنبرة
تجاوزت حدود المسموح

- يا الهي. انت ماذا تريد مني؟ لما كل هذا الأنانية و
فرض الأمر بالقوة؟

كالعادة يُباغتها بقنابل مُسيلة للضعف الذي اجتاح
سائر جسدها حين قال:

- نعم أنا اناني جدًا في كل ما يتعلق بك. أما
بالنسبة لفرض الأمر بالقوة فأنا كما أخبرتك في
السابق لم استخدم اي شيء من قوتي معك. فقط
اطلب منك أن تُرافقيني إلى هذا العشاء ما رأيك؟

هل يُمكنها الرفض أمام تلك اللهجة الخشنة التي
تزعزع ثباتها، و تلك العينين التي تشعُر بها تعانق
جسدها دون لمسة واحدة منه؟ كيف يتمكن منها
هذا الرجل بتلك الطريقة؟ كيف لا تستطيع أن
تقاومه؟ هل لأنه قدرها المحتوم، و لأنها لن تستطيع
تغيير واقع كونها زوجته؟ أم لأنها لم تغد تُريد تغيير
ذلك الواقع؟

كانت تلك الأفكار تدور برأسها وهي تُنهي زينتها
أمام المرأة بعد أن ارتدت هذا الثوب الأزرق، الذي
كان يُحيط بجسدها بنعومة يُغطي الجزء العلوي
منه إلا من فتحة صدر بسيطة بالكاد تُبرز عظمتي
الترقوة خاصتها و ذو أكام طويلة بفتحة كبيرة من
عند الرسغ، و يضيق قليلاً عند منطقة الخصر

ثم ينسدل بحرية إلى الأسفل وقد كان القماش من الدانتيل الفطرز بفصوص الماسية رائعة تُضفي توهجاً فريد على ياقوتيتها اللامعة بإشراقه ووجهها الفزين ببساطة إلا من حمرة شفاه نبيذية تُضفي عليها هالة قوية من الإغراء، وخصلات شعرها التي جذبتها على أحد جوانب وجهها والجانب الآخر اظهر عنقها البهي و قد كان هذا هو الإغواء بعينه، فكيف يُمكنه مقاومة التهام هذا العنق الشهى الذي يظهر أمامه بسخاء في تحدي قاتل لثباته، الذي بدأ بالتلاشي حين أستمع لوقع خطواتها على الدرج، ليتوقف أمام فتنتها صامتاً يحاول تهدئة ضربات قلبه الذي يُطالبه بها الآن و بشدة.

— أنا جاهزة.

هكذا تحدثت بنبرة قوية، و عينيها في حديث خاص مع عينيها التي أخبرتها ما أخفاه بين طيات صدره عن مدى جمالها و فتنتها في تلك اللحظة لتجده يتقدم إلى طاولة جانبية و يقوم بجذب شيء ما من أحد أدراجها فكان غلبة من القطيفة تحتوي على مجموعة قطع رائعة حد اختطاف الأنفاس مكونة من عقد الماسي رائع و أسوارة تُشبهه كثيراً و كذلك الخاتم ولكن الفثير للإهتمام كان يقبع في غلبة صغيرة قام بوضعها داخل جيب سترته فالتمع الاستفهام بعينيها ليتجاوزوه و يقوم بالتقاط العقد و يلتف حول جسدها ببطء مُهلك وهو يقوم بوضع

العقد حول عنقها فأغمضت عينيها تحاول استجداء
ثباتها الهارب ليتجمد جسدها بالكامل حين شعرت
بشيء رطب فوق عنقها الذي لم يُقاوم إغوائه فمال
بوجهه واضعا فوقه قبلة رقيقة تتنافى مع صخب
مشاعره التي أشعلتها امرأة لا مثيل لها في الحب و
الكبرياء الذي منعها و بقوة من الارتواء بين ذراعيه
في تلك اللحظة التي طالت حد الإنهاك لروحها ليقرر
أخيرًا إنهاء مُعاناتها و ألباسها باقي الحلى قبل أن
يقول بخشونة:

ـ هكذا اكتمل القمر لهذا الليلة.

كل حرف من كلماته يقطر إغواء لا تعلم كيف
تُجابهه فكلمات غزله تختلف عن أي كلمات سمعتها
طوال حياتها، و أيضًا نظراته وسامته الفهلكة بتلك
البذلة الرمادية التي تليق كثيرًا به و بعينيهِ و تبرزان
تناسق جسده المُعضل و طوله الفارع الذي جعلها
تشعر بالفخر داخليًا كونه زوجته

"تماسك يا حورية. لا تدعي هذا الوغد يؤثر بك."

هكذا أخذت تُعنف نفسها وهي تتوجه معه إلى
السيارة للذهاب إلى ذلك العشاء الذي تتمنى لو
ينتهي الآن قبل أن يبدأ و تهزّب من سيطرة هذا
الرجل الذي له قدرة عجيبة في إذهاب العقل و
الاستحواذ على الإدراك، و لدهشتها فطوال الطريق
لم يوجه لها كلمة واحدة بل انشغل في متابعة بعض
الأعمال على حاسوبه الخاص و رغماً عنها اغضبها

ذلك الأمر

توقفت السيارة أمام أحد المطاعم الفارحة بالمدينة
ليقوم السائق بفتح الباب إلى جبار الذي التفت
يساعدها بالترجل من السيارة و يحتوي يديها
الصغيرة بين كفه الضخم ليتوجه بها دون حديث
إلى الداخل فكان مظهرهم مُثير للإعجاب بين كل
رواد المطعم، ولكن كليهم كان مُعتادا على أن يكون
محط أنظار الجميع لذا لم يكثرث أي أحد منهم إلى
همهمات الإعجاب حولهم .

تبادل جبار السلامة مع ضيوفه و الذي اتضح
بأنهم إيطاليون فقام بتعريفها إليهم بلغته الإيطالية
التي كان بها لكنة رائعة راقت لها كثيرا:

- اقدم لكم زوجتي . المهندسة حورية الفارس.

تساوى غضبها من تجاهله لاسم عائلتها مع تأثرها
لنطقه باسمها بهذا التملك ولكنها تجاهلت الثاني و
تمسكت بالأول لتقول بجانب أذنه ما أن أجلسها:

- هذا هي المرة الأولى و الأخيرة التي تنسبني إلى
عائلتك، فأنا حورية الشريف.

أجابها هامسا بجانب أذنها بهسيس خطر:

- انتسابك إلى عائلتي لا جدال فيه، وان أردت
يُمكنني جعله حقيقيا مائة بالمائة للحد الذي لا
يُمكنك من إنكاره.

غذى الإحمرار وجنتها و لكنها حاولت الإبقاء على

بسمه منمقه مرتسمه فوق شفاها حين قالت:

- أن كان الأمر عائذا الى ما أريد، فساكون الآن
في النصف الآخر من العالم حيث لا يمكنني حتى
السماع بإسم عائلتك.

بسمه عابثة ارتسمت فوق شفثيه قبل أن يهسهس
بخشونة:

- إذن لا اجد امامي الا ان أدمغك باسم عائلتي،
وحينها فأني مكان تذهبين إليه تكونين حورية جبار
الفارس.

أنهى جملته و انخرط في حديث طويل مع ذلك
الرجل الذي كان يصطحب زوجته معه و رجلاً
آخر و إمرأتان . عرفها إلى الجميع و قد شعرت
بالألفة تجاهها ما عدا تلك المرأة التي كانت عينيها
ك القناصات تحوم حول زوجها بطريقة مكشوفة
و حتقاً مقصودة فهي لم تكن تحيد بنظراتها عنه
بطريقة جعلت الغضب يجتاح أوردة حورية ويترك
آثاره على وجهها الذي احتقن بنيران مُستعرة، و
قبضة يدها التي كانت تضمها بقوة جذبت انتباه
جبار الذي امتدت يديه تحتويها بعفوية كانت كالماء
البارد على جمر مُشتعل ف أخمدت لوعته لثقرر
إعطاء تلك المرأة قدرها من التجاهل فالتفتت تنظر
إلى الجهة الأخرى ليأتيها صوته العابت بجانب أذنها:

- أشعر و كأن هناك معركة على وشك أن تبدأ الآن!
ذلك الداهية لا يفوته شيء وقد اغضبها ذلك

لتحاول صبغ لهجتها باللا مبالاة حين قالت:

- مُخطيء كالعادة، ولكن أيا كان فأنا دائماً
مُستعدة لخوض أي معركة، ف ذخيرتي لا تنفذ أبداً،
و لا أقبل بغير الانتصار بديلاً.

لا تعلم لما تتحداه؟ هل لكون تلك المرأة فاتنة أو
لتنفي عنها تلك الغيرة المُروعة التي نشبت مخالبتها
في صدرها؟ أو لكونها تريد أن يصل إليه بأنها
ستنتصر على مشاعرها نحوه؟ لا تعلم ولكنه كعادته
بارع في إطلاق تلك الرصاصة التي تخترق منتصف
جبهتها فيتزعزع سائر كيائها ولكن تلك المرة كان
الأمر مُختلف. نظراته و احتوائه ليدها و نبرته
العميقة حين قال:

- ألا تُدركين حجم المعارك التي انتصرتِ بها دون
إطلاق رصاصة واحدة؟

اختلت أنفاسها بطريقة همجية و ثارت دقاتها حد
الألم؛ لتقوم ب أخذ نفس عميق في محاولة لتهدئه
تلك الدماء المستثارة في عروقها جراء جملته التي
تحمل الكثير من المعاني في طياتها ولكن لم يكن
في الحسبان ذلك التدخل السافر من هذا الرجل
الإيطالي الذي قال بحماس:

- يا للروعة، فلم أكن أتخيل أن أرى جبار الفارس
واقع في العشق أبداً. أنها مُعجزة.

اخترقت الكلمات عقلها الذي توقف عند جملة
واحدة جبار الفارس واقع بالعشق! هل هذا صحيح

أم أن عقلها أصابه الجنون؟

- بغض النظر عن ايماني بأن المعجزات تحدث كل يوم، ولكن انتم الإيطاليون تملكون خيالاً واسعاً خاصة في أمور الحب وما شابه.

التقطت تلك المرأة الكلمات من فم جبار لتقول بلهفة و عينين تتشارك مع نبرتها في اغوائه حين قالت:

- وهل هناك في هذه الحياة شيء اروع من الحب؟ وخاصة أن كان بين رجل و امرأة رائعين!

التفت جبار يحاوط حورية برماده الذي تأجج بين جفونه قبل أن يقول بصوتاً أجش:

- أنت مُحقة لا يوجد ماهو اروع من ذلك حقاً.

تراقصت دقائقها على انغام كلماته و رغفا عن سخطها على تلك المرأة الوقحة فقد نجح في إحراجها بطريقة أعجبتها، ولكنها تتمنى لو تستطيع الفرار من أسر عينيه التي بدت و كأنها تحاوطها من جميع الجهات، ليأتيها الإنقاذ على هيئة مفاجأة من العيار الثقيل حين قال روبرت مازحاً:

- إذن ما رأيك أن تُكمل تلك المعجزات و تطلب الرقص من تلك المرأة الرائعة التي بجوارك أو افعل أنا ذلك؟

اصطبغت حدقاته باللون الأحمر القاني و كأن أحدهم اشعل النيران برماد عينيه فاحتدت نبرته

وهو يُجيب روبرت بلكنته الأم:

- حينها ستكون نجاتك هي الفعجزة الحقيقية
روبرت.

كركر روبرت ضاحكًا قبل أن يُجيبه بمزاح:

- اللعنة على غيرتك يا رجل. لقد خفت كثيرًا.

جبار بجفاء :

- عليك ذلك.

أنهى جملته وهو يُمسك بيدها بتملُّك يقودها إلى
حلبة الرقص وسط ذهولها ،فذلك الجلف لم يُكلف
نفسه عناء سؤالها عن اذا ماكانت تريد مشاركته
الرقص ام لا؟

كانت قبضته قاسية حول خصرها لا يسمح حتى
لذرات الهواء في المرور بينهم بينما عينيه كانت
تغوص بأعماق عينيها بطريقة مُربكة إضافة إلى
غضبها منه مما جعل دقائقها تهتاج بداخل صدرها
فجاءها صوته الخشن حين قال:

- لما نبضك سريع إلى هذه الدرجة؟ أم أن هناك
معارك تدور بالداخل وانا لا اعلم عنها شيء!؟

و يجروء على التلاعب بالكلمات أيضًا!؟ طرأ هذا
الاستفهام بداخل عقلها الذي يستنكر كل ما يحدث
بداية من اقترابه منها بتلك الطريقة، إلى تأثيرها
بوجوده إلى هذه الدرجة لتستخدم الغضب كستار
لجميع شعورها تجاهه فاحتدت نبرتها وهي تُجيبه

قائلة:

- وهل انتهت المعارك الخارجية ياثرى ليبدأ غيرها
في الداخل؟

كانت عينيه تطوف على ملامحها بروية و كأن
هناك حديث خاص بينه وبين كل تفصيلة بها ولكنه
كان يقظًا مُتنبهاً لكل ما يصدر من بين شفاهها
فأجابها بهدوء:

- لا اعلم عما تتحدثين؟ هلا شرحت لي؟

تجاهلت تأثيره الضاري عليها وهتفت بحق جعل
ياقوت عينيهما يبرق بقوة:

- اوه. وتريد مني أن أشرح! ألا تلاحظ كونك
تستغل كل شيء لصالحك؟ لا تتوانى في استخدام
جميع أسلحتك لإخضاعني. حتى أنني أشعر بأنك
تستلذ بذلك.

كان يشعر بكل ما تمر به، و قد أشفق عليها في
تلك اللحظة من هذا الثقل الذي تحمله لذا قال بنبرة
خشنة:

- أنا امامك و معك أعزل تمامًا. كيف لم تلاحظي
ذلك؟

أطلقت نفسًا قويًا وهي تُحاول الهرب من بين
برائن نظراته قبل أن تقول بتعب:

- إذن لماذا تُصر على تجاهل رغباتي؟ لماذا تُصر
على إرغامي على تنفيذ أوامرك؟

جبار موضحًا:

– لا أرغمك بل أحسم الجدل و اتخذ القرارات بدلًا
عني بشأن الأمور المُحيرة.

– و هل طلبت منك ذلك؟

باغتتها حين أجابها قائلاً بخشونة:

– أشفق عليك من ذلك الصراع الدائر بين قلبك و
عقلك. لا أريدك أن تكوني أسيرته طوال الوقت !

هو قلبها بين قدميها حين استمعت إلى كلماته ؟
فهل هي مكشوفة أمام عينيه بتلك الطريقة ؟ و
احتاج كبريائها يُعنفها على غبائها لتحاول استعادة
قوتها وإضفاء السخرية على نبرتها حين قالت:

– عن أي صراع تتحدث؟ و من قال لك بأن قلبي و
عقلي ليسوا على وفاق؟

– لا احتاج لأحد بأن يُخبرني ما أراه بوضوح في
عينيك.

حاولت الثبات على موقفها حين قالت بتهكم:

– جبار. لا أصدق ذلك. أرى أنك بدأت بتوهم بعض
الأشياء و تصدقها أيضًا. يا رجل عُذ إلي تعقلك.

يحترم كثيرًا ذلك العنفوان الذي يُميزها ويجعله
يشتهيها بكل جوارحه ،حتى أن فكرة مُروعة
اجتاحت عقله عن ماهية شعوره حين تخضع تلك
القطة الشرسة تحت سطوته ؟

حالة من الإنتشاء تفشت بقلبه وسائر جسده من
مُجرد التخيل ليجيها بنبرة موقدة:

- وهل يصفد أي عقل أمام قطعة رائعة بعينين
تُشبه الياقوت في توهجهم؟

رغما عنها تفشى الألم بصدرها و انعكس على وهج
عينها فأطفأه حين تذكرت خاتم الياقوت المُزيف
الذي أهداها به لتعقف شفيتها بحزن تجلى في
نبرتها حين قالت:

- أي ياقوت تقصد يا ثرى؟ إن كان ذلك المُزيف
الذي أعطيتني إياه ذات يوم فبريقه أوشك على
الإنطفاء.

نشب الذنب مخالفه داخل صدره جراء حزنها من
فعلته القاسية ذلك اليوم، فأراد مُراضاتها و صرف
تفكيرها عن ذلك الأمر قائلاً بلهجة محرورة:

- لا تعرفين كم اود مُراضاة تلك الشفاة الرائعة
الآن؟

شهقة خافتة شقت جوفها جراء وقاحته؛ لتهتف
بنبرة حارة

- هل بإمكانني أن أخبرك كم أنت وقح؟

اhtاجت دقات صدره من وهج عينها الذي عاد
إليه بريقه مرة أخرى فهتف مُحذراً:

- كرريها حورية و اقسم انني لن اهتم بوجودنا
بين كل هؤلاء الناس و سأقبلك حتى تهلكين بين

يدي ولن أبالي بشيء.

تهدلت أكتافها بتعب فلم تعد قادرة على المقاومة
أكثر لتضعف نبرتها وهي تقول :

_ لم تفعل ذلك ؟

_ لم افعل شيء بعد.

حوريه بتعب:

_ و ما الذي تريد فعله أكثر من ذلك؟

عينيه كانت كفيلة باخبارها عن مدى وقاحة
تفكيره حين قال:

_ أخشى عليك من معرفة ماذا اريد فعله في تلك
اللحظة بالذات!

صمت مُطبق خيم على ملامحها ليتابع هجومه
الضاري قائلاً بنبرة خشنة:

_ إن لم يُعجبك ما افعله، فما رأيك أن اسلك طريق
آخر من شأنه أن يُقصر كل تلك المسافات بيننا

همس خافت تسلل من بين شفتيها حين قالت:

_ ماذا تقصد؟

جبار بنظرات التهمتها و نبرة بثتها مشاعره العاتية
نحوها :

_ ربما أجعلك تتناولين الفاكهة المحرمة لأغويك
بها.

لم يَعد في مقدورها القتال لذا اخفضت رأسها
لتقول بنبرة خافتة:

_ أريد العودة إلى المنزل فأنا أشعر بالتعب.

_ كما تريد.

هكذا اكتفى بالقول ليعود بها إلى الطاولة وهو
يعتذر عن إكمال العشاء بسبب تعب زوجته ثم خرج
برفقتها الى الخارج ،ليقابله عامل المطعم بسيارته
التي ما أن استقلتها بجانبه حتى لجأت إلى الصمت
و إغماض عينيها بتعب جعله يُقرر ولأول مرة أن
يمثل لرغبتها في الهدوء.

يَعْرِفُ الْعَشْقَ طَرِيقَهُ إِلَيْهَا جَيِّدًا، فَهِيَ إِمْرَأَةٌ تَحْمِلُ
كُلَّ التَّكْهَاتِ ضَمْنِ حُدُودِ ثَغْرِهَا. تَحْوِي جَمِيعَ أَنْوَاعِ
السُّخْرِ الْمُتَوَارِ بَيْنَ طَيَّاتِ ذِرَاعَيْهَا. بِلُخْظَةٍ تَجْعَلُنِي
أَرْقَى إِلَى جَنَّةٍ مُدْجَجَةٍ بِلَهَيْبِ الصَّبُوءِ وَبِالْأُخْرَى
تَتْرُكُنِي لِأَكْتَوَى بِالسِّنَةِ اللَّطْيِ. الْإِخْتِرَاقُ مَعَهَا يُشْبِهُ
الْغُوصَ فِي بَخْرٍ مِنَ النَّارِ وَالتَّلْجِ مَعًا. شُعُورٌ يَصْغُبُ
وَصْفُهُ مِنْ فَرْطِ بَهَائِهِ. يَكْفِي عَلَى الْمِزْءِ تَذَوُّقَهُ مَرَّةً
لِيُضْبِحَ مُذْمِنًا لَا يَبْغِي الْمَدَاوَاةَ مِنْهُ أَبَدًا.

ما أن وصلوا حتى ترجلت من السيارة تنوي
الذهاب الى غرفتها وداخلها تتمنى أن لا يُحاول
إيقافها و قد تحققت أمنيتها فلم يوجه إليها كلمة

واحدة و قد كانت مُمتنة كثيرًا لتفهمه إلى حالتها
و هاهي الآن بعد مرور عدة ساعات تشغُر بالتعب
يجتاح جسدها بالكامل و يُشاطره عقلها، الذي كان
مُنهكًا بحاجة إلى الاسترخاء، و فجأة طرأ على
بالها السباحة فهي قد شاهدت من النافذة مسبح
كبير يتوسط الحديقة الخلفية لذا فجأة و بدون
مقدمات قررت النزول إليها فقد كانت تنوي أن تفعل
ذلك حين يذهب إلى العشاء و خاصةً بأن الخادمة
أخبرتها بأن المياة يتم تنظيفها كل يوم امتثالاً
لأوامر جبار، الذي من المؤكد أنه نائم الآن لذا ارتدت
ثوبها الداخلي الذي كان مكون من قطعتين تصلحان
للسباحة و ارتدت فوقهم روبًا طويلًا و توجهت رأساً
إلى هناك عل المياة تُطفيء نيرانها المُستعرة و تُهدئ
من صخب عقلها و إنهاك جسدها.

تلفتت يميناً و يسارًا فلم تجد أحد في هذا المكان
فقد كان بعيدًا عن الأنظار لضمان الخصوصية لذا
خلعت عنها ثوبها براحة لتضع أول خطواتها على
السلم الصغير في المسبح، فلسعتها برودة المياه،
ولكنها كانت إغوائًا رائعًا لم تقاومه و اندفعت تسبح
باستمتاع لمدة لا بأس بها ؛لتشغُر فجأة بأنها ليست
وحيدة في المكان فالتفتت إلى الخلف ليتوقف
النبض بمنتصف قلبها حين رآته يقف عند حافة
المسبح بعينين تقسم بأن نظراتها كانت داكنة تبعث
قشعريرة قوية إلى سائر جسدها كما فعلت نبرته
الخشنة حين قال:

- أرى أنني لست الوحيد الذي غادره النوم هذه الليلة. هل هذه ضدفة يا ثرى ؟

حاولت السيطرة على رجفة جسدها و تهدئة نبضاتها الثائرة بغنف قبل أن تقول بنبرة جافة:

- لا لم يُغادرني، فقط كنت أفكر بتنفيذ نصائح تلك الطيبة.

وضع أولى خطواته داخل المياة و عينيه لا تُفارقها وهو يُحاول إضرام النيران بثباتها حين قال بجمود:

- اه تقصدين ولاء؟ أنها طيبة رائعة، و لن تندمي حين تُتفذين نصائحها.

أنهى كلماته الخبيثة وهو يتوسط بركة السباحة و قد نجح في مسعاه فهاهي تشغر بشعور مروع يجتاح سائر جسدها للحد الذي جعلها تود أن تصفعه بقوة على وجهه، ولكن تشتت انتباهها لوجوده قريباً منها، فقط خطوتين تفصلهم لذا حاولت أن تنأى بنفسها بعيداً عن خطر وجودها بجانبه فقالت بجفاء:

- سأخرج، فالمياة أصبحت باردة و أنا اشعر بالبرد! فطن إلى محاولتها في الهرب فأجابها بنبرة موقدة:

- هل تشغرين بالبرد حقاً ؟ إذن لماذا أنا احترق الآن؟

لن تقدر على المواجهة ولا الثبات مهما حاولت

التظاهر بالقوة أمامه ،فهزيمتها ستأتي من أعماق قلبها لذا تجاهلت حديثه والتفتت تنوي الخروج من المسبح؛ لتتفاجئ بقبضته التي احتوت خصرها بقوة شلت حركتها لـ تجتاحها موجة من المشاعر الجنونية كونها على هذا التماس المباشر معه و خاصةً بتلك الثياب التي وجودها مثل عدمه ولكنه واصل هجومه بشن غارة قوية على جميع ثباتها حين لحم جسديهم بطريقة منعت حتى المياه من المرور بينهم ليقترّب من عنقها يحرقه بأنفاسه المُلهبة لتتفاجأ به يقوم بنقش قبلة دافئه على جداره قبل أن يرتفع إلى أذنّها قائلاً بنبرة محرورة:

ـ لم تهربين؟ لا يليق بك ذلك.

كان كمن يعبث في اعداداتها بطريقة احترافيه جعلت كل خلية بها تنتفض، و أضرم نيراناً هوجاء بداخل قلبها الذي كان يضخها بقوة في أوردتها لتصبح فريسة بين مشاعر عاتية يبيثها إياها و ضعفاً عظيم يسري بدمائها ولكنها ببسالة حاولت الثبات قائلة بنبرة جافة:

ـ لا أهرب، و اتمنى ان تكف عن تلك الاستنتاجات الغريبة التي يصل إليها عقلك. كما اتمنى ان تُحجم يداك التي لا يحق لها التماذي هكذا.

لم يَعد يتحمل لا عقله ولا قلبه الفُراوغة أكثر لذا قام بإدارتها إليه ودفعها بقوة تجاه الحاجز الرخامي لتصبح أسيرة بينه وبين جسده الصلب فيما

اهتاجت جميع مشاعره دفعة واحدة فبدت ملامحه
مُرعبة و تلبدت عينيه بسحب غائمة كما اصطبغت
نبرته بالحدة حين قال:

- بخصوص استنتاجاتي فجميعها صحيحة. أنت
فقط لا تملكين الجرأة للاعتراف بذلك، و بخصوص
يدي فهي تتماذى على ما تملكه، و بإمكانني أن أقسم
بأن تماذيها يروق لك كثيرًا ولكن كما أخبرتك سابقًا
لا تملكين الجرأة للاعتراف بذلك.

وضعها وجهًا لوجه أمام ضعفها الذي لم يغد أمامها
مهرب منه الآن لذا همست بوهن عله يُشفق على ما
تُمر به:

- جبار.

- هيا اعترفي حورية. تروق لك لمساتي كما
أشتهي قُربك بكل جوارحي.
لم تُجيبه فتابع بهسيس خشن:

- يعجبني كثيرًا أن أرى بعيناي تأثيري عليك ولكن
الآن أود أن أشعر به. ما رأيك؟

كادت الحروف على وشك الإفلات من بين شفتيها
فقامت بسحقهم بين أسنانها أضافة الى دمة غادرة
فرت من طرف عينيها ليشعر كم تُعاني من ثقل
الاختيار بين مشاعرها تجاهه، و بين انتماها لعائلتها
لذا حسم أمره ليقترّب من اذنها هامسًا بخشونة:

- هذه هي المرة الأخيرة التي سأخذ القرار بدلًا

عنك حوريتي.

كانت تُغمض عينيها حتى لا يرى تأثيره عليها
ولكن ما أن قال جملته حتى فتحتها على مصراعيها
فهتف بنبرة عابثة:

- هكذا افضل. حتى أرى بعيناي ذلك الياقوت
الرائع وهو خاضع لسيطرتي.

لم تكذ تُدرك ما يقصده حتى وجدت نفسها أسيرة
لهجومه الضاري عليها بعد أن لحم شفاهه بخاصتها
في معركة دامية كانت طاقتها أضعف كثيرًا من
الصمود بها؛ لتستجيب إلى تلك الدوامة من المشاعر
العاتية التي جرفت كليهم فلم تشعر حين حملها و
خرج بها من المسبح ليتوجه إلى غرفته ولم يفصل
اقترابهم بل كان يُعمقه أكثر وهي ذائبة في عالم
خاص يضمنهم لم ينتشلها منه سوى صوت اغلاق
الباب القوي الذي ايقظها من لجة المشاعر القوية
التي جرفتها لتبتعد عنه لاهثة وهي تقول بتوسل:

- لا جبار. لن يفلح الأمر هكذا.

عاندها بعينين محمومتين بوهج الحب:

- لن يفلح الأمر إلا هكذا حورية.

صرحت بخوفها صارخة:

- بيننا ألف حاجز.

قاطعها مُتشبِّسًا بكل ما يُقربه منها:

- سأهدم كل تلك الحواجز و سأجعلك تحملين
بطفلي، و هكذا سيندثر كل شيء من شأنه أن
يفرقنا.

حاولت جذب نفسها من بين ذراعيه وهي تصرخ
بلوعة قلب شطر إلى نصفين أحدهم عاشق والآخر
نادم :

- لن اخون عائلتي رجاء ابتعد.

هاجم نصفها العاشق بضراوة تمسكه بها :

- اللعنة علي أن ابتعدت. ابتعدي أنت إن
استطعتي.

وهنت إرادتها فهتفت بتعب:

- تعلم انني لن استطيع.

نثر عشقه فوق جبهتها و وجنتيها قبل أن يقول
امام شفتيها:

- إذن استسلمي. لم يعد أمامك سوى ذلك.

و قد كان هذا ما حدث فقد استسلمت لدوامة
العشق التي جرفتهم لتتوحد قلوبهم في عزف نغمة
واحدة كما توحد جسديهم في روح واحدة ؛ليبدأ
في غمرها بدلاله الذي راق لها كثيرًا فقد جعلها
تشعر بأنها الأنثى الوحيدة على هذه الأرض كما
اغدق عليها من الهوى ما اغرقها ،فباتت عاجزة عن
الابتعاد عنه و كذلك هو، فكان كريمًا معها في كل
شيء حد البذخ. راقيًا معها حد التبجيل لكل إنش

بها ، لتفر عليهم ليلة لا مثيل لها في كل شيء. ليلة
خفرت تفاصيلها بمخيلة كليهم و انطبعت آثارها بكل
شيء في الغرفة حولهم، التي أصبحت وكأنها ساحة
عراك كل شيء مُبعثر شاهذا على ملحمة عشقهم
الضارية، التي استمرت حتى خيوط الصباح الأولى
لتسقط بتعب فوق صدر جبار الذي هتف بجانب
أذنها بأنفاس لاهثة و نبرة مُدججة بلهيب الصبوة:

ـ مُبارك خلوتي، و اهلا بي في جنتك إلى الأبد.

كانت لحظات جنونية مسروقة من الزمن فما
مرت به معه لم يكن عاديا لذا قطعت الاتصال بين
جسدها و عقلها الناقم و بشدة على ما حدث، لتقوم
بتطويق خصره و الاستمتاع بدفء وجوده حتى
ولو كانت ستتلعن نفسها في الصباح الذي أتى مُغبرا
فقد تجمعت السُحب في السماء وكأنها تُعبر عن
سخطها من حدوث تلك الكارثة التي غافلت المنطق
و العقل، و لكنه لم يأتي فارغا فقد جلب معه ما
هو أشد وأقسى فقد اخترق عقلها صوتا كان نشاز
نتج عن اهتزاز هاتفها و هو فوق الطاولة ليعود
إليها و عيها شيئا فشيء، فإذا بها تجد نفسها عالقة
أسفل ذلك الجسد الضخم فجرفت نوبة خجل
عاتية ممزوجة بالدُعر من أن يستيقظ و يراها هكذا.
لذا حاولت التسلل بروية والإفلات من بين برائنه
لتنجح أخيرا بعد أن تصببت عرقا وهي تُحاول و إذا
بها تنتفض حين عاد اهتزاز الهاتف الذي ما أن نظرت
إلى شاشته حتى تفجر بارود الذنب بصدرها ما أن

رأت اسم والدتها يتصل بها ،لتحاول تحجيم ألمها
و تهدئه أنفاسها وهي تلتقط قميصه الفلقي أرضاً
لتتوجه إلى الخارج وهي تُجيب بلهجة ثابتة قدر
الإمكان:

- صباح الخير أمي.

زهرة بضراخ أجفل حورية:

- وهل يأتي الخير و آل فارس على قيد الحياة
حورية ؟

انتفض قلبها دُعْراً كمن أمسك بجرماً كبير فهتفت
بشفاه مُرتجفة :

- ماذا حدث أمي ؟

- زوجك الخائن. لقد قام بخطف زين.

اخترقت كلمات زهرة صدرها كالرصاص لتهتف
بصدمة:

- ماذا تقولين أمي ؟

- اقول ما حدث لقد خدعنا جميعاً حين جلبك
لرؤيتنا، و بنفس اللحظة اختفى زين، و للآن لم
نجدّه.

لا لن يفعل بها شيء كهذا أبداً. لن يقتلها بتلك
الطريقة فلو كان الأمر صحيحاً فلن تتوانى عن قتل
نفسها.

لا تدري كيف سقط الهاتف من يدها لتهرول إلى

الداخل فإذا بالدماء تتجمد بأوردتها حين سمعت
صوته القاسي وهو يحدث أحدهم في الهاتف قائلاً:
_ أطلق سراحه الآن، فلم يغد لوجوده فائدة.

لم يكذ ينهي جملته حتى سمع صوتها المبحوح و
كان أحدهم امتص منه الحياة:

_ إذن صحيح ما سمعته!

التفت جبار فهاه مظهرها بتلك العينين
المُحتقنتين بنيران الغضب يتساقط منهم الدمع
بغزارة و نظراتها التي تتوسل إليه أن يكذب
استفهامها حين قالت:

_ أجبني . هل لك يد بختف زين ؟

هاها منظر عينيه في تلك اللحظة و لكن جاءت
نبرته لثجهز عليها حين قال بجفاء:

_ نعم أنا من قمت بختفه!



الميثاق العاشر

هناك أشياء لا تُمنح سوى مرة واحدة فقط ، و
هناك أماكن أن غادروها سكانها فلن تُعانيهم جدرانها
مرة أخرى، ف قلوبنا عزيزة لا يُستهان بوبها، و من
خسرها فلن يظفر بامتلاكها أبدًا . لا تسألني متى
أصبحت قاسيًا هكذا ؟ ولكنها أوجاع الروح . لا يُمكن
تجاوزها و لا تمحوها كل عبارات الاعتذار حتى ولو
فاق الندم الزبي .

لو أنثزع قلبها من مكانه لما كان سيؤولمها هكذا.
أخذت عينيها تناظره بتوسل لم يعهده منها، و قد
آلمه ذلك كثيرًا ولكن جاءت كلماتها المُعذبة لثرية
ماهية الألم الحقيقي حين هتفت بنبرة تتضور
وجعًا :

- لما تفعل بي ذلك ؟ ترغب بإيلامي فقط ؟! لست
سيئًا إلى هذه الدرجة !

حاول نفض هذا الألم الدامي الذي احتل صدره،
فجعل تنفسه أمرًا مُستحيل ليقترب منها بخطوات
سُلحفية وهو يقول بنبرة خشنة:

- تعالي لنتحدث.

كان يمد يده إليها فباغتته حين قامت بنفضها

وكانها قذارة سئدنها، و هي تصيح بقهر:

- اياك أن تلمسني.

تبدلت كرات دمه بالجِحم البركانيه التي جعلته
يصيح بنبرة قاسية:

- حورية. قلت يجب علينا أن نتحدث.

لأول مرة تشعُر بأن الخزي يغمرها بتلك الطريقة،
إضافة الى ذلك الألم الغائر بصدرها والذي يجعل
كل خليه بها تنتفض، فقد ذبحها بسكين باتر دون أن
يرف لقلبه جفئا من الرحمة مما جعل الكلمات تخرج
مرتجفة من بين شفاها حين قالت بلهجة شوها
القهر:

- استخدمتني كطعم لتصل إلى هدفك! أي وغد
تزوجت يا ثرى ؟

كانت عينيها تذرفان الوجد بسخاء، و قلبها ينتفض
داخلها كطير ذبيح باغته سكين الغدر، فلم يستطع
تحمل كل هذا الوجد الضاري الذي تخلل نبرتها حين
هتفت بحرقة:

- سابقا ظننت انك رجل سيء، و لكن الآن أدركت
انك أسوأ رجل في هذا العالم.

لم يعد يُطبق رؤيتها تتألم بتلك الطريقة فقست
نبرته حين قال وهو يقطع الخطوات الفاصلة بينهم :

- بإمكانني أن أصبح هكذا لذا لا تختبري صبري، و
اعلمي بأنه هناك الكثير مما لا تعرفينه.

صرخت بكل ما يعتمل بداخلها من قهر:

- لا يهمني معرفة أي شيء، فلا شيء في هذه الحياة قادر على تحسين صورتك القذرة بعيني أبدًا.

لا إراديا اهتمجت دواخله لإهانتها فصرخ بنبرة
افزعته:

- اخرسي.

تراجعت مذعورة إلى الخلف فاستندت يدها على
الطاولة خلفها كي لا تقع فإذا بها تصطدم بسكين
الفاكهة فأحدث جرحًا غائرًا بإصبعها، فخرجت
منها صرخة موجوعة ليهول جبار تجاهها بلهفة
امتزجت بنبرته حين هتف بقلق:

- حوريتي.

و كأن لمستته العابرة لأصبعها المجروح كانت
بمثابة حفنة من الملح ألقيت فوق جرحها
المُستعير، إضافة لهذا اللقب الذي وصل إلى مسامعها
كالسبة لتتراجع عنه بغنف تجلى في نبرتها حين
قالت:

- لا تقترب مني، و لا تناديني بذلك الاسم مُجددًا.

هاله تلك القسوة في عينيها و نبرتها خاصة حين
تابعت بغل:

- و لتتذكر دائمًا بأنني ابنه آل شريف ألد أعدائك،
والتي أن انتهت أي فرصة لقتلك و الثأر لعائلتها، فلن

تتردد في استغلالها أبدًا. لذا ابتعد عني، ف بحور
الدماء لم تجف بيننا ولن تجف أبدًا.

و كأن أحدهم قام بغمس قلبه في أخدود مليء
بالجمر المُشتعل، بينما هو عاجز حتى عن الاعتراض
هكذا كان يشعر في تلك اللحظة، و قد كان هذا
الألم الناجم عن شعوره لا يُقارن بأي ألم خابره في
حياته، فقد كان الأشرس من بينهم، و لكنه نجح في
إخراج صوته قاسيًا ذو نزعة تملكية حين قال:

_ لا تذكر شيء سوى انك زوجتي، و ليلة البارحة
تشهد على ذلك.

تود الضراخ حتى تتقطع احبالها الصوتية. تُطالبه
بعدم ذكر تلك الليلة التي لو عاد بها الزمن لمحتها
من تاريخها او حتى قتلت نفسها قبل أن تُسلمها له
بتلك الطريقة المُخزية، ولكنها لم تصرخ كما تُريد،
ولم تنفعل كما ظن انما هتفت بصوت كان نشيجًا:

_ أقسم لك بأنني لو استطعت لبترت كل جزء مني
دنسته لمساتك.

ألمها تفوق على كل شيء حتى أنه لم يغضب على
إهانتها بل أراد أن يتوسل إليها بأن تسمعه تُسامحه
وقد كانت هذه المرة الأولى بحياته يُخالجه هذا
الشعور ولكنها لم تُمهله الوقت لذلك بل تراجعت
إلى الخلف تُغادر المكان بجسد مُنهك و قلب مُمزق
و جرحًا بيدها تناثرت دماؤه فوق أرضية الغرفة
لثذكرة أي جرم قد اقترف بحقها ليزار بقوة كأسد

جريح فالألم داخله يكاد يذهب عقله.

ببالغ الأسى أعلنها بأن هواك قدر و قدر الله
وما شاء فعل.

مضى يومان و الأمر يزداد سوء، فقد انزوت
بغرفتها مغلقة كل شيء من شأنه أن يربطها بالعالم
الخارجي، فقط تبكي لعل البكاء يُخفف من ذلك
الثقل المائل فوق صدرها، ولكن هيهات فالألم مازال
ينحر بقلبها، والموت يأبى الترفق بها، و هاهي
كالشاة الملقاة فوق مخدعها تحاول أن تلعق كبريائها
الجريح و تُوقف دماء قلبها النازف. لتخرج الحروف
متوسلة، متقطعة من بين شفاهها التي تشققت من
فرط البكاء :

- ربى إني مسني الضر و أنت أرحم الراحمين.

هكذا أخذت تُناجي ربها الوحيد القادر على ردع
ذلك الشق النازف في روحها، و قد أرسل الله غوثه
في أشد لحظاتها الحرجة حين سمعت طرق على
باب الغرفة و صوت ملاك الحاني يهتف باسمها:

في بداية الأمر لم تُصدّق. ولكن تكرر النداء لتهب
من نومتها و تُهرول الى الباب تفتحه بلهفة فإذا بها
تجد ملاك أمامها لتهتف بلوعة :

- ملاك.

لم تتخيل ملاك أن ترى حورية بهذا المظهر أبداً فقد كانت صورة مُحطمة لإمرأة ذهست زهرة شبابها أسفل عجلات قطار الحياة التي شعرت بأن حورية تُغادرها في هذه اللحظة لتسقط بين يدي ملاك التي صرخت بفرع:

ـ حورية.

صُراخ ملاك المذعور باسمها كان كالخنجر الذي اخترق قلبه، فهرول بلهفة إلى حيث غرفتها لتجتاحه نوبة من الإرتياع، حين وجدها مُلقاه أرضاً كالجثة الهامدة، فاندفع يجذبها إلى ذراعيه وهو يهمس باسمها متوسلاً لأول مرة بحياته، فغزت الدهشة ملامح ملاك التي أخذت تراقبه طوال الوقت حين حملها و توجه بها إلى المشفى بلهفة و خوف غير مسبوقين له، وها هو يدور حول نفسه كالليث الجريح أمام غرفتها.

لم تتخيل أن ترى شقيقها في تلك الحالة أبداً، أين ذلك الرجل القوي القاسي الذي يخشاه الجميع؟

لا إرادياً تحولت دهشتها إلى شفقه حين وصل عقلها إلى حقيقة ما يحدث، وهو أن شقيقها عاشق لتلك المرأة و بشدة، لذا اقتربت منه تربت على كتفه بحنو تجلى في نبرتها حين قالت:

ـ اهدأ أخي. ستكون بخير. حورية إمرأة قوية.

عن أي قوة تتحدث؟ عن تلك القوة التي لم تنصهر سوى بين ذراعيه! تذكر مظهرها المُذري و ضعفها

الذي كان هو المُتسبب به، ليزار حانقًا غاضبًا مُتألفًا:

– اللعنة علي أن حدث لها شيء.

لم تتوقع صراخه الذي بقدر قسوته يحمل الذنب والقهر، لتلتفت ناظره إلى حكيم، الذي اوما لها بضرورة التزام الصمت فهو يعلم ما يجيش بصدر جبار في تلك اللحظة و أن الكلام لن يُفيد بشيء.

أما عنها فكانت بعالم آخر تتوق إلى البقاء داخله و لا تعود لذلك الواقع الفريع بكل مآسيه و آثامه ،ولكنها للأسف بدأت باستعادة وعيها، فكان أول شيء وقعت عينيها عليه نظرات رمادية أهلكها الحزن ،لتقوم بإدارة وجهها إلى الجهة الأخرى وهي تهتف بكُره شع من بين حروفها:

– ابتعد. لا أريد رؤيتك.

كان رفضها أكثر ما يستطيع احتماله، لذا غادر دون قول حرف لتتوجه إليها ملاك تحتضنها بقوة كانت بحاجة اليها فحين تموت الكلمات فوق الشفاة و يتفشى الألم كالداء بين الضلوع لا يعود يحتاج الإنسان سوى ذراعين تحتويان كل هذا الكم الهائل من الوجع، و لهذا خُلق العناق.

– ماذا حدث حورية؟ لم أنتِ بهذه الحالة؟

هكذا استفهمت ملاك بلوعة ،فأجابتها حورية بنبرة تضج بالحسرة:

– لا تسألي. لا طاقة لي بالحديث رجاء.

- كما تُريدين حبيبتي.

مرت عدة ساعات قبل أن يُعطيها الطبيب الإذن بالخروج تستند على يد ملاك، و لحسن حظها لم يكن متواجد ولكن كان حكيم هناك والذي ما أن رآها حتى تقدم منها يقول بلهجة ودودة:

- حمدا لله على سلامتك يا زوجة أخي.

اسوأ لقب يُمكن أن يُطلقه عليها، و خاصة في تلك اللحظة فقد كرهته و كرهت نفسها و تعاظم شعورها بالنفور من كل شيء، فلم يصدر منها سوى ايماءة بسيطة وهي تتابع خروجها ل تستقل السيارة مع ملاك و حكيم الذي تحدث بهدوء:

- سنتوجه إلى الضيعة و جبار سيلحق بنا فيما بعد.

لم تهتم لسماع اي شيء يخصه وقد كانت مُمتنه كثيرا لكونها لن تراه، فرؤيته تُذكرها بخيبتها العظيمة و خسارتها الفادحة

بعد عدة ساعات وصلوا إلى المزرعة فترجلت من السيارة، و أخذت نفسا طويلا تُريد تُعبأ صدرها بالهواء النقي، فهي تنوي أن تعود مرة أخرى تلك المرأة القوية التي جاءت إلى هذا البيت ذات يوم تحمل كل مشاعر الكره لقاطنيه والآن كل هذا الضعف و الألم لا يليق بها، لهذا أقسمت أن تدهس قلبها تحت أقدامها حتى لا تُدهس كرامتها مرة أخرى، لذا تجاهلت يد ملاك الممدودة لمساعدتها

وهي تُتمتم بجفاء:

- ليس هناك داعي لذلك. انا بخير.

امثلت ملاك لرغبتها و تركتها لتتوجه إلى الداخل
فكان الجميع بانتظارهم، و خاصة فيروز التي لأول
مرة لا يشع الغضب من بين نظراتها انما شيء آخر
لم تفهمه حورية ولم تهتم له فقد تجاوزتها كما
تجاوزت الجميع إلى الأعلى فهتفت رجاء ساخطة:

- ما قلة الإحترام هذه؟ ألا تلقى السلام علينا؟

- اصمتي يا رجاء.

هكذا تحدثت فيروز بجفاء ثم وجهت انظارها
لملاك وقد فهمت الأخيرة مغزى نظراتها فتوجهت
رأسًا إلى غرفتها ناقمة على تلك العائلة بأكملها.

و إن صرت نيران تحرقني أجبك .

و إن بات عشقك مصدرًا لـ أحزاني أجبك .

و إن غدت عيناك بيّزًا من الآلام تسحقني أجبك .

ولو تاه الأمل ، و كثر الوجع و صار جمزًا ، سأدفنه
بطيات قلبي و لن أتوقف عن حُبك .

مر يوم، الثاني، و الثالث إلى أن مر اسبوع كامل
و هو بعيد وقد أراحها ذلك بقدر ما آلمها، ولكنها
نجحت في قمع ذلك الألم خلف جدارًا من الصلابة و

قناعاً من الجمود كان هو المسيطر عليها في التعامل مع الجميع ، فعلى عكس ما توقعوا فقد نزلت إلى العشاء ذلك اليوم بوجه خال تماماً من التعابير و كأن شيئاً لم يحدث. لا تعلم ما مدى معلوماتهم عن ما حدث بينها و بينه ، ولكنها شاهدت الصدمة تلون ملامحهم . حين تعاملت كما في السابق، ولكن ما أثار انتباهها هي تلك الابتسامة التي وجهتها فيروز إليها و تلك النظرة الغامضة التي حدجتها بها، و الحقيقة أنها لم تُبالي كثيراً لأي شيء مما يحدث، وقد كانت ملاك خير صديقة لها ، فبالرغم من محاولات حورية في تجاهلها إلا أنها لم تتركها يوماً، بل فاجأتها حين قالت بحنو:

- حتى ولو أخبرتني بأنك لا تريدني الحديث معي، فأنا لن أتوقف عن المجيء إليك و الحديث معك. اتعرفين لما ؟

حورية بجفاء:

- لما ؟

ملاك بصدق:

- لأنك صديقتي.

و قد كانت خير صديقة فحديثها و مُزاحها خفف كثيراً من حالة حورية النفسية و الحقيقة أن علاقتها بدأت في التحسن بحكيم الذي تفاجئت به يأتي ليجلس على المقعد بجانبها حين كانت جالسة في الحديقة قائلاً بنبرته الهادئة:

- اتمنى أن تكوني بخير.

لا إرادياً ارتفع أحد حاجبيها عند حديثه لدهشتها
من أن أحداً من هذا المنزل قد يتمنى لها الخير
ولكنها أجابته باختصار:

- بخير. أشكرك.

كان يتفهم حالتها لذا قال بنبرة صادقة:

- أعلم أنك تنظري إلينا و كأننا أعدائك، وقد
يُدهشك ذلك ولكننا حقاً ننظر إليك وكأنك فرداً من
عائلتنا.

شعرت بمدى سخافتها في الرد عليه لذا حاولت
التحدث بلباقة حين قالت:

- يُدهشني قليلاً، ولكني حقاً أشكرك على
اهتمامك بالسؤال عني.

حكيم بابتسامة هادئة:

- على الرُحْب يا زوجة أخي.

تبدل صفاء عينيها بغيوم عاصفة حين أطلق عليها
ذلك اللقب، الذي تود أن تهزّب منه و من قلبها الغبي
الذي لا يزال يدق لأجله إلى آخر العالم لذا زفرت
بحنق و هي تُدير رأسها إلى الجهة الأخرى ليقول
حكيم باستفهام:

- أين ذهبت ملاك؟

حورية باختصار:

ـ ذهبت لتأتي ببعض الشاي.

فاجأها حين قال:

ـ أرى أنك تشغرين بالملل في غيابها لذا سأخبرك
قصة شقيقة.

اندهشت من كلامه. ولكنها شغرت بالفضول
لمعرفة ما يريد قوله، فشرع في إخبارها الحكاية
وعينيه تنظران أمامه :

ـ كانت هناك امرأة ولدت غلامًا جميلًا، وقد فرح
أبيه بقدومه كثيرًا، وبعد عدة أيام من الولادة حان
للأم أن تتطهر، فقالت لزوجها :

أريد أن اتطهر وعلى ذلك اجلس بجوار ابنك حتى
أذهب للحمام وأعود.

انطلقت الزوجة للحمام لتتطهر من اثر الولادة
وتركت زوجها وطفلها الرضيع معه، وبعدها بدقائق
بسيطة طرق الباب؛ ليفتح الزوج فيجد رسول من
الملك يستدعيه للذهاب إليه بحكم أنه يعمل معه .

احترار الرجل في أمر ترك غلامه بمفرده أو الا يلبي
دعوة الملك فيغضب عليه. فكر كثيرًا حتى وجد
أن الحل هو أن يتركه مع حيوان يشبه القط داجن
عنده كان قد رباه صغيرًا فتركه مع طفله الرضيع
وذهب مع الرسول لمقابلة الملك بعدما ترك الزوج
بيته وابنه الصغير مع هذا الحيوان الذي رباه
صغيرًا، و فجأة من بعض أحجار البيت خرجت

حية سوداء دنت من الغلام فأراها "الحيوان" فوثب عليها و قام بضربها وقتلها والفتك بها ثم قطعها بفمه الذي امتلئ بدمها، فجاء الرجل وهرب إلى "الحيوان" وقد كان ينظر إليه و كأنه يُبشره بما فعله وهو قتله للحية ليفرحه، وحين رآه الرجل ورأى فمه المُلطخ بالدماء انتابه الذعر وطار عقله معتقداً أن الحيوان قتل ولده ولم يتحرى عن الامر جيداً حتى يعلم حقيقة ما حدث، فعجل وضرب الحيوان بعكازه واخذ يضربه على أم رأسه حتى قضى عليه وقتله. ثم دخل إلى حجرة ابنه فوجده سليماً وحيّاً وبالقرب منه حية سوداء مُتناثره الأجزاء. حينها علم الرجل القصة وتبين له سوء فعله في حيوانه الأليف فلطم على خديه وجلس حزينا يبكي بُكاء شديداً، و أخذ يردد " لقد غدرت به ؟ لماذا غدرت به ؟ لما و لما و لما لم اتيقن من الامر؟ " وأخذ يلطم على وجهه ويصرخ من الحزن على ما بدر منه وتعجله من أمره مُردداً قوله:

"يا ليتنى لم أرزق بهذا الطفل "

سمعت الزوجة منه الصراخ والصياح فخرجت من الحمام لتعرف ما حدث فقص لها الحكاية قائلاً:

" لقد أحسن إلي الحيوان و انقذ طفلي وانا بعجلة من أمرى لم أتيقن من الأمر، وبخوفي الشديد على طفلي وعدم التيقن مما حدث كافأته بأن قتلته. يا وليتى يا وليتى وحسرتى .

فقلت له :لما البكاء؟ هذه ثمرة العجلة لمن لا يتيقن من أمره ،بل يفعله بسرعة وغجالة وعلى ذلك ظهرت حكمة " فى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة".

ضجيج قوي ضرب قلبها فى تلك اللحظة و غافل غضبها و حنقها .استفهام ملح ؟!هل من الممكن أن تكون ظلمته؟ ولكنها نهرت نفسها بشدة و وضع عقلها نُصب عينيها ذلك القسم الذي قطعتة قبل أسبوع من الآن بأنها ستمحي كل ذرة حب تحملها لهذا الرجل وستدفنه مع ذكرياته فى قاع قلبها، وهي فى خضم نزاعاتها الداخلية لم تشغُر بحكيم الذي نهض من مكانه متوجهاً إلى الداخل؛ ليوقفه ندائها فالتفت ينظر إليها فتوجهت إليه قائلة بنبرة قاسية:

_ أنها قصة رائعة حقًا، و الحكمة الوحيدة المُستفادة منها هو أنه حيوان بالفعل.

أنهت كلماتها و توجهت للأعلى؛ لتقضي باقية يومها بالغرفة التي كانت وحيدة بها طوال الأسبوع المُنصرم فهو لم يعود و لا تريد عودته هكذا أقنعت نفسها، فالغضب كان لايزال يستأثر بكل مشاعرها، ولكن ما أن استمعت لهدير سيارته فى الأسفل حتى شعرت وكأن طواحين هوائية تدور بداخل صدرها الذي كانت دقائقه فى حالة جنونية جعلتها تهب من مكانها وهي تنهر نفسها بشدة ،لتقف أمام مرآتها وشرر الغضب يتطاير من عينيها و نبرتها حين قالت

تُعنّف نفسها :

— ما بك يا غبية؟ تماسك قليلاً، و اعلمي أن هذا الرجل عدوّا ولن يكون حبيب أبداً.

كانت كمن يدفن جميع مشاعره بين جوارحه حتى يسلم، ولكن أي سلام و القلب غادرتَه الظمأنينه و شوه معالمه الخُذلان؟!

اقترَب موعد العشاء ولم يصعد إلى الغرفة لِثَحاوَل تصنّع الاُتبَلاه وشرعت في تغيير ملابسها استعداداً للنزول و كأنه لا وجود له، و لتعتبره مازال غائبا وحين كانت تُنهي زينتها سمعت صوت باب الغرفة يُفتح؛ لتبدأ دقات قلبها بالثورة مرة أخرى، ولكن قمعتها بنفس الطريقة و آثرت ان تنتظر حتى يدلف إلى المرحاض. لا تُريد أن يحدث أي خلوة بينهم أبداً لذا ما أن سمعت صوت الحمام يُفتح تشجعت و توجهت لتلتقط هاتفها الذي كان مُغلَقاً منذ ذلك اليوم فهي لم تكن تُريد الحديث مع أحد و خاصة والدتها، فلم تكن لديها طاقة لأحتمال وجعاً آخر يُضاف إلى حقيبة جراحها ولا لوماً آخر قد يجعلها تنهار كلياً.

امتدت يدها لتفتح باب الغرفة و إذا بها تجد نفسها وجهاً لوجه معه.

اشتبكت الأعين في نظرة طويلة مُدججة بالعتب و الغضب و شيئاً آخر ربما كان الشوق الذي أضنى قلوباً تنن بين الضلوع تتوسل الرحمة فبأي ذنب

تُقتل هكذا ؟

كان أول من قطع ذلك التواصل البصري جبار الذي تجاهلها ليتوجه إلى غرفة الملابس، وقد كان هذا مؤذياً بشكل كبير لها، ولكنها أقنعت نفسها بأنها لن تهتم بعد الآن و توجهت إلى الخارج و منه إلى غرفة الصالون فوجدت الجميع كما هي العادة لا تستدير إليها الأعين ترتدي عدسة الترقب لرد فعلها على عودته، ولكنها تعاملت بطريقة طبيعية ليتهاكم جواد قائلاً:

– ضاع الحماس لهذه الليلة.

تربعت حورية فوق مقعدها وهي توجه نظرات مُتهكمة إليه تشابهت مع نبرتها حين قالت:

– ما رأيك أن اقترح عليك أمراً أكثر حماسة من الذي كنت تنتظره؟

كان الجميع يُراقب فأجابها جواد بسخرية:

– حقاً، و ماهو ذلك الأمر الحماسي يا ثرى؟

حورية باستخفاف:

– ماذا لو أعطيك دروساً في التصوير؟ فأنت أكثر من يعلم كم أنا ماهرة بهذا الأمر.

اجتاح الغضب ملامح جواد، الذي بكل مرة يُحاول مُشاكستها ينتهي به الحال مغلوباً أمامها لتخرج ضحكة صاخبة من فم حكيم الذي قال بتشفي:

- اوافق زوجة أخي على هذا الأمر، فتلك الندبة
في ذراعك تجعلك مُميزًا كثيرًا جواد.

تتفق مع هذا الحكيم بكل شيء، ماعدا ذلك اللقب
الغبى لذا لم يسلم من تهكمها حين قالت:

- ما رأيك لو أعطيك واحدة مثلها، ولكن
لنجعلها هذه المرة في مكان أكثر وضوحاً كالوجه
مثلاً. اعتقد ستبدو وسيقا أكثر حينها.

برقت عيني حكيم من الصدمة ليهتف جواد حانقا:

- اللعنة. تلعب على جميع الأوتار في نفس اللحظة،
فليُساعد الله أخي في محنته.

- أي محنة تقصد؟

هكذا استفهم جبار لتستدير جميع الوجوه عليه ما
عداها على الرغم من أنها أكثر من يُريد ذلك، فحتى
لو كانت ظاهرياً لا مُباليه ففي الداخل بُكاء و أنين و
شوقاً لا يرحم أبداً

- أهلاً أخي. لا تأخذ ببالك يا رجل. لقد كُنت
اتحدث عن حكيم الذي مرت على وجهه شاحنة منذ
قليل.

كان يقول ذلك كناية عن كلمات حورية التي
أصابت حكيم في مقتل، فلم يكثر له و توجه
يجلس على كرسيه كما اعتاد لـ يتحمحم بخشونة
قبل أن يقول :

- لن نكون على العشاء وحدنا الليلة هناك ضيوف

سيأتون لزيارتنا!

لم تُعير حديثه انتباه ، فاستفهمت رجاء قائلة:

من هؤلاء الضيوف جبار ؟

جبار بنبرة جافة دون أن يُكلف نفسه عناء النظر إليها :

ـ سيأتي صهري و عائلته لتناول العشاء معنا الليلة.

توجهت جميع الأنظار على حورية، التي لوهلة لم تُصدق أذناها؛ لتضربها صاعقة رعدية جراء كلمات فيروز الجامدة:

ـ باب البيت مفتوح للجميع ابني.

داخلياً لم تهتز. لا تزال تجلس على مقعدها واضعه قدمًا فوق الأخرى ناظره أمامها ولكن تدور برأسها طواحين !الاستفهامات ؟التي لا تعرف على من تُلقِيها؟! و لكن حتى لو قتلها التفكير فلن تطلب منه إجابة واحدة.

لم تمر عدة دقائق حتى أعلنت الخادمة عن وصول آل شريف ليأتيها صوته الجاف حين قال:

ـ هيا لنستقبل أهلك.

ألقي جملته التي بعثرت الوسط ولم يُكلف نفسه عناء انتظارها، بل توجه الى الخارج لاستقبالهم و قد اضطرت آسفه أن تلحق به و داخلها تشغّر بالسخط

و الحيرة و الألم لكونها ستواجه والدتها و ستنظر
إلى داخل عينيها بعد أن ارتكبت هذا الجرم؟!

أول من وقعت عينيها عليه هو عمها سرحان، الذي
كان بجانبه ابنه مصطفى و خلفهم تقف والدتها و
شقيقتها و ابنة عمها أسيل ليقول جبار مرحبًا:

ـ أهلاً و سهلاً يا شيخ سرحان. تفضل بالدخول.

اجابه سرحان بوقار:

ـ أهلاً بك جبار.

و أيضًا قام بالترحيب بمصطفى بنبرة لم تكن
ودودة كثيرًا:

ـ أهلاً بك.

كان هذا حال مصطفى أيضًا الذي اكتفى بإيماءة
بسيطة من رأسه؛ ليتقدم جبار ويُسلم على زهرة
قائلًا بخشونة:

ـ أهلاً سيدتي. تفضلي.

أجابته زهرة بتحفظ:

ـ أهلاً بك.

رحب جبار بالجميع ليأتي دورها فتقدمت تُعانق
عمها بقوة و كأنها تعتذر عما اقترفته بحقهم، فشدد
الأخير من عناقها وهو يقول بحنو:

ـ كيف حالك يا ابنتي؟

حورية بنبرة حاولت أن تجعلها ثابتة ،وهي تحاول
أن تثبط نوبة بكاء عاتية تهدد بالانفجار في أي
لحظة:

- بخير يا عمي. كيف حالك ؟ و كيف هي صحتك؟

ربت سرحان فوق كتفها بحنو وهو يُجيبها:

- بخير. نحمد الله.

وجهت نظراتها لمصطفى قائلة بنبرة ودودة:

- كيف حالك مصطفى؟

مصطفى بنبرة ودودة أكثر من اللازم:

- بخير يا غالية آل شريف. كيف حالك أنت ؟

في تلك اللحظة لا تعلم لم شعرت بالامتنان
لمصطفى فقد تبدلت ملامح جبار إلى الوجوم و
الغضب الذي تجلى في ذلك العرق المُنتفض الذي
كاد أن يخترق جلد رقبته و قد انسأقت خلف رغبة
عاتيه في تعذيبه أكثر و التعزيز من غضبه لذا قالت
برقة:

- بخير ما دمت أنت بخير.

كادت عينيه أن تخرج من محجريها من فرط
احتدادهم، و قد كان قاب قوسين أو أدنى من
تحطيم رأسها ،ورأس ذلك الوغد لتقترب زهرة التي
كانت تُراقب ما يحدث، فحاولت أن تُشتت الإنتباه
عن هذا الحديث السخيف قائلة بلهفة وهي تُعانق

حورية :

- اشتقت إليك حبيبتي.

شدت حورية من غناق والدتها كثيرًا، وهي تضم قبضتها بغنف تُحاول ألا تبكي و قد تبدل حنقه إلى ألم من مظهرها المُعذب و جعل جمرات الغضب تخبو قليلًا، وبعد لحظات انتهوا من تبادل السلامات بينها وبين الفتيات أيضًا، و قد كانت حورية تُحاول الهرب بعينيها من نظرات والدتها التي شعرت بوجود خطب ما :

- هيا حورية خذي والدتك و الفتيات إلى الداخل و سنجلس نحن في غرفة المكتب.

صدمتها نبرته الهادئة، و ملامحه التي تُشبهها وهو يُحادثها ليتابع قائلاً :

- وحين يتجهز العشاء أرسلني أحد الخدم ليُعلمنا.

لم تتبدل لهجته حين قال جملته الأخيرة، ولكن نظرت كانت مُحذرة فأومأت برأسها وهي تقول باختصار:

- حسنًا.

التفتت إلى والدتها و كُلا من مُهرة و أسيل قائلة:

- هيا الى الداخل.

تبعتها زهرة والفتيات؛ ليدخلون إلى مجلس النساء فتوقف الجميع لاستقبالهم، الذي لم يكن ودودًا بقدر

ما كان لبقًا، و قد كان هذا تحديدًا ما تبتغيه.

تبادل الجميع السلامة و قالت فيروز بوقار:

ـ أهلاً بكم في بيتنا. تفضلوا بالجلوس.

اومأت زهرة برأسها بعد أن حافظت على إظهار ابتسامة مُنمقة على شفثيها و جلست بجانب حورية، و كذلك جلست الفتيات في الاتجاه الآخر من مقعدها و قد كان الصمت يتسيد الأجواء التي لم تكن بهذا الهدوء الظاهري، فقد كان هناك غضب ورفض مُستتر من جانب رجاء و ابنتها و ترحيب و سرور من جانب ملاك التي أخذت تتحدث الى زهرة و الفتيات بحبور. و غموض و تحفظ من جانب فيروز، لتأتي الخادمة و تُعلن بأن طاولة الطعام جاهزة.

توجه الجميع إلى غرفة الطعام فتفاجئت حين قالت فيروز بنبرة هادئة:

ـ اجلسي مكانك بجانب زوجك يا حورية، و بعد انتهاء الطعام سَتُتيح لك فرصة الحديث براحة مع والدتك.

أنهت حديثها و هي ترسم ابتسامة لم تكن مريحة ولكنها كانت كافية لجعل الأمر يبدو و كأنه اعتياديًا بينهم، ولكن الغير عادي حين اقترب يجذب المقعد لها حتى تجلس فوقه، و بالرغم من صدمتها إلا أنها نجحت في التغلب عليها و تربعت فوق الكرسي ليجلس هو الآخر فوق كرسيه و يبدأ الجميع في

تناول الطعام في صمت كان يتخلله أصوات المعالق
وهي تتخبط في الصحون كما تتخبط الاستفهامات
في عقلها.

أخيرًا انتهى وقت الطعام و نهض الرجال الى
مجلسهم، فتحدثت فيروز بوقار:

- هيا حورية خذي والدتك و شقيقتك إلى الأعلى
ليأخذوا راحتهم أكثر.

اومات حورية بابتسامة هادئة، و لأول مرة تشعُر
بالامتنان نحو تلك السيدة

- أخبريني حورية كيف تعيشين في بيت الأشباح
هذا؟

هكذا تحدثت مُهرة بلهفة، ما أن أغلقت حورية باب
الغرفة؛ لتنهزها والدتها قائلة بجفاء:

- اغلقي فمك هذا الذي لا ينطق سوى بالثرهات.

- اتركيها امي، فقد اشتقت لمزاحها و شقاوتها.

هكذا تحدثت حورية وهي تحتضن شقيقتها
فتدخلت أسيل بعتب:

- و أنا حورية ألم تشتاقي لي؟

حورية بخب كبير:

- بلى حبيبتي اشتقت كثيرًا لك.

- هيا اتركوني مع حورية لاتحدث معها قليلًا.

انصاعت الفتاتين إلى أوامر زهرة ، و توجهن إلى
الشرفة ؛لتقول الأخيرة بنبرة مُعاتبة

_ ألم تشتاقي لوالدتك حورية ، أم انك مازلت
غاضبة مني؟

- اقتربت حورية تعانق والدتها بقوة بينما الحروف
تخرج من بين شفاها مُتلهفة لنفي هذا الحديث :

_ من أين أتيت بهذا الكلام أُمي؟ كيف لا أشتاقت؟
و لما اغضب منك؟

بادلتها زهرة العناق بأقوى منه وهي تقول بنبرة
مُشجبة:

_ تغضبين مني بسبب ما حدث آخر مرة بيننا على
الهاتف، و حديثي لك عن زوجك و أمر اختطاف
زين، و لهذا غضبت مني و أغلقتيه.

تراجعت حورية تُناظرها بدهشة تجلت في نبرتها
حين قالت:

_ لا أُمي، لما علي الغضب منك أنت؟ على العكس
تمامًا، فأنا لم استطيع مواجعتك منذ هذا اليوم بعد ما
حدث بسبب...

صمتت تحاول ابتلاع غصة مريرة تشكلت في
حلقها قبل أن تُكمل

_ بسببه!

تحممت زهرة قبل أن تقول بنبرة مُخرجة:

لا حورية. ليس عليك الهرب من مواجهتي. بل أنا.
فقد أخطأت ذلك اليوم. بل أخطأنا جميعًا.

تنبّهت جميع حواسها، وأخذت دقائق قلبها تضرب
كطبول الحرب مما جعل نبرتها مُتهدّجة حين قالت:
_ كيف ذلك ؟

_ الحقيقة أن زين لم يكن مخطوفًا من الأساس.

شهقة قوية شقت جوف حورية من كلمات والدتها
التي تابعت بنبرة مُشجبة:

_ نعم حورية. لقد عاد في اليوم التالي، وأخبرنا
أنه أراد الاختلاء بنفسه قليلًا، فأغلق هاتفه وحينها
ظننا أنه قد تم اختطافه، ولكن ظننا لم يأتي عبثًا،
فقد غاب لأكثر من أربعًا وعشرون ساعة بصورة
مُفاجئة، و تلك الزيارة لم أكن أتوقع أن يوافق عليها
زوجك لذا.

أغمضت زهرة عينيها لا تدري ماذا تقول لتحاول
حورية تجاوز صدمتها، فهي تعلم بأن هذا الحديث
كاذب من قبل زين، فهو قد أخبرها بنفسه بأنه من
اختطفه؛ لذا احتضنت والدتها بقوة في محاولة
للتخفيف من وطأة احساسها بالذنب وهي تقول
بنبرة حانية:

_ هوني على نفسك أُمي، فأنتِ لم تُخطأي بشيء.

رفعت زهرة رأسها تُطالعها باستفهام و ريبة؟!

_ ماذا تقصدين؟

لا تعلم كيف غافلتها. وخرجت الحروف من بين
شفاهها حين قالت:

_ اقصد ان ما حدث كان شعورًا طبيعيًا في ظل ما
يحدث معنا، و ظنونك كانت شيئًا منطقيًا نظرًا لتلك
العداوة التي لم تخمد جمراتها بعد لذا لا داعي لأن
تحزني بتلك الطريقة.

شيء ما داخلها أمرها بأن تنفي تلك التهمة البشعة
عنه حتى لا تتشوه صورته أكثر في عيني أهلها و
خاصة والدتها، و لتتلقى هي بهذه الجمرات الموقدة
بداخل صدرها.

_ أشكرك حبيبتى لمحاولتك في التخفيف عني،
ولكني أريد الإطمئنان عليك.

حاولت قمع جميع شعورها و ألمها و خيبتها خلف
قناع من اللامبالاة التي تضمنتها لهجتها حين قالت:
_ بخير أُمي. اطمئني.

لون الحرج معالم زهرة فحمحت بخفوت قبل أن
تقول بتوتر

_ أقصد. هل حياتك مع زوجك تسير بشكل
صحيح؟

للوهلة الأولى لم تفتن حورية لما تقصده من
سؤالها، ولكن بعد ذلك وصلها المغزى من استفهام
والدتها ورغم أنها كانت تهم بالرفض، لكن معالمها
قدمت إجابة كافية لأعين زهرة، ف خديها قد تخضبا

بدماء الخجل و زاغت نظراتها لتدور في أنحاء
الغرفة بغير هدى ،ولكن سرعان ما تجمدت حين
ضربها إعصار مفاجيء من جانب والدتها التي قالت
بوجوم:

- اتمنى أن تسعدي الباقي من عمرك مع زوجك، و
أن يعلم بأنك جوهرة ثمينة و يجب أن يكن مُمتنًا
للحصول عليها، و اعتقد ان هذا الأمر تحقق بالفعل.
لم تلحظ جملة زهرة الأخيرة فتصريحها الأول كان
مُباغتًا فكان وجهها لوحة حية للدهشة التي جعلتها
تهمس دون وعي:

- أمي.

زهرة بجمود:

- اعلم انك مُتفاجأة من حديثي، ولكن لا شيء
أمامي سوى أن اتمنى أن تكن حياتك هائلة معه،
فأمر انفصالكم غير قابل للنقاش أبدًا، ولهذا
سيتغاضى قلبي عن كل شيء لأجل أن يراك
سعيدة.

رغمًا عنها تناثرت شظايا الألم من بين مآقيها من
حديث والدتها ،التي ودت لو ترتمي بين ذراعيها
و تصرخ مُلتاعة حتى تتمزق أوتار صوتها عل ذلك
الوجع المستوطن أعماق قلبها يهدأ ولو قليلًا.

- لا يا أمي. لن أسعد معه مُطلقًا. لن أحيا برفقته
حياة هادئة، ولن أتغاضى عن ما حدث في الماضي

أبدا.

هكذا هتفت وكان عقلها يود إقحام الكلمات داخل قلبها الذي يرتجي عشقه ولو كان نيرانا تحرقه، ولكنها ترفض بكل ما أوتيت من قوة لتأتيها كلمات والدتها الحانية حين قالت:

_ مُخطأة حبيبتني، فالماضي قد حدث لا تستطيع تغييره، ولكن الحاضر ملك لنا نستطيع أن نتحكم في مستقبله كيفما نشاء. فقط أعطي لنفسك فرصة، و ياذن الله لن تندمي.

_ أنا نادمة أُمي. انا بالفعل نادمة. حتى أن الندم يكاد يقثلني.

زهرة بصدمة من حديث حورية المُفعم بالألم:

_ لما تقولين ذلك ؟ ماذا حدث؟

تراجعت عن ذلتها لتحاول التحكم بنبرتها المُحطمة حين قالت:

_ هل سئعيد الحديث من البداية أُمي؟

زهرة بتعقل:

_ أخبرتك حورية الماضي انتهى. لا تجعليه يعود مرة أخرى، واعلمي بأنك تحملين وزرا عظيم أن حرمتيه من حقوقه.

كاد عقلها أن يُجن من حديث والدتها فهتفت حانقة :

- توقفي امي عن هذا الحديث رجاء، فلا طاقة لي
بالخوض به أكثر من ذلك.

زهرة بحنو:

- حسناً حبيبتي. كما تريد.

دلفت الفتيات إلى الغرفة و حاولت حورية أن
تكون طبيعية و تستمتع بقضاء الوقت معهم. إلى أن
جاء وقت الرحيل لتنزل برفقتهم إلى أسفل الدرج؛
ليقابلهم جبار و معه عمها و مصطفى في البهو.
فودعتهم حورية بقلب مُلتاع وحين جاء دور مُهرة
قامت بوضع ورقة مطوية بين كفوفها ثم عانقتها
هامسة بجانب أذنها:

- لا تجعلي أحد يرى هذه الورقة، و سأنتظر منك
خبراً.

لم يظهر شيء على مُهرة التي أتقنت التعامل
بطريقة طبيعية، و هكذا غادر الجميع ليغلق جبار
الباب وتلفتت هي تنوي التوجه إلى الأعلى، ولكن
أوقفها صوته الأمر حين قال:

- انتظري.

توقفت بمكانها ليتابع سيل أوامره:

- احضري لي فنجان من القهوة و اتبعيني إلى
المكتب.

كادت أن تُخبره في تلك اللحظة أن يذهب إلى
الجحيم هو و أوامره، ولكنها تراجعت في آخر لحظة

لتجيبه باختصار و نبرة جافة :

_ حسناً.

توجهت إلى المطبخ لشُخبر الخادمة بإعداد القهوة
له التي تتمنى لو تُريقها فوق وجهه الكاذب، ولكنها
تعلم بأن لا شيء سيؤذيه أكثر من تجاهلها الذي
تبرع فيه. لذا توجهت إلى غرفة مكتبه تطرق الباب
و بجانبها الخادمة تحمل صينية دائرية بها كوب
مياة و فنجان من القهوة، فسمح جبار لها بالدخول؛
ليتفاجأ من وجود الخادمة التي وضعت الصينية
فوق مكتبه و توجهت للخارج بأوامر من حورية،
فسمح أولاً لعينييه بأن تُحيطها بنظرة شمولية تُخفي
براكين شوقاً ضارية، يقمعها بشق الأنفس ثم بعد
ذلك تحدث بنبرة جافة و ملامح جامدة:

_ من قام بإعداد القهوة؟

حورية باختصار:

_ مرام.

_ وهل طلبت من مرام أن تُعدها ام منك أنت؟

_ و هل أنا خادمتك؟

رغماً عنه اشتاق لحروبهم الدامية و لردودها و
عنفوانها و ذلك البريق المتوهج في عينيها، و لكنه
مُجبر بالتظاهر بأن لا شيء بداخله سوى الغضب
فقط لذا جاءت نبرته قاسية حين قال:

_ وهل إعداد القهوة لزوجك يجعلك خادمة؟ أم

أنك تحاولين أن تنفثي عن غضبك ياغضابي؟

حورية بجفاء و ملامح و كأنها قُدت من حجر:

- برأيي انك تُعطي لنفسك قدرًا أكبر من ما تستحق لذا أنصحك بأن تتوقف عن ذلك حتى لا يؤلمك الواقع.

هب من مقعده ناصبًا عوده وهو يتوجه إليها بعيني تجمعت سحبها و أرعدت سمائها بغضب تجلى في نبرته الخطرة حين قال:

- يبدو أن الواقع ألمك بشدة، ولهذا تُهاجمين دون وعي.

حاولت الثبات و إحجام تأثيره القوي عليها لذا قالت بجفاء :

- أي واقع تقصد؟

توقف أمامها مُباشرةً يشملها بنظرات كانت و كأنها تُجردها من كل شيء لدرجة أن تجعل حفنة من المشاعر الضارية تجرفها و كأنها فيضان قوي ضرب سدًا هش فأسقطته في الحال كما جاءت كلماته لثصيب ثباتها في مقتل حين قال بهسيس خشن:

- واقع عشقك الضاري لي. الذي مهما حاولتي إنكاره لن تفلحي في ذلك. كما لن تفلحي في محو تلك الليلة من ذاكرتك مهما فعلتي، ولو تعمدي تجاهلي الباقي من عمرك.

كان بارغا في الاستحواذ على تعقلها وإضرار

النيران في ثباتها الذي بدأ يتلاشى وهو يأتي على
ذكر تلك الليلة أمامها، ولكنها لن تخضع أمام ظغيانه
وضغطه الذي يمارسه بكل فُحش على حواسها لذا
قالت بسخرية:

_ كالعادة تتوهم و تُصدق. لهذا لن أجادل.

كان كل ما بها ثابت ماعدا تلك الموجة الفتالمة في
بحر عينيها الأزرق الذي جعله يقوم بـ شن غارة أسوأ
من سابقتها حين قال بنبرة خشنة :

_ أي وهم خلوتي؟ فما زلت تأوهاتك بين ذراعي
تتردد بأذني إلى وقتنا هذا. لقد كنتِ تذوبين داخل
أحضاني كقطعة من الذبدة فوق صفيح ساخن.
أليس هذا دليل على عشقك ام أنني اتوهم أيضًا؟!

كيف لشخصًا واحد أن يملك كل هذا الكم من
البجاجة؟ هكذا استفهمت وهي تستنكر جراته وهو
يعرض مقتطفات من تلك الليلة أمام ناظريها، و أيضًا
يواجهها بمشاعرها وهي بين ذراعيه ولكن الأمر
كان مسألة بقاء بالنسبة إليها أما هي و إما هو ولذا
تقصدت اللامبالاة في حديثها حين قالت:

_ لا تُفجم العشق في أمور الجسد و الرغبات
الحسية وأيضًا ألم يكن هذا هو ما ينص عليه ميثاق
السلام؟ هنيئًا لك فقد تحقق الآن.

كان بحرهما الأزرق المتوهج مليء بالتناقض، الذي
يجعله في حيرة من أمره لا يعرف أي تيار عليه أن
يسبح حتى ينال قلبها من جديد، ولكنه تابع على

نفس المنوال سالكا هذه المرة منعطف غامض حين
قال:

_ لا . ما تحقق هو ميثاقنا الخاص حوريتي.

_ ماذا تقصد ؟

باغتتها إجابته حين قال:

_ ما رأيك لو أبرمنا ميثاق آخر يخلصنا وحدنا و
لنطلق عليه مثلاً ميثاق السلام و الياقوت و ليكن
بمثابة بداية جديدة؟

نزفت جروحها بالكامل دفعة واحدة. فجاءت
لهجتها شرسة من فرط الألم حين قالت :

_ سأردد على مسامعك تلك الجملة التي نطقت بها
حين علمت عن أمر ذلك الميثاق.

استفهم جبار بفضول :

_ و ما هي؟

_ أي ميثاق يُعقد مع خائن ؟ و أي سلام يُمنح
لقاتل؟

اخترقت الجملة أعماق قلبه، الذي انتفض مُلتاعاً
حين رأى نفسه بعينيها ؛لثتابع بقوة تبغي إيلامه
حتى ولو نالت من العذاب أضعاف مائته:

_ أما بالنسبة لخاتم الياقوت المُزيف الذي أهديتني
إياه، فهو يُشبه ما حدث بيننا تماماً. مُجرد مشاعر
مُزيفة لا ترتقي حتى لثصبح ذكرى اعتز بها، وكما

أخبرتكَ سابقًا الياقوت الحقيقي انت أبدًا لن تقدر
على ثمنه، ولن تستطع اقتنائه ماحييت.

كانت كلماتها مؤلمة إلى حد مُروع، جعل قلبه
يتفتت من الداخل، ولكنها نست أن الألم حين
يتجاوز الحدود يُنجب القسوة التي اجتاحت سماء
عينيه ليخرج صوته باردًا كالصقيع حين قال:

— أنت مُحقة، فلا سلام بيننا، ولا حتى ذكرى عزيزة
قد نتشارك بها. كل ما سيربطنا من الآن فصاعدًا هو
وعد. ما أن أقوم بتنفيذه فستكونين حرة للأبد.



الميثاق الحادي عشر

لما لا يُغادرنا سوى أولئك الذين خبأنهم بين
طيات الروح ، و أسكناهم أعماق القلب ؟ لما لا يكن
الأمر عادلاً ولو لمرة واحدة و كما سرنا سوياً برحلة
العشق الزائف نمشي سوياً برحلة النسيان المُضنية ،
المُدججة بجمرات الشوق ، و الحنين ، و نوبات
الغضب التي تجتاحنا حين نعلم بأن الفراق لم يكن
باختيارنا بل أجبرنا قسراً عليه ، فمن اختار الرحيل
بملء إرادته لا شيء يُغريه بالبقاء ، و من أغتيلت
مشاعره بتلك الطريقة لن يفلح في التخطي ولو
مضى ألف عام ، حتى و لو لفحته رياح النسيان فلن
تنمحي الندبات ولا آثارها بل ستظل مطبوعة بمكان
من تسببوا بها .

نظراته القاسية و نبرته الجافة و كلماته الغامضة
كان لهم وقعاً عظيماً عليها وخاصةً حين أتى على
ذكر خريتها لذا لم تفلح في قمع الكلمات من الفرار
من بين شفاهها حين قالت:

ـ ماهو هذا الوعد ياترى؟

جبار بنبرة انقسمت إلى جزئين أحدهما قاسياً
والآخر متوعداً:

ـ بأن أجعلك تندمين على كل حرفاً تفوهتِ

به الآن. ستندمين حين لم يغد ينفع الندم، و
ستذكرين تلك اللحظة جيدًا حتى انك ستتمنين أن
تعود مرة أخرى. حورية آل فارس.

كان الأمر مُفزعًا بالنسبة إليها للحد الذي غيب
عقلها، و جعلها على وشك الاختناق لتأخذها قدمها
إلى الخارج تحاول تعبئة رئتيها بالهواء النقي، فلم
تلاحظ سلمي التي أتت لتوها تنوي البقاء معهم
الليلة، والتي ما أن رأتها في هذه الحالة حتى خربش
الفضول عقلها؛ لتجدها تجلس فوق الأرجوحة بصدر
يختنق و عينيها لم تدخران دمة واحدة. بل ذرفت
مياهها بسخاء فضيقت رضوى عينيها بمكر ثم
قامت يلتقاط هاتفها لتسجيل مقطع فيديو لانهيار
حورية الذي قطعه رنين هاتفها فما أن شاهدت اسم
الفتصل حتى أجابت بلهفة و نبرة تجيش ألقا:

– مهرة. هل قرأت الورقة التي اعطيتها لك؟

مهرة بصدمة:

– هل أنت مجنونة حورية؟ كيف تطلبين شيئًا مثل
هذا؟

حورية بقهر جعل تحفظها في الحديث يذهب
أدراج الرياح:

– لا أريد سماع نصائح الآن. فقط أريدك أن
تصليني بزين. أريد مُقابلته في أسرع وقت مُمكن.

برقت عيني سلمى حين سمعت جملة حورية

الأخيرة و الحقيقة أنها أخذت تستمع بإنصات إلى تلك المكالمة الذهبية ،التي أنتها كمعجزة من السماء تنوي استغلالها أسوأ استغلال، و هذا بالفعل ما حدث فأخذت تعبت بهاتفها و على ثغرها ابتسامة خبيثة، فقد وقع الغزال في براثن صياد لا يعرف أي شيء عن الشرف.

لم يكن الوقت قد تجاوز الواحدة صباحا حين دلفت إلى القصر ،ولكن هذا هو نظام ذلك البيت الكبير فمن يراه في هذا الوقت يفكر بأن الليل قد انتصف نظرا للجوء الجميع إلى النوم، وحين كانت في طريقها إلى الدرج سمعت صوت همهمات قادم من المطبخ المظلم فلا تعلم لما غزا الشك عقلها ،ولكنها تجاهلته و توجهت إلى الأعلى ،لتسمع صوت رجل قادم من غرفة ملاك فأرادت الدخول إليها ولكن تراجعت حين سمعت أصوات أقدام تتحرك في الغرفة. فقامت بالاختباء بجانب أحد الجدران لتفر دقيقة و تجد أحدهم يتوجه بخط سُلحفية من المطبخ إلى الصالة الكبيرة و منه إلى الأعلى ،فقامت بالاختباء وراء هذا الكرسي الضخم الذي ابتلع جسدها بالكامل خلفه لتتفاجيء بذلك الرجل يتقدم إلى غرفة ملاك وهو يتلفت يمينا و يسارا فهوى قلبها دُعرا ولم تعرف ماذا عليها أن تفعل ؟ تخشى الصراخ فيهرب و لا تملك من الوقت ما يجعلها تهرول إلى جبار الذي لا تعلم أين هو؟ و ترتعب من فكرة أن يؤذي ذلك الرجل ملاك لذا

قامت بالتوجه إلى ذلك الحائط لتلتقط تلك البندقية
المعلقة في منتصفه. الأكيد أنها لا تصلح للاستخدام
وليست محشوه ولكنها سلاح قوي ما أن أرادات أن
تخيف أحدهم أو تحطم رأسه،

وفجأة وجدت باب الغرفة يُفتح و يخرج أحد
الرجال ينظر حوله ثم أشار للآخر بالخروج والذي
كان يحمل ملاك فوق كتفه وهي تتخبط بين يديه
مُكممه الفاه ليتقدم إلى الأمام و الآخر يراقب من
الخلف فارتجف جسدها دُعزا حين شاهدت ما
يحدث، ولحسن حظها فقد كانت تقف في رُكنًا
مُظلم فلم يتمكن الرجلان من رؤيتها، ولا تعلم من
أين انتها تلك الشجاعة لتقترب بخفة حين كانوا
على وشك هبوط الدرج لتقوم برفع البندقية و تهوى
فوق رأس ذلك الذي كان يُراقب الأجواء وهي تصرخ
بعلو صوتها:

– أيها النذل.

من شدة الضربة اختل توازن الرجل و سقط
مُتدحرجا على الدرج و حين ألُتف الآخر باغتته
صارخة وهي توجه سلاحها أمام وجهه:

– اتركها يا حقير.

حين رأتها ملاك أخذت تتخبط بعنف بين يدي ذلك
الرجل و لسوء حظها كانت مُربطة اليدين و القدمين
فارتجف بدنه خوفاً من أن ينكشف أمره خاصةً و أن
زميله قد سقط في الأسفل فحاول السيطرة على

جسد ملاك و ترهيب حورية قائلاً بغلظة:

_ اصمتي حتى لا أقتلكم مغا.

شدت من رفع سلاحها المزعوم أمام وجهه وهي تقول بضراخ:

جرب أن تقترب منا و سأقوم بتفجير رأسك في الحال . قلت اتركها.

كان هناك صوت قادم من الخارج ف تلاحقت انفاس الرجل و استغل تشتيت انتباه حورية التي وجهت انظارها الى الباب فاقترب بلمح البصر و قام بدفعها بقوة لتصطدم بالجدار خلفها وهي تصرخ بلوعة:

_ جبالاار..

اخترق صوتها أذنه، فهرول فاتحاً باب المنزل ليجد شبح لرجل يحمل امرأة فوق كتفه فأخرج جبار سلاحاً و قام بشد أجزائه وهو يزار بوحشية:

_ توقف يا لعين.

بلمح البصر استيقظ الجميع وكان أولهم حكيم الذي قام بإضاءة مكبس الكهرباء ليهلع الرجل فقام بقذف ملاك تجاهه ثم توجه ليقفز من النافذة خوفاً من أن يلقوا القبض عليه دون النظر إلى بُعد المسافة بينها وبين الأرض ليسقط صريعاً في الحال.

حين القى الرجل ملاك هرع حكيم في محاولة منه

لمنع اصطدامها بالأرض و قد نجح في التقطها على
آخر لحظة فسقطت بين يديه. ليفزع الجميع مما
حدث وانطلقوا مَهْرولين جزءً الى ملاك و آخر الى
حورية التي أصيبت في رأسها و تركت بقعة من
الدماء أسفلها مما جعله يهرول كالمدوغ إلى حيث
كانت راقدة ليقوم بجذبها إلى أحضانه وهي يقول
بلهفة لا يشوبها عقل والذي تحول في تلك اللحظة
إلى حصى مُلقى في دربًا غير مستوي يُعرقل طريقه
في الوصول إليها:

– حورية. خلوتي هل أنت بخير؟

كانت ضعيفة هشة تحتاجه بكل جوارحها لذا
همست بآلم:

– رأسي يؤلمني جبار

عرفت يداه طريقها إلى ذلك الجرح في رأسها
ليقوم بجذب منديله القماشي من جيب شترته
ليضغط بقوة فوقه مُكمِّمًا تدفق الدماء من رأسها
وهو يقول بحنو:

– تماسك حبيبتي. سأخذك حاليًا إلى المشفى.

مرت الدقائق سريعة ما بين فك و ثاق ملاك
والإطمئنان عليها ، و إنقاذ حورية التي كان
جرحها سطحي من حسن حظها ، ليقوم الطبيب
بخياطته . ثم تركها لترتاح بعض الوقت ليتقدم جبار
منها محتضنًا إياها من الخلف بقلب ينتفض حد
شعورها به جراء ذلك التلامس المباشر بينهم،

فقامت بإسناد رأسها إلى صدره بتعب تجلى في
نبرتها حين قالت:

- جبار.

هسيس خشن من جانبه دغدغ حواسها حين قال
بجانب أذنها:

- ششش. لا تُفسدي هذه اللحظة بالحديث خلوتي.
أريد أن أشعرك بين أحضاني فقط.

كان يُريد أن يُكمل جملته حتى تعود أنفاسه
الهاربة ولكنه لا يستطيع تعرية مشاعره إلى تلك
الدرجة، فلا زال هناك الكثير من الأحداث لا يمكن
تجاوزها، وعلى الجانب الآخر كانت هي الأخرى
مُتعبة كثيرًا و تعلم أن ذراعيه السبيل الوحيد
لراحتها حتى ولو كانت مؤقتة، فانسأقت خلف
إغواء حضوره و دفء صدره الذي تركز عليه و
لدهشتها فقد غرقت في نومًا عميق فلم تشعُر
بنفسها وهي محمولة بين ذراعيه التي كانت تطوقها
بقوة و كأنها جوهرة الثمينة التي يخشى عليها من
نسمة الهواء، فقام بوضعها برفق فوق مخدعها و
عينيه لا تستطيع أن تُفارقها و كذلك يديه، ليقوم
بنزع قميصه و إلقاءه بمنتصف الغرفة ليأخذ جانبها
في الفراش و يحتويها بالكامل بين أحضانه بقلب
يئن ألما و غضبًا و الأكثر منهما شوقًا.

ما حيلة قلب أضناه شوقه

أن كُتب على جبينه الفراق ؟

لم يختر يارادته نيران الجوى !
إنما باغته و نال منه سهمه الأفاق ..
فثار و عصي و على نهجه لم يأبى الانسياق ،
فخاب و خسر و لم يَعد أنين قلبه بأمرا يُطاق
ولكن المحبوب بات يتألم .

واكتوى فؤاده بنار الجُور و ضاق..
فهل كل الذنوب يُمكن تكفيرها ؟
و هل كل القلوب تُحسن الإرفاق ؟
فالعشق داء لا يفلح معه دواء
ولا يُداوي شجوجه سوي التلاق..
و لكن الغفران بات شيئاً مُستحيلاً
و أصبح دربه وعِزاً تملؤه الأشواك
و صار تآلفنا حكاية كُتب على نهايتها الفراق

جاء الصباح فاستيقظت برأس يشطره الألم إلى
نصفين و ملامح واجمة لتجد نفسها وحيدة في
منتصف فراشه الذي لازالت رائحته مطبوعة فوقه،
ولكنه لم يكن موجوداً!

سقطت في فخ الحيرة عن حقيقة وجوده معها
ليلة البارحة، فقد كانت تستيقظ أحياناً من شدة

الألم لتشفّر بيداها تهددها كطفلاً صغير حتى
يطيب وجعها و أحياناً أخرى كانت تشفّر بشفاها و
هي تتنقل كالفراشات فوق ملامح وجهها مصحوبه
بهمسات عاشقة كانت وكأنها تمتص كل هذا الوجد
الذي يستقر في أعماقها أولاً. هل يمكن أن يختلط
الواقع بالحلم ليهيأ لها ذلك؟ ام أنه كان هنا بالفعل؟

لم تكن تنقصها سوى تلك الحيرة لتضيف ألماً من
نوع آخر إلى آلامها الهائلة، لذا حاولت النهوض من
مخدعها لتتوجه إلى المرحاض ولكن أوقفها ذلك
الطرق على باب الغرفة، فاعطت الأذن للطارق
بالدخول، فأطلت ملاك برأسها لتنفرج أسارير حورية
عند رؤيتها سالمة، فملاك وصف لها قبل أن يكون
أسم.

ـ كيف حال حوريتنا الجميلة ؟

هكذا هتفت ملاك بمرح فأجابتها حورية بابتسامة
بسيطة:

ـ بخير. كيف حالك أنت ؟

بهذه الأثناء جلست ملاك بجانبها وهي تقول بأعين
يلونهم الإمتنان الذي تجلى بوضوح في نبرتها حين
قالت:

ـ بخير، والفضل يرجع في ذلك إليك بعد رب
العالمين. لا أعرف كيف أشكرك حورية، فقد أنقذت
حياتي.

اختتمت ملاك جملتها وهي تمسك بكفوف حورية
و مياة الخوف تنساب من بين مآقيها وهي تتابع
بنبرة ترتجف من هول ما مرت به تلك الليلة :

_ الله وحده يعلم ما كان ينتوي هذا الرجل فعله
بي.

قاطعت حورية حديث ملاك وهي تمد أحد كفوفها
لتربت فوق وجهها بلطف تبلور في لهجتها حين
قالت:

_ هششش. استغفري ربك ملاك، ولا تكرري هذا
الحديث مرة أخرى. الحمد لله انك بخير و آمنة
بيننا.

ملاك بامتنان:

_ هذا بفضلك.

نهرتها حورية بلطف:

_ لا تقولي ذلك، فأنت شقيقتي، و الشيء الوحيد
الجيد الذي جنيته من ذلك الزواج.

تبدلت نظرات ملاك الى أخرى عابثة وهي تقول
بتخاؤث:

_ تقولين أنني الشيء الوحيد الجيد في هذه
الزيجة! وماذا عن ذلك العشق الذي يجعل الأجواء
دائما على صفيح ساخن بينك أنت و أخي.

نفشى الخجل في نظراتها و لون ملامحها، لتحاول

نفي حديث ملاك باندفاع ولهجة يغزوها الإرتباك:

_ ما ماهذه السخافات التي تتفوهين بها؟

ملاك بقوة و إصرار:

_ ليست سخافات حورية، فقد رأيت بعيني كيف
تنظران إلى بعضكم البعض؟ و الأدهى من ذلك
هو أنني رأيت أخي ذلك الرجل الذي يُرهّب أعتى
الرجال يرتجف كالطفل الصغير بكل مرة تمرضين
بها أو يحدث لك شيء. لا تُقنعيني أنك لا تفهمين.

أحتاج قلبها تأثراً بحديث ملاك ولكن عقلها لم
يسمح له بالتمادي أكثر لتقول بنبرة قاطعة:

_ لا افهم ولا أريد أن افهم. أخاك ليس سوى عدوي،
ولن يرتقي عن تلك المنزلة أبداً.

تفشّت الصدمة بملامح ملاك من حديث حورية،
الذي استنكرته بشدة و غضبت كثيراً بسببه فهتفت
قائلة بتقريع:

_ أنتِ تُناقضين نفسك حورية أو ربما تهزيين من
شيء ما، و إن كان ما تقوليه صحيحاً فأنا أيضاً
عدوتك مثله. انا ملاك آل فارس هل نسيتي ذلك؟

صفعتها ملاك بحقيقة تحاول الإفلات من بين
برائتها فلم تستسلم لذا قالت باندفاع:

_ أنتِ لا تشبهينه ملاك.

ملاك بقوة :

- نعم أنا لا أشبهه، فجبّار الفارس لا أحد يُشبهه
حورية. أنه رجل عادل، و يتقي الله كثيرًا. أوافقك
انه أحيانًا يَكُن قاسيًا و أن له هبة تجعل الجميع
يخشونه، ولكن تلك المسئولية التي على عاتقه
ليست سهلة أبدًا.

كانت ضعيفة في تلك اللحظة كثيرًا و لم يَكُن
ينقُصها أن تُردد ملاك مميزاتة أمامها. لذا حاولت
الهرب قائلة بجمود:

- لا أريد أن اتشاجر معك ملاك. لذا لتُغلق الموضوع
رجاءً.

ملاك بجمود:

- كما تريد حورية، وشكرًا مرة أخرى لما فعلته
من أجلي.

التفتت تنوي المُغادرة، فإ هي تُحب شقيقها كثيرًا
ولم تحتمل إصرار حورية على الحط من قدره،
و حين وصلت إلى باب الغرفة توقفت لتقول بجفاء:

- ستجلب لك الخادمة الفطور إلى هنا، و معه
دوائك، و بالفُئاسبة من أمر بذلك هو عدوك. الذي كاد
أن يُجنّ البارحة من فرط القلق عليك.

مر يومان تحسنت حالة جرحها كثيرًا، ولكن لازال
القلب يتألم يتمنى لو يجد إجابة شافية لجميع
استفهامات العقل. الذي يمنعها عن رجُلًا لن تفلح

لغات العالم في وصف ضراوة عشقها له، و لم تخلق
قوة على الأرض يُمكنها نزع ذلك العشق من بين
حنايا صدرها، ففُجِرد غيابه اليومين الماضيين
أشعرها وكأنها غادرت من دنيا رائعة مليئة بالألوان
إلى عالم مُعَيَّم. هذا هو بالضبط تأثير غيابه عنها.

أطلقت تنهيدة قوية علها تُخرج وجعها ممزوجًا
بثاني أكسيد الكربون، ليأتيها طرقًا قويًا على باب
الغرفة فظنت بأنها ملاك التي لازالت غاضبة منها
منذ آخر حديث بينهم و قد قررت ان تُراضيها اليوم،
ولكنها تفاجئت حين وجدت فيروز الفارس تتقدم
إلى داخل الغرفة و على وجهها ابتسامة هادئة كانت
أقصى ما يُمكنها تقديمه للجميع :

ـ مرحبًا حورية. كيف حالك الآن ؟

حممت حورية بخفوت قبل أن تُجيب باختصار:
ـ بخير.

ـ و كيف حال جرحك ألا يزال يؤلمك ؟

هكذا استفهمت فيروز لثجيبها حورية بهدوء:

ـ ليس كالسابق. تحسن كثيرًا.

فيروز بوقار:

ـ حمدًا لله على سلامتك. لقد قلقنا عليك.

فاجأتها فيروز بحديثها لتقول بابتسامة هادئة:

ـ أشكرك سيدة فيروز.

نظفت فيروز حلقها قبل أن تقول بنبرة بها خيط
من الإمتنان:

- لا حورية أنا من عليها شكرك وليس أنت.

تفاجأت حورية من حديث فيروز التي تابعت
بصدق:

- لقد كان موقف نبيل. أظهر بوضوح معدنك
الأصيل.

حورية باندهاش:

- معدني الاصيل! هل هذا اعلان بأن لقب ابنة
القتلة قد سلب مني؟

لم تفلح في قمع السخرية من نبرتها، ولكن فيروز
أجابتها بغموض:

- تعلمين شيئاً حورية؟ الحياة لا تنفك عن مفاجأتنا
بكل يوم يمر من عمرنا، فحين نظن بأننا وصلنا إلى
درجة التضج الكامل الذي يُمكننا من الحكم على
البشر بطريقة صحيحة، ثباغتنا برأي مُخالف لتجعل
العدو يُصبح حبيب و الحبيب يُصبح عدو. أتمنى لك
الشفاء العاجل، و اعلمي بأنه سيأتي يوم و سأزد لك
جميلك مع ملاك.

أنهت فيروز جملتها و التفتت تنوي المغادرة، وفي
هذه الأثناء جذب انتباه حورية صوت وصول رسالة
نصية إلى هاتفها، الذي ما أن فتحت حتى تلاحقت
أنفاسها لترفع رأسها و تهتف بلهفة:

- سيدة فيروز. هل بإمكانني أن أطلب منك شيء؟
توقفت فيروز أمام باب الغرفة تناظر حورية بهدوء
شاب لهجتها حين قالت:
- تفضلي.

حممت حورية بارتباك حاولت جاهذا طمسه من
لهجتها حين قالت:

- لا أعرف إن كان هذا ممكناً أم لا، ولكن أشعر
بالضجر و ينتابني شوقاً كبيراً إلى عائلتي.

صمتاً تام خيم على ملامح فيروز من طلب حورية
والتي اندفعت قائلة:

- هذا ليس مُقابلاً على ما فعلته مع ملاك أقسم لم
أقصد ذلك، ولكن..

قاطعها فيروز بهدوء:

- لا عليك حورية أتفهمك، ولكن المشكلة تكمن في
أن جبار ليس بالمنزل، ولا أستطيع الوصول إليه
في الوقت الراهن.

نفضت الرجفة التي اعترتها حين جاءت على
ذكر اسمه و كذلك خيظاً رفيع من الذنب تسلل إلى
صدرها لما تنتوي القيام به لتتهف بنبرة يائسة :

- أتفهمك. شكراً سيدتي.

ران الصمت لثوان قبل أن تقول فيروز بنبرة
هادئة :

- سأحدث السائق ليقلك إلى هناك ثم يعيدك في
المساء.

ابتهجت ملامحها ، و تشكلت ابتسامة عريضة
على وجهها أثارت فضول فيروز ولكنها لم تعلق
بل اكتفت بإيماءة من رأسها حين هتفت حورية
بامتنان:

- أشكرك من كل قلبي.

- اهبطي حورية لن يحدث شيء. ستعرفين منه
حقيقة ما حدث ثم تعودين، و كأن شيئاً لم يكن.
هكذا أخذت تحاول بث الطمأنينة داخل قلبها وهي
تستقل السيارة لمقابلة زين الذي أرسل لها رسالة
نصية محتواها:

- حورية سأنتظرك في الكوخ الصغير فوق التلة
المقابلة للجسر عند الغروب، فقد أخبرتني مَهرة
بطلبك لرؤيتي، وقد رفضت بشكل كبير، و اليوم
أخبرتهم بأنني سأغادر إلى المدينة، ولكن سأنتظرك
هناك. لا تخبري أحد، و حين تسألك مَهرة أخبريها
بأنك صرفتِ نظر عن الأمر، ولا تنسي حذف هذه
الرسالة حتى لا يراها زوجك!

توقفت السيارة أمام بيت أهلها، و ترجلت منها
حورية لتشكر السائق الذي أخبرها بأنه سيعود عند
المساء لأخذها، فدلقت إلى داخل المنزل لتجد
والدتها في انتظارها بابتسامة عذبة و كذلك مَهرة و
أسيل. تبادلن السلامات الحارة مع الجميع، و دلقت

إلى داخل المنزل لتقرب منها مُهرة قائلة بخفوت
بجانب أذنها:

ـ بخصوص ذلك الطلب الذي طلبته مني...

قاطعتها حورية بضغطه قويه فوق فخذها دون
أن تقطع تلك البسمة المُرتسمة فوق شفاهها لِشجيبها
بنبرة هادئة:

لا عليكِ حبيبتي. لم أَعُد في حاجة إليه.

تنفست مُهرة الصعداء و شرعت الفتيات في
الحديث و المرح لتتوجه حورية إلى والدتها قائلة
بخفوت:

ـ هل لي بطلب صغير امي الغالية ؟

غزت الدهشة معالم زهرة التي قالت بتقريع:

ـ لا تقوليها حورية. أَلزَلتِ ثريدين ارتكاب ذلك
الجنون مرة أخرى.

عقفت شفتيها بخزن وهي تقول بخفوت:

ـ أمي. اشتقت لفرسي كثيرًا. أريد أن اشعر
بالحرية. تعلمين كم يعني لي ذلك الشعور.

تعلم زهرة كم تعشق ابنتها هذا الشعور، فقد كان
أكثر شيء تشتاقه بكل مرة تأتي بها إلى البيت، فلم
تكن تعارضها بل كانت تشعر بمدى احتياجها لذلك
الإحساس الخاص، و لأجل هذا لم تُرد أن تُحزنها أبدًا
لذا انصاعت لذلك الرجاء الكبير بعينيها وقالت

بحنو :

_ كما تُريدِين حبيبتي، ولكن لا تتأخري.

أخيراً كانت تمتطي فرسها و تعدو كما كانت تفعل
في السابق، ولكن لم تكن هذه المرة مثل سابقتها
فقد كان هناك شيء ينبغز بداخلها، و يُذكرها بأنه لو
اكتشف فعلتها فسقوم القيامة حينها.

كانت سيارة زين تلوح أمامها من بعيد لُهدئ من
سرعة الفرس تدريجياً إلى أن توقفت على بعد
مائتي متر من الكوخ تنظر إليه من بعيد ولا تدري
هل ما تفعله صواب ام لا؟

أطلقت زفرة حارة من جوفها بعد أن أخذت قرارها
و شرعت في تنفيذه.

دلف إلى داخل البيت ليجد الجميع في غرفة
الجلوس ماعدا تلك التي يتمنى لو لا يُغادرها أبداً.
لذا القى عليهم تحية المساء وهو يقترب من والدته
واضئاً قبلة احترام فوق كفها، فوجدها على غير
العادة متوترة و كان هذا الأمر شيئاً غير اعتيادياً
بالنسبة إليها لذا قال بنبرة قلقة:

_ هل أنت بخير أُمي؟

حاولت فيروز جعل نبرتها ثابتة حين قالت:

_ نعم جبار. انا بخير.

ـ مابال يداك و كأنها ترتجف...

كانت نظراتها زائغة وهذا الأمر يدفع إلى القلق
الذي اجتاح صدره حين ظن بأن الأمر يخصها
لذا بتر كلماته وهو يُدقق في ملامح والدته حين
استفهم بخشونة :

ـ حورية. هل هي بخير؟

انحلت عقدة لسان فيروز التي هتفت باندفاع:

ـ نعم بُني. أنها بخير، ولكن.

عند الجملة الأخيرة توقف العالم من حوله وهو
ينتظر أن تُكمل والدته حديثها والذي كان كارثيًا
بالنسبة إليه حين تابعت:

ـ لقد شعرت بالضجر و أرادت رؤيه والدتها، و
طلبت مني ذلك و نظرًا لحالتها لم استطع رد طلبها.
كان الجميع ينظر بترقب إلى جبار الذي احتدت
معالمه و قست نظراته عندما اختتمت والدته
حديثها لتخرج منه زمجرة غاضبة:

ـ و هل عادت ؟

فيروز بقلق:

ـ لا. كنت سوف أرسل السائق ليجلبها، و كنت
سأخبرك....

قاطعها صوت جبار القاسي حين قال:

ـ لا داعي لذلك. سأذهب أنا و أتي بها.

لم ينتظر ليستمع إلى حديث والدته إنما ذهب و
كان شياطين العالم أجمع ثلاجقه.

و على الجانب الآخر نجد زهرة التي تزرع الغرفة
ذهابًا و إيابًا ينهش القلق بصدرها دون رحمة فالليل
أسدل ستائره و حورية لم تغد بعد، و قد كانت مُهرة
هي الأخرى تُشاركها شعورها بالقلق من أن تكون
شقيقتها نفذت ما كانت تُريده.

– يا إلهي أين ذهبت هذه الفتاة؟ سئصيبني بأزمة
قلبية.

اقتربت مُهرة منها تحاول تهدئتها قائلة:

– رجاء اهدأي أُمي. انا أحاول الوصول إليها، ولكنها
لا تُجيب على هاتفها. من المُمكن أنها تمتطي الفرس
ولم تسمعه.

– هل هذا هاتف حورية؟

هكذا استفهمت أسيل التي سمعت صوت هاتف
يرن بلا انقطاع فحين رآته زهرة حتى هتفت بلوعة:
– و تركت هاتفها هنا أيضًا! ماذا افعل الآن، و عمك
و مصطفى ليسوا هنا، و زين سافر إلى المدينة
اليوم. أعني ياربي.

عند ذكر زين أمسكت مُهرة هاتف حورية تبحث
به عن شيء يُمكنه أن يُساعدهم، فهي أكيدة من أن
اختفاء شقيقتها أمر غير طبيعي، فأخذت تبحث في
سجل الهاتف عن أي رقم غريب او ربما رقم

زين ولكن دون جدوى فقامت بفتح الرسائل النصية
للتفاجئ برسالة زين التي أرسلها إلى حورية فهتفت
بصدمة :

- أمي.

زهرة بلهفة:

- ماذا هناك؟

لوهلة لم تعرف ماذا تقول لتضع الهاتف أمامها ،فما
أن وقعت أنظار زهرة على رسالة زين حتى هوى
قلبها إلى قدميها من فرط الصدمة التي جعلتها
تلطم خديها بغنف وهي تهتف متحسرة:

- ياويلي.

صوت زامور سيارة في الخارج جعل أسيل تهرول
إلى النافذة لتشهق بغنف وهي تقول :

- لقد. لقد أتى زوج أختي.

شعرت زهرة في تلك اللحظة بأن الأرض تميد بها
و بأنها بصدد التعرض إلى جلطة دماغية، ولكنها
تداركت كل شيء و التفتت تناظر الفتاتين وهي
تقول بتحذير صارم:

- أياك أن تتفوه إحداكن بحرفاً واحد أمامه. هل
فهمتم؟

اومات الفتاتين بخوف لتتوجه إلى البهو لمقابلة
جبار، الذي حاول جعل نبرته لبقة حين القى التحية

على زهرة قائلاً بخشونة:

- أهلاً سيدتي. كيف حالك ؟

نظفت حلقها قبل أن تُجيبه بنبرة حاولت جعلها ثابتة:

- بخير بُني. أهلاً بك. تفضل إلى الداخل.

جبار بخشونة:

- لا، فأنا لدي عمل طارئ. فقط اخبري حورية بأنني في الخارج انتظرها حتى نرحل.

ازدردت ريقها بصعوبة حين أتى على ذكر حورية، لتحاول جعل الأمر طبيعياً حين قالت:

- لا يجب أن تظل واقفاً هكذا، و أيضاً فحورية غلبها النعاس وهي جالسة برفقتنا تفضل سأحاول أن اوقظها ريثما تتناول كوب من الشاي.

على مضض قبل باقتراحها ليدلف إلى الداخل بينما توجهت زهرة إلى الأعلى تقوم بالاتصال على زين وهي تدعو الله أن تأتي ابنتها دون أن تُعرضهم و تُعرض نفسها لمثل هذا الموقف الفشين.

ما أن انفتح الخط حتى صرخت زهرة بانفعال:

- أيها الوغد الحقيير. أين ابنتي؟ و ما الذي تفعله معك ؟

توقفت عن الصراخ وهي تُرهف السمع، فلم يأتيها اي صوت سوى أنفاس عالية من الأكيد أنها لعدة

أشخاص ليس شخصاً واحداً لتجتاح صدرها موجه
من الذعر حين سمعت صوتاً جافاً يطلق سبة نابية
و يصيح بقوة جمدت الدماء بعروقها

– الفتاة بالجوار ابحثوا عنها.

سقطت الهاتف من بين يديها لتخرج صرخة
مفزوعة من بين شذقيها جعلت قلب جبار ينتفض
داخل قفصه الصدري ليهب من مكانه و تقابله زهرة
التي كانت تُهرول من الأعلى وهي تصيح بعويل:

– حورية. ابنتي.

بقلب يرتجف دُعراً و دقائق تتقاذف بجنون جعل
نبرته قاسية حين قال:

– ما بها حورية ؟

زهرة بحرقة من بين عبراتها الغزيرة:

– أنقذها. أتوسل اليك. أنقذها. سيقتلونها.

عند هذا الحد لم يحتمل قلبه الذي انتفض كالشاة
الذبيحة فجاء استفهامه صارخ جريح:

– من الذي سيقتلها؟ أخبريني.

زهرة بشفاه مُرتجفة:

– لا أعلم. لا أعلم. لقد ذهبت لتعدو بفرسها كما
اعتادت في السابق، و للآن لم تغد. ارجوك أنقذها.

ما أن أنهت جملتها حتى سمعت صوت سهيل
الفرس في الخارج ليندفع جبار و هي خلفه ظناً

منهم بأنها عادة، و لكن تفاجئوا حين وجدوا كلاً
من مصطفى و سرحان بجانب الفرس ليهتف الأخير
باستهجان:

ـ من أخرج هذا الفرس من الاصطبلات؟

عند هذا الحد لم تحتمل زهرة فهي تأكدت من أن
حورية أصابها مكروه لتهتف صارخة:

ـ ابنتي...

لم يكن أمامه وقتاً للانتظار أكثر من ذلك فانطلق
ليبحث عنها بقلب ملتهع يرفض تصديق ضياعها
منه، وروح كانت ضحية لألم مسعور يكاد يفتك بها
دون رحمة.

تجمدت أوصالها برداً، و خوفاً في آن واحد، فهي
بعد أن حسمت قرارها بأنها ستغادر و لن تفعل به
ذلك حتى لو كان على حساب شقائها بدونه. ليجذب
انتباهها خيالات لأشخاص خلف الكوخ مما أثار
ربيتها و جعلها تترجل من فرسها الذي قامت بربطه
في أحد الأشجار وهي تراقب من بعيد. ينتابها خوفاً
كبير على زين الذي كانت سيارته في الخارج إذن
هو بالداخل، ولكن من هؤلاء؟

مضى بعض الوقت ليبدأ الليل في امتصاص آخر
شعاع للنهار وهي باقية بمكانها تريد أن تعرف ماذا
يحدث في الداخل ولكنها تفاجئت حين شاهدت

أحد الرجال الفدجيين بالسلاح يخرج من باب الكوخ ينظر حوله و كأنه يبحث عن أحدهم ثم عاد إلى الداخل مرة أخرى، و حين كان يُغلق الباب خلفه شاهدت شبح لرجل مُلقى أرضاً وهو مُكبّل بالحبال.

شهقة قوية خرجت من جوفها فقد كان هذا الشخص هو زين لذا قامت بحل وثاق فرسها وهي تُطلقه في طريق البيت عليه يأتي بشخصاً يُنقذ ابن عمها ثم بدأت بالتحرك خلف الأشجار الكثيفة التي تُغطي وجودها لتقترب أكثر من الكوخ علها ترى من هؤلاء، وقد أيقنت بغباء تصرفها حين وجدت بعض الرجال يخرجوا من الكوخ حاملين أسلحتهم ويبدو أنهم يبحثون عن شخص ما فلم تجد أمامها مفر من التسلق أعلى الشجرة وقد كانت هذه الحركة أحد مُكتسباتها من مرافقة أولاد عمها حين كانوا صغار لتختفي فوق أوراق الشجر الكثيفة وها قد مرت عدة ساعات وهي فوق الشجرة تتجمد من البرد و الخوف في آن واحد ولا تستطع النزول أو حتى إصدار نفساً قوياً خوفاً من أن يكتشف أمرها أحد الرجال المُنتشرون بكل مكان حولها.

أخذت تبكي بصمت وهي تُحيط كتفيتها بذراعها تحاول تجاهل الألم القوي الصادر عن جرحها فقد ذهب مفعول المُسكن لتبدأ جميع جراحها في الظهور على السطح بقوة مما ضاعف من بكائها و حزنها، وقد أدركت في تلك اللحظة أنها حتماً لن تنجو من قدرها هذه المرة، ولكن رغماً عنها تمنّت

لو تراه لآخر مرة. تُخبره بأنها و بالرغم من كل شيء
أحبته.

عند هذه الكلمة شعرت بألم كبير في صدرها وهي
تتذكر لقائهم في المشفى وهو يحتضنها رافضاً
أي حديث قد يُفسد لحظة اجتماعهم. لكم تمت
أن يعود بها الزمن إلى تلك اللحظة لكانت اندفعت
داخل أحضانه دون أن تُغادرها أبداً، فاغمضت
عينيهما بقوة وهي تهمس باسمه بنبرة مُتألمة جريئة
ترجوه أن يُسامحها، ولكنها لم تكن تدري ان همسها
هذا بطريقة أو بأخرى قد وصل إلى قلبه الذي سقط
وليمة للألم و اللوعة للحظة شعر بها بأن الكون
بأجمعه لا يتسع ليحتوي وجعه، فأخذ يتلفت يميناً
و يساراً كالمجذوب و الرجال من حوله يبحثون
كالنحل في الخلية لتخرج من اعماق صدره صرخة
قوية جعلت الجميع يرتعب:

– هيا ابحثوا بكل مكان. أقسم أن لا أجعل بشراً
حيّاً أمامي أن حدث لها مكروه.

اندفع الرجال كما لو أن مشا من الجنون طالهم،
فقد قاموا بتمشييط الضيعة بأكملها، و فجأة خطر
على باله أول لقاء جمعه بها عند ذلك الجسر. و هنا
اندفع الأدرينالين في دمائه فجعله يهرول بجنون
إلى سيارته فتبعه حكيم الذي قال بلهفة:

– إلى أين تذهب جبار؟

جبار بشراسة:

- سأبحث عند الجهة الأخرى من الجسر.

حكيم بتعقل:

- لا تذهب وحدك أنها حدودهم مع السليمانية. قد يغدرون بك جبار.

جبار بضراخ:

- لا أبالي لأولئك الاوغاد، وإن كان هذا الحقيير له يد في اختفائها فلن يكفيني بحرًا من الدماء حينها. لن يستطيع ترك ابن عمه وحده في مواجهة هؤلاء الملاعين، لذا اندفع يستقل سيارته هو الآخر بعد أن أمر بعضًا من رجالهم بتتبعهم الى هناك:

- أين ذهبت تلك الحقييرة؟

هكذا هتف صفوان بانفعال ليُجيبه أحد الحرس:

- لا نعلم سيدي. لقد بحثنا بكل مكان، ولم نجدها.

التفت صفوان إلى زين المُكل بالحبال فاهتاج صارخًا في وجهه:

- أين تلك العاهرة؟ لما لم تأتي لرؤيتك؟ أل هذه الدرجة أنت حقير و تافه بالنسبة إليها؟

كان زين مُكمًا الفاه فأخذ يتخبط كالليث الجريح ليقوم صفوان بالإشارة لأحد الرجال حتى يزيحون الكمامة من فوق فمه فسرعان ما نفذ أمره ليصرخ زين بانفعال:

- ماذا تريد منها أيها الحقيير؟ إلا يكفيك تلك

الأفعال الفشينة التي تفعلها في الخفاء؟ و الآن تريد
أن تُضاعف من حقارتك أكثر.

تنبه صفوان لحديث زين، لذا قال بريبة:

– ما الذي تقصده؟ أي أفعال؟

زين باحتقار:

– قذاراتك انت و تلك اللعينة ابنتك. تلك الفتيات
الفقيرات التي تأخذونهم إلى المدينة ليُمارسوا
الدعارة و يغدقون عليكم الأموال الحرام، و ذلك بعد
أن تستأصلوا أرحامهم. لقد قص لي عمران كل شيء
قبل أن يموت.

تجمد جسد صفوان جراء حديث زين، الذي كان
يعلم أكثر مما ينبغي عليه معرفته و الذي تابع
بقسوة:

– أتعلم شيئاً؟ فأنا شبه مُتأكد من انك من قتلته
حتى لا يخبر جبار ما توصل إليه.

لم يتوقع حين اقترب منه صفوان وهو يُناظره
بجمود سُرعان ما تحول إلى ضحكات صاخبة تجعل
البدن يقشعر من فرط الاشمئزاز، الذي تضاعف من
جانب زين حين قال صفوان بحقارة:

– يا إلهي لا أصدق انك بهذا القدر من الذكاء،
فهذا تحديداً ما حدث. ذلك الغبي عمران كان يود
أن يشي بي أمام ذلك الجبار حتى يمنع زواجه من
ابنتي. بل أنه كان يُريد أن يُسلمنا بنفسه إلى

الشرطة.

- أيها الحقير. سأقتلك.

هكذا هتف زين بشراسة جعلت صفوان يُطلق ضحكة صاحبة قبل أن يقول بلامبالاة:

- غبي مثل صديقك تمامًا، فقد جأت إليه و طلبت منه أن نتشارك سويًا في الأمر، و له نصف ما يأتي من أموال الفتيات، ولكنه أخذ يصرخ قائلاً الشرف، العزة. لأصدقك القول فكل تلك الفصطلحات تُثير الإشمئزاز في نفسي لذا أطلقت على رأسه، و لأنني رجلًا ذكي كنت أظن أنه سيُمانع، و لهذا خططت لتنفيذ جريمتي كاملة، فقد جعلت سلمى تسرق منك تلك القداحة حين أتت لثُبارك لك زفافك ذلك اليوم أتذكر؟

أخذ زين يتذكر ذلك اليوم حين فاجأته سلمى والتي كانت زميلتهم في المدرسة بزيارة كانت غريبة بالنسبة إليه و بيديها صندوق مُغلف بطريقة لطيفة مُدعية أنها هدية زفافه، وحينها تقبلها منها بلباقة حتى لا يُحرجها، ولم يتذكر أنه فقد قداحته أبدًا الا حين علم بمقتل صديقه ذلك اليوم.

لم يستطع زين تحمل كل هذا القدر من الوقاحة فهتف صارخًا من بين أسنانه:

- انت حقير مثل ابنتك تمامًا.

صفوان بشخربة وهو يشد أجزاء سلاحه و يصوبه

تجاه رأس زين:

_ هذه كانت آخر جملة تفوه بها صديقك الغبي قبل أن أصوب على رأسه، و أنهى حياته اللعينة.

لم يكذ يضغط على زناد سلاحه حتى اخترقت كتفه رصاصة تعرف هدفها جيدًا، تلاها زئير جبار الوحشي الذي هز أرجاء المكان الذي اقتحمه هو ورجاله:

_ و هكذا سأنهي حياتك أيها الحقير.

سقط صفوان أرضًا وهو يتألم كالفار المذعور أسفل قدم جبار الذي كانت الشراسة التي تُطل من عينيه كافية بجعله يموت من الخوف.

استرعى انتباهها صوت طلقات رصاص آتية من الكوخ فانتفض قلبها دُعرًا لظنها بأن زين هو من قُتل ليجعلها الخوف تدخل في حالة من الهستيريا فأخذ جسدها ينتفض وهي تضع يديها على أذنيها و تهز برأسها يمينًا و يسارًا في حالة من الرفض المرفق بشهقات كانت تشق جوفها فتمزقه لتفقد توازنها، فسقطت من فوق الشجرة و اصطدم جسدها بالأرضية الصلبة، فخرجت منها صرخة قوية مزقت سكون الليل من حولها لتستسلم أخيرًا إلى مصيرها المحتوم، فلم تُحاول الوقوف على قدميها ولا الإختباء حين سمعت صوت أقدام آتية في اتجاهها ولكن فجأة اخترق سمعها صوتًا قوي لرجل اسمه محفور فوق جدران قلبها، فظنت بأنها واهمه ولكن

جاء الصوت هذه المرة أقوى فنفذت جملته إلى
أعماق صدرها حين هتف بلوعة:

ـ أين أنتِ حورية؟

نعم إنه هنا. جبار أنه هنا.

هكذا حدثت نفسها لتحاول التحامل على ألمها
و الوقوف فوق قدمها التي تؤلمها بشدة ترتجي
صوتها أن يخرج من بين شفتها الجريحة لتهتف
باسمه، ولكن كانت نبرتها ضعيفة مبحوحة من فرط
الألم الذي حاولت تجاهله وهي تصيح بنبرة أقوى
اخترقت أعماق صدره حين شاهد طيف امرأة من
بعيد تتمايل يمينًا و يسارًا وكأن الهواء يتلاعب
بجسدها الذي بدا واهنًا ليشعر بموجه من الفرح
تغزو قلبه فقد كانت هي. نعم هي. لازالت على قيد
الحياة فانطلق و كأنه يُصارع الريح لتحمله خطواته
الفهدية إلى حيث روحه المتمثلة في تلك المرأة
التي ما أن رآته يهرول إليها حتى غزت الطمأنينة
قلبها، و ارتخى جسدها بعد أن لفحتها رياح وجوده
لتتهاوى حتى كادت أن تسقط أرضًا و إذا بيديه
القويتين تعتقل خصرها بلهفة وصوته الخشن
يصيح باسمها:

ـ حورية.

بلمح البصر وجدت نفسها بين ذراعيه تحديداً
بجانب قلبه الذي ينتفض جزعاً لرؤيتها في تلك
الحالة التي لم تمنع فرحتها بوجوده لتمتد أناملها

المجروحة بفعل سقوطها من أعلى الشجرة و
ثلامس ملامحه بحب لم تخجل هذه المرة من
التعبير عنه حين قالت بصوت مبحوح :

_ انت هنا جبار.

_ هنا يا قلب جبار.

_ أجبك.

هكذا همست بنبرة خافتة فقد تحقق آخر حلم
تمنته في هذه الحياة وهو رؤيته لتنساق بعدها
خلف إغواء ذلك الظلام الذي ابتلعها فأغمضت
عينيهما و ارتخى جسدها بين يديه لتخرج حروف
اسمها مُلتاعة من بين شفثيه في نداء بدد سكون
الليل الحالك حولهم:

_ حورية. لاااا.



الميثاق الثاني عشر (الأخير)

أعتقد أنه لا يوجد لغة في هذا العالم باستطاعتها
أن تصف شعور شخص أبصر النور لتوه. بعد أن
عاش ضريزا طوال حياته

هكذا كان شعور قلبي حين وقع بعشقتك.

مر عشرة أيام على تلك الليلة الصعبة على الجميع،
ولكن الشيء الوحيد الجيد أنها مرت بسلام، فهي
بالرغم من جراحها ولكنها حية و أيضا زين.

أخذت نفسا طويلا فقد سأمت البقاء في المشفى
ولكن كان هذا ضروريا نظرا لحالتها و لذلك الشرخ
في قدمها. لم ينقطع الجميع من زيارتها، ولكنه كما
هي عادته ليس موجودا، وقد كان هذا قاسيا بل
مروغا على قلبها الذي لم يكن يفهم أي شيء ولكن
ذلك لم يذم طويلا فقد استمعت إلى ذلك الطريق
على باب الغرفة وكان الطارق شخصا غير متوقع
بالنسبة إليها

- زين.

زين بنبرة هادئة :

- كيف حالك حورية ؟

تحممت بخفوت قبل أن تجيبه قائلة :

- بخير. أخبرني أنت كيف حالك ؟

زين باختصار :

- أنا أيضًا بخير.

ران صمًا ثقيلًا بينهم قطعه زين الذي تقدم
ليجلس فوق مقعدًا بجانب سريرها. قبل أن يطرح
ذلك الاستفهام الكارثي على مسامعها:

- هل تُريدان الإستمرار في هذا الزواج حورية ؟

امتقع وجهها و ارتجفت نظراتها وكأن أعصارًا
قويًا اجتاح أُمواجهها الزرقاء بينما الصمت كان
حليفها فهي لم تستطع أبدًا الحديث فحتقًا ستكون
كاذبة أن أجابته بالنفي، و ستكون وقحة أن أجابته
بالإيجاب، ولكن صمتها كان إجابة أكثر من كافية
له ،لذا أومأ برأسه مُحاولًا جعل نبرته ثابتة حين
قال:

- يجب أن تعلمي بأن عداوتنا مع آل فارس لم يَعد
لها وجود، فذلك الرجل صفوان السليمانى و عائلته
هم السبب بكل شيء.

شهقت بغُنف من حديث زين الذي وقع على
مسامعها وقوع الصاعقة لتهتف بصدمة:

- ماذا تقول زين ؟

زين بجفاء:

- أخبرك الحقيقة. لقد بدأت القصة حين تقدم

والدك لخطبة والدتك، فقد كان صفوان أيضًا يريد
خطبتها، وبالفعل تقدم هو الآخر ولكن والدتك
اختارت عمي قاسم. حدث ذلك تزامنًا مع حكم
السيد وهيب الفارس جد جبار والذي كان قاضيا
حينها على والده بالموت رجفا لاغتصابه فتاة قاصر،
فجن جنون هذا المريض ليقرر معاقبة الجميع،
فأطلق أول رصاصة بين صفوف العائلتين والتي
وقع فيها السيد وهيب الفارس و جدك لأمك، و اثمهم
بها والدك، و من هنا بدأت اللعنة.

كانت الكلمات تتساقط على مسامعها كالرصاص،
فاستنكر عقلها ذلك التصرف المريض و كذلك عقلها
لتهتف بصدمة:

ـ ما هذا الإجرام؟

زين بجمود:

ـ لم يتوقف إجرامه عند هذا الحد، فهو من تسبب
في قتل عمي قاسم ومن بعده أبي لتتسع دائرة
الانتقام و الثأر بين العائلتين أكثر. ثم ألحق بعمران
نفس مصيرهم، و الباقي أنت تعرفينه.

عند ذكر والدها لم تستطع امساك عبراتها التي
اندفعت من بين شحبتها الكثيفة ليتابع زين في
محاولة في صرف انتباهها عن ألمها:

ـ هونا عليك حورية، فلم نكن وحدنا من تأذينا
منه، وهو الآن في السجن مع ابنته التي كانت
تساعده في أعماله المشبوهه.

رفعت رأسها إليه وقد أتت الفرصة لمعرفة تفاصيل
كانت تجهلها و تتوق لمعرفةا:

- رجاء زين أخبرني كل ما لا علم لي به، و كيف
عرفت كل هذا؟

شرع زين يقص عليها ما حدث :

- لقد بدأ جبار أن يشك به منذ أن حدث ذلك
الحريق، فقد كان بكل عام يحتفظ بمخزون كبير
من محصول العام الفائت، ولكن هذا العام لم يفعل
ذلك، ولم يكن يعلم هذا الأمر سوى جبار و اولاد عمه
و صفوان الذي ذل لسانه وهو يقنع جبار بأننا قمنا
بعمل هذا الحريق حتى نضعه في مأزق.

أطلق زفرة حارة قبل أن يتابع بلهجة جافة:

- وبالمصادفة وقعت بيد جبار صورة لي مع عمران
في أحد المؤتمرات لذا أراد معرفة حقيقة علاقتي
به، وفي ذلك اليوم الذي أخذك إلى مزرعتنا كنت
عائداً إلى المدينة وقطع طريقي حينها جبار ومعه
اثنين من أبناء عمومته.

هتفت حورية بآلم:

- إذن هو من قام بخطفك!

زين بتصحيح :

- لا يبدو الأمر بهذه الصورة.

حورية باستفهام..؟

_ ماذا تقصد؟

أخذ زين يقص عليها ما حدث في ذلك اليوم

عودة إلى وقتنا سابق

توقفت عجلات سيارة زين بغنف. حين قاطع طريقه سيارتين دفع رباعي، و ترجل منهم أربعة رجال كان يعرف ثلاثة منهم، و على رأسهم ذلك الوغد جبار الذي اقترب منه فهتف زين بغضب :

_ ماذا تريد مني أيها الحقير؟

حين قال ذلك تلقى لكمة عنيفه من قبضة جبار جعلت وجهه يستدير إلى الجهة الأخرى من شدة قوتها، تلاها صوت جبار الغاضب حين قال:

_ الحقير من يقتل رجلًا تقاسم معه لقمة عيش بيوم من الأيام دون أن يرف له جفئًا من الرحمة يا لعين.

لم يحتمل زين اتهام جبار، فهو أيضًا لم يتجاوز فكرة ذهاب صديقه ليهتف بحرقة :

_ لم افعلها. اقسم انني لن افعلها، فعمران كان صديقي. لما لا تفهمون؟

تبادل الثلاثي حكيم و جبار و جواد النظرات ليقول الأول باستفهام:

_ ماذا ؟ من الذي كان صديقك ؟ هل هو عمران خاصتنا؟

زين باندفاع:

- نعم. أنه هو. لقد كُنّا أصدقاء مُقربون. بعد أن التقيت به في أحد المؤتمرات، ولم اكن أعرفه كثيرًا، ولكنه كان يعرفني، ولدهشتي لم يفصح لي عن هويته، فقد كان يُجب كثيرًا اكتشاف كل شيء غريب و غير مُعتاد، و قد كنت كذلك بالنسبة إليه لكوني بمثابة عدوه، ف أخبرني باسمه الأول و الثاني فقط دون ذكر اسم عائلته، والحقيقة أنني لم اكرث لذلك، و لفارقات القدر فحين غُدنا إلى العاصمة كنت أبحث عن ملاجيء للأيتام لمساعدتهم، و حينها طرح عليا عمران فكرة إنشاء واحد في أحد القرى النائية والتي كانت غارقة في الفقر و الجهل، ثم أخذني وذهبنا سويًا لزيارتها.

رفع رأسه للسماء يحاول استرداد أنفاسه الهاربة من انين الذكريات ثم تابع بنبرة مُشجبة:

- حين رأيت حالة الناس هناك. وافقت على الفور ولم نكتفي بإنشاء ملجأ للأيتام فقط إنما جددنا المشفى وجهزناه بأحدث المُعدات وكذلك المدرسة، وجميع المرافق. في هذه الأثناء وقعت هويته بيدي عن طريق الصدفة، و حينها ثورت بطريقة غير مقبولة و تشاجرت معه، ولكنه كعادته كان دائمًا شخصًا هادئًا، ومُسالقًا. لم يُحاول ردعي ولا ايقافي فقد انتظر إلى أن انتهيت من نوبة الغضب ليقول بهدوء:

- أنت ستظل صديقي الوفي بالرغم من كل شيء.
و انقطعت علاقتنا لمدة شهران. إلى أن علمت بأنه
مريض بسبب فشل كلوي، و أنه يحتاج إلى نقل
كلية، و حينها لم أتردد و ذهبت لإجراء الفحوصات
و التحاليل ليتبين أن تحاليلنا متطابقة، و قمت بنقل
كليتي إليه.

صيحات استنكار خرجت من فم الرجال الثلاثة،
فتابع زين وهو يحاول قمع عبراته من تعريه روحه
المشتاقة لصديق كان بنكهة أخ قبل أن يتابع بأسى:
- نعم. انا من تبرعت لعمران بكليتي، و لم أريد
حينها أن يعلم ذلك الشيء، و لكنه علم و جاء إلي
قائلاً أشكرك يا صديقي. كنت أعلم بأنك لن تتخلي
عني أبداً، و الحقيقة أنني لم استطع فعلها فتعانقنا،
و أقسمنا أن نحافظ على صداقتنا مهما كلفنا الثمن.
لم افعلها. أقسم أنني لم أفعلها.

هتف زين بجملته الأخيرة بقهر يتساوى مع الصدق
في لهجته مما جعل الرجال الثلاثة يتأثروا من
حديثه ولكن جبار تجاهل ما يشعُر به قائلاً بجفاء :

- ماذا لو كنت تكذب؟

زين بحدة:

- باستطاعتك التأكد من حديثي. اذهب الى
المشفى و ستعرف من الذي تبرع لعمران بكليته، و
أوراق الملجأ ستجدها في خزانته في شقته التي
بالمدينة. لا أقول شيئاً دون دليل.

عودة إلى الوقت الحالي

– و بالفعل أرسل جواد الذي تأكد من صحة حديثي،
و عاد ليخبره، و هنا تأكد جبار من أن هناك خائن
هو من يفتعل الفتنة بين العائلتين، و بدأت الأمور
تتضح شيئاً فشيئاً، و أيضاً ذلك الحريق الذي
أضرمه في أراضي آل فارس كان في تلك الأراضي
التي تخصصهم وحدهم. أما الأراضي التي كان جبار
يتشاركها معه لم يمسها، فظن جبار بأن سبب ذلك
لأن أمر شراكتهم كان سرياً، وأننا لم نكن نعلم بأن
جبار يملك شيئاً من أراضي السليمانية، ولكنه علم
بعد ذلك بأن عمي سرحان يعرف، و منذ هذا الوقت
شرع في البحث خلف هذا الرجل في خارج الضيعة
ليتضح بعدها بأنه يُتاجر في الممنوعات و لهذا
تضاعفت ثروته بهذا الشكل الخرافي، إضافة إلى
أعماله المشبوهة الكثيرة، فأخذ جبار يتابع البحث
حتى يصل إلى شيء يُمكنه أن يمسك طرف أي
خيوط لجرائمه إلى أن حدث ما حدث ذلك اليوم.

هتفت حورية باستفهام بعد أن حاولت تجاهل نوبه
الاشمئزاز التي جرفتها من حقارة ذلك الرجل:

– أخبرني ماذا حدث؟ كيف علموا أننا نريد أن
نلتقي؟

أجابها زين بهدوء:

– في الحقيقة أنا لم أكن أعلم بأنك تريد رؤيتي،
فقد أتنى رسالة من رقم غريب بها فيديو يُظهرك

و أنت تبكين بحرقه متبوعًا برسالة نصية تُفيد بأن
جبار الفارس يُعذبك ويقوم بإذلالك وأنت تنوين
الهرب و بأنك في طريقك إلى كوخنا فوق التلة.
احترت كثيرًا ماذا علي أن أفعل لأقرر الذهاب الى
هناك فقد غلبني قلقي عليك بعد كل شيء، و قد
أقسمت بأن أطلقك منه لو علمت بأنه يؤذيك بالفعل.
زفرة بقوة وهو يتذكر تفاصيل هذا اليوم ليتابع
بجفاء:

– حين ذهبت إلى الكوخ كان البيت مواربًا فاندفعت
إلى الداخل وإذا بأحدهم يهوى فوق رأسي من
الخلف بعصا قوية لأسقط في الحال ، و ما أن
استيقظت حتى وجدت نفسي مُكبلاً بالحبال و
أولئك الحثالة و على رأسهم صفوان يُحيطون بي،
و قد أخبرني بأنه بعث لك رسالة لتأتين و حينها
سيُرسل إلى جبار ليأتي و يرى زوجته وهي بأحضان
عشيقها.

شهقت بذعر من ذلك المصير الفريع الذي أنقذها
منه الخالق حين تراجعت عن الذهاب إلى الكوخ
بآخر لحظة، فتابع زين بتعب:

– من حسن حظنا بأنك لم تأتي، و حين قامت
والدتك بالاتصال على هاتفني هو من أجاب عليها
ليعرف بأنك جأتي لمقابلتي، و من هنا عرف جبار هو
الآخر و أخذ يبحث عنك بكل مكان.

ارتج قلبها دُعرًا وهي تستمع الى كلمات زين لتقول

بهمس مُثقل بالألم:

- وهل . هل علم جبار حينها أنني ذهبت إلى
مقابلتك ؟

شمها زين بنظرة قوية قبل أن يُلقي هذا
الاستفهام الذي أثار زوبعة قوية بداخلها:

- وهل سيُشكل هذا الأمر أهمية كبيرة بالنسبة
إليك أن علم ؟

لجأت للصمت كعادتها، وقد أغضبه ذلك لذا أضاف
بجفاء:

- لقد تحدث الشيخ بدران إلى عمك و أخبره أنه
لو أردتي ذلك فسينهون ذلك الميثاق، فلم يُغد له
لزوم بعد ما انكشف كل شيء، و في حالة أنك أردتِ
الطلاق فسيكون الأمر سهلاً.

حاولت المناس من هذا الأمر الشائك لتقول بنبرة
جافة:

- كيف علمتم إذن أنه من قتل عمران؟

زين بفضافة:

- هو من أخبرني ذلك، فقد التقيت عيناى جبار
الذي كان يقف خلف النافذة يستمع لكلام ذلك
المجنون، ولهذا جررت في الحديث حتى حكى
كل شيء و أنه من قام بقتل عمران حتى لا يشي
بأفعاله الفاسدة هو و ابنته سلمى تلك التي كان من
الفترض أن يتزوجها جبار.

برقت عينيها من تلك الجملة و احتدت نظراتها و
قد لاحظ زين ذلك ليقرر العمل بمبدأ قطع العرق و
إسالة الدماء حين نصب عوده وهو يقول بفضاظة:

- أرى أنك متمسكة بهذا الزواج، و لهذا اقترح
عليك أن تقنعيه بذلك حينما يعود من سفرته
الطويلة.

نفذ بارود كلماته إلى أعماق قلبها، فعن أي سفرة
يتحدث؟ و كيف له أن يغادر و يتزكها وهي بحالتها
تلك؟ ألا تُمثل له أي شيء؟

خفرت تلك الكلمات بحنايا صدرها الذي بدأ يُبصر
لائحة في آخر طريقهم كُتب عليها الفراق الذي كان
أقصى ما يُمكنها احتماله.

لم تلاحظ خروج زين ولا دخول مُهرة التي كان
الألم يغزو جرتي العسل الجميلتين خاصتها
لتقترب من شقيقتها التي كانت مُبعثرة، تائهة،
حزينة، وقامت بلف ذراعيها حول كتفي حورية
وهي تقول بأسى:

- هوناً عليك أختي. اعلم إنها تجربة قاسية، و لكن
افرحي. هاهو ما كنتِ تتمنيه على وشك الحدوث.

التفت حورية ثناظر شقيقتها باستفهام:

- ماذا تقصدين؟ ما الذي تمنيته و هو على وشك
الحدوث؟

مُهرة بعفوية :

ـ أقصد طلاقك من جبار.

زوبعة من الفوضى الفريعة اجتاحت صدرها الذي
آلمها بشدة لتحاول التغلب على أنينها وهي تقول
باستفهام:

ـ ماذا تقولين؟ من الذي قال ذلك؟

تنبعت مُهرة لحالة شقيقتها التي جعلتها تشغُر
بالحيرة فأجابتها بارتجاف:

ـ زوجك. أقصد جبار الفارس. جاء إلى بيتنا بعد
الحادث بعدة أيام واخبر عمي أنه على استعداد
لتطليقك. ما أن تستردي عافيتك.

كان الأمر أكبر من مُجرد ألم. تعدى حدود الكارثة
بالنسبة إليها. حتى أنه من فرط قسوته لم تجد له
شعور ليصفه، ولكنه كان يُشبه كثيرًا توقف مُخدر
بمنتصف عملية جراحية صعبة. هكذا كان وقع
تخليه عنها.

تناثر الألم صامتًا من بين مآقيها، و انساقت
ضربات قلبها خلف نوبة جنونية جعلتها تتخبط
بغنف ألم صدرها و أضرماً خللاً واضحاً في أنفاسها.
إضافة إلى أن وجهها كان كساحة حرب لم تشهد
على النصر يوماً، فأصاب مظهرها الذعر بقلب مُهرة
التي احتضنت كفوفها وهي تقول بلهفة:

ـ ما بك حورية؟ أخبريني أختي؟ لما عيناك
ضائعة هكذا؟

تجاهلت مُنحني الرد لتتجمد نظرات مُهرة فوق
ملامحها و قد أدركت أخيرًا سبب حالتها تلك لتتهف
دون وعي:

— أيعقل أختي أنك تعشقين ذلك الرجل؟

لم تفلح في المقاومة أكثر فقد هُزمت أمام قلبها و
لم يُغد في مقدورها التملص من هزائنها لذا أجابتها
باختصار و بنبرة أهلكها الأنين:

— أجل. أعشقه.

اقتربت مُهرة لتحتوي وجه حورية بيديها وهي
تقول بتأثر

— حورية. لا أعلم ما الذي يجب علي قوله ولكن..

لم تجد في قاموس المواساة ما يُمكنها من
الاستعانة به لمحو هذه الحسرة على وجه شقيقتها
لتقوم بجذبها داخل أحضانها بقوة، فقد كان هذا
أقصى ما تحتاجه حورية في هذه اللحظة لذا
أسندت رأسها فوق صدر شقيقتها تتمنى لو انها
تهرب من ذلك الألم الذي يقتات على روحها ولكن
هيئات، فالدواء الوحيد لـ دائها تركها فريسة للموت
البطيء لذا استسلمت لضعفها و ألمها و أخذت
تذرف عبرات بكاء كانت صرخاتها تتلاحق بين
الضلوع، فتألمت مُهرة لمظهر شقيقتها ولكنها فجأة
طراً على بالها مظهر جبار الذي كانت عينيه كحفنه
من الرماد المُحترق الذي لا حياة فيه. إضافة إلى
وجهه الذي كان مُحترقًا وبالغضب و الحزن معًا حين

أتى إلى بيتهم ذلك اليوم، ولكن مهلاً.

جذبت حورية من بين ذراعيها وهي تقول بلهفة:

- حورية. انا أقسم بأن جبار يعشقك هو أيضاً،
ولكن من الممكن أنه غضب حين علم برغبتك في
رؤية زين و ذهابك لأجل ذلك. نعم لقد تبدل كل
شيء هذا اليوم.

حورية باستفهام:

- أي شيء؟

شرعت مُهرة في إجابتها قائلة:

- لقد كان هنا بجانبك دائماً أول ثلاثة أيام، و
لكن في اليوم الرابع جاء زين وقص علينا ما حدث
بعد أن عاتبته أُمي على تلك الرسالة التي أرسلها
لك لثقابليه و هنا أخبرته بانك بالفعل طلبتي مني
رؤيته، و لكن أنا لم أخبر زين حينها، وبعدها تبدل
كل شيء، فقد كان آخر يوم يأتي فيه إلى زيارتك و
كانت ملامحه ذلك اليوم لا تُفسر، و أيضاً لقد عرفنا
بعدها أنه ذهب إلى عمي و أخبره أنه سيطلقك. ثرى
هل استمع الى حديثنا ذلك اليوم ؟

لم يكن رد فعلها متوقع من جانب مُهرة التي برقت
عينها حين شاهد ضحكة حورية التي كانت بعيدة
كل البعد عن المرح لتقول بسخرية مريرة:

- مؤكد أنه استمع مُهرة، و هل يُعقل أن لا يستمع ؟
يجب أن تحدث كارثة تجعل سعادتي شيئاً

مُستحيل.

زفرت بقوة قبل أن تحاول استجماع جأشها لتقول
بجفاء:

- بماذا أجابه عمي حين أخبره أنه يريد أن
يطلقني؟

مُهرة بحزن:

- الحقيقة هو لم يقل ذلك بتلك الطريقة إنما أخبره
أنه على استعداد لفعل هذا، و قد أخبره عمي بأنه
سينتظر حتى تتماثلي للشفاء، وبعدها سيسألك إن
كنتِ تريدين الطلاق أم لا؟

التفتت الى الجهة الأخرى و بقلب أثقله الألم و
روح مزقتها لوعة الجوى أجابتها بمرارة و كأن صبازا
نبت في جوفها:

- أجل أريد.

لا يمر الليل مرور الكرام على العاشقين فإما أن
يأتي حاملاً الحنين في جعبته أو يأتي مُحملًا بـ
نوبات شوق ضارية تُزعزع ثبات أعتى القلوب فكيف
بقلب رهيف على غرارها ؟

هكذا كانت حالتها بكل ليلة من ليالي الشتاء
الحزينة التي كانت تمر على قلبها. الذي و بالرغم من
مرور ثلاثة أشهر لم يستطع تجاوز فجيئته. نعم لقد
كان غيابه عن حياتها بمثابة الفجيعة.

ظاهرياً هي امرأة قوية شجاعة جميلة تذهب إلى عملها كل يوم في الموعد المعتاد، فبعد مرور شهر على خروجها من المشفى أخبرت عمها بأنها تريد الطلاق، و الذي بدوره أخبره برغبتها ليُجيبه بتجبر بأنه سيفعل ما تريد حينما يعود من سفرته الطويلة، و لئقرر هي الأخرى بأنها لن تبقى في انتظاره، و قد استأذنت عمها أن تعود لعملها مرة أخرى إلى أن يعود ذلك الغائب الذي لم يُشفق على لوعتها، ولا لأنين قلبها العاشق، ولكنها تموت و لا تجعل أحد يُشفق عليها أبداً لذا كانت في الصباح مُزهرة كما هي عاداتها وحين تضع رأسها فوق وسادتها تبدأ المُعاناة و ذرف العبرات التي لا تنضب أبداً.

لم يكن اليوم مُختلف عن ما سبقه، فقد انتهت عملها و حين كانت تتوجه إلى الكراج لتستقل سيارتها عائدة إلى المنزل أوقفتها غادة صديقتها قائلة برجاء:

– اقسم لك يا حورية انك إن لم تأتي لحفلة عيد ميلادي اليوم، فلن أحادثك ما حييت.

لم تنفك غادة تحاول إقناعها بأمر حضور حفلة عيد ميلادها منذ أسبوع، لئقرر و أخيراً الخلاص من هذا العبء فأجابتها بنفاذ صبر:

– حسناً يا غادة سأتي. ارسلي لي العنوان في رسالة.

ودعت اصدقائها و ذهبت رأساً إلى البيت، و قامت

بفعل روتينها اليومي، وحين أتى وقت الاستعداد للذهاب إلى هذا الحفل الثقيل على قلبها توجهت بخط ثقيلة إلى المرحاض لتأخذ حماماً منعشاً ثم توجهت بعد ذلك إلى غرفة ملابسها لتتوقف لحظة أمام كل هذا الكم من فساتين السهرات التي امتنعت عنها تماماً و كأنها في حداد غير مُعلن، و قد أثارت هذه الفكرة غضبها، فهذا هو وقته، فقد كان اليوم مُقسم إلى عدة مراحل و في هذا الوقت تحديداً تبدأ بالغضب عليه، و الغضب من نفسها لأنها أعطته ذلك القدر بحياتها، و في لحظة جنونية امتدت يدها لتجذب أكثر الأثواب جرأة و جاذبية وهي تنوي أن تعود من جديد تلك المرأة الرائعة التي كانت محط إعجاب الجميع.

بعد مرور وقتاً لم يكن طويلاً انتهت من تجهيز نفسها للذهاب إلى الحفل لتقع عينها على انعكاس صورتها في المرآة، فكانت صورة حية للجمال بذلك الثوب الرائع بلونه الأحمر الناري الذي ضم جسدها بقوة حتى بدا و كأنه جزء غير مُنفصل عنه بينما انفصلت جوانبه من عند رقبتها كاشفاً عن طول عنقها البض، و حتى مقدمة صدرها النضر. بأكام كانت تصل إلى راسها، ليتهادى بعد ذلك بدلال حول خصرها مُوضحاً بغنج انحناءات جسدها الكُمثري لينتهي بذيل طويل نسبياً، و لم تقتصر فتنتها على جسد رائع يُغري الناسك إنما كان بهاء وجهها حكاية أخرى. بداية من تلك الخصلات التي كانت

تتماوج بين لون القهوة ولو الذهب في مزيج ساحر
دمجته في ناحية واحدة و تركت للأخرى مهمة
اظهار جاذبية عنقها، و قامت بتظليل بإبراز حجر
الياقوت المدفون بين جفونها بسياج من الرموش
الكثيفة التي ضاعفت كثافتها بمساحيق التجميل
كما رسخت حدودها و أبرزتها بكحلًا يتماشى من
زُرقة عينيها المتوهجة كما أنها قامت بتلوين ثغرها
المكتنز بلون النبيذ الذي من مبلغ فتنته يظن المرء
بأنه أمام اختبار شاق في مادة علم النفس عن معنى
الثبات. لتختتم كل هذا برشة من عطرها الذي كان
مزيجًا بين رائحة الفراولة و البنفسج و المسك، وقد
كان لهذا المزيج عبيرًا فواح رائع اكمل صورة المرأة
الفاتنة التي تنعكس طلتها على المرأة.

- حسنا يا سيد جبار آل فارس فلتذهب إلى
الجحيم انت و عشقك المسموم هذا.

هكذا تحدثت حورية بسخط أمام المرأة قبل
أن تتوجه الى الخارج قاصدة وجهتها إلى ذلك
الحفل الذي ما أن وصلت إليه حتى أدارت رؤوس
الحاضرين رجالاً و نساء و تعلقت العيون على
تلك الفاتنة التي دلفت إلى الحفل بمفردها لتصبح
فريسة الاستفهامات المُستنكرة و على رأسهم
استفهام مُلح عن كيفية بقاء امرأة مثلها وحيدة
دون رجل؟

مر الحفل بملل عليها بعد أن رفضت الكثير من
طلبات الرقص، و مثيلاتها من محاولات التعرف

عليها من قبل رجالاً لم تلاحظ حتى ملامحهم، و
حين كاد الملل أن يقضي عليها شعرت بيد قوية
تأسر خصرها، فانتابها الذعر للحظات و الذي سرعان
ما تحول إلى تيار جارف من المشاعر ضربها بقوة
حين استمعت للهجة خشنة يعرفها قلبها جيداً:

- هل لي أن أحظى برقصة مع زوجتي ؟ أم أنها لم
تكتفي من نظرات الإعجاب بعد؟

كانت لهجته تحمل القسوة و الغضب مقاً لتشعر
حورية بأن قلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها من
فرط التأثر بقربه إضافة الى أن جسدها كان و كأنه
ينصهر بين ذراعيه القويتين لتدير رأسها إلى الخلف
فإذا بها تصطدم بذلك الرماد الذي يلون حدقتيه،
فمن يراه يُقَسِّم بأنه كان يحترق في قعر الجحيم
إضافة إلى ملامحه التي كانت قاسية مُتجهمة للحد
الذي جعل أنفاسها تتعارك بقوة داخل صدرها و كأنها
تجاهد لتفر من أمامه هاربة من فرط الخوف

جذبتها يديه ليتوسط حلبة الرقص وسط أنظار
الحاضرين لتهتف بهمس:

- متى غدت؟

- حين علمت بأن إمرأتي ألقت بي في سلة
الماضي، و شرعت في مُمارسة حياتها و كأن شيئاً لم
يكن

هكذا أجابها بقسوة اخترقت عظامها لتقابله
بمثيلتها ولكن كانت قسوتها تحمل العتب :

- ليس وكأنك انت من أقيت بها أولاً و أرادت
التخلص منها!؟

قست أنامله حول خصرها ليغزو الألم سائر
جسدها مانعاً عنها التنفس فهتفت متوجعة:
- جبار انت تؤلمني.

روعها ذلك الوعيد الذي أطل من عينه و نبرته
حين قال:

- لم يأتي وقت الألم بعد. نحن لازلنا نتسلى. ألم
تأتي إلى هذا الحفل و كأنك خارجة لتوك من إحدى
مسابقات الجمال فقط لتحظي ببعض التسلية
زوجتي المصون.

انتفض جسدها من تلك الإهانة التي تضمنتها
كلماته فهتفت قائلة:

- اخرس جبار لا اسمح لك.

اسودت عينيه وقام بجذبها من يدها إلى الخارج
ليذهبوا إلى الكراج و هناك لم يستطع تمالك نفسه
ليقوم بجذبها من أسفل عنقها ليكتسح شفاهها
بقبلة ضارية لم تتوقعها. قبلة رغم قسوتها إلا أنها
كانت تحمل شوقاً ضارياً حين شعر بها تُبادله إياه
فصل التحامهم وهو يقول بنبرة شرسة تحمل طابع
الوعيد

- هذه القبلة مجرد عقاب بسيط ل لسانك السليط
هذا.

لم ينتظر إجابتها ولم يمهلها الوقت لتجاوز صدمتها بل جذبها ليجلسها بالكرسي الفجور لمقعد السائق الذي احتله لينطلق بأقصى سرعة يمتلكها فبدت السيارة وكأنها وحش ينشب الطريق كوحش الغيرة الذي لا زال ينهش ب صدره، فحاولت التغلب على خوفها الذي تحول الى دُعر حين ضاعف سرعته لتخرج منها صرخة مُلتاعه اخترقت أعماق صدره ولكنه لم يبالي لها لتنتهي تلك المعاناة حين توقف بسيارته أمام منزلها حينها أغمضت عينيها لا تُصدّق أنها لازالت على قيد الحياة، فأخذت تحاول استرداد أنفاسها الهاربة تلتفت إلى هذا النمر الغاضب بجانبها و تصرّخ في وجهه بانفعال :

_ أنت مجنون. كدت تقتلنا.

_ سأفعل. أن استمررت باستفزازي هكذا، فستجعلين مني قاتلك لا محالة.

تلك النيران المندلعة بنظراته و التجهّم و الغضب الذي تصرّخ بهم معالمة كانوا إنذارات قوية لصدق حديثه ،لذا تراجعت إلى الخلف وهي تترجل من السيارة تُحجّم لسانها عن إطلاق اللعنات الذي يستحقها من وجهة نظرها، و لم تكد تدلف إلى الصالة المتوسطة في شقتها حتى انتفض جسدها مذعورًا حين سمعت صوت باب الشقة يُغلق بغنف جعلها تتراجع إلى نهاية الغرفة وهي ترتعب من نظراته التي تحولت لقطعتي جمر مضى عليها عقود

تتلظى بقعر الجحيم و أيضًا أنفاسه الهمجية التي
جعلت صدره يعلو يهبط بقوة ف تفسى الخوف
بأوردتها لتظل تتراجع إلى الخلف بأقدام هلامية
يقابلها أقدامه الثابتة التي أخذت تُقلص الفارق
بينهم إلى أن أصبح أمامها مُباشراً حد تلاصق
أضلعهم، فلم تُعد قادرة على تحمل كل هذا الضغط
ولا تملك سبيل للهرب فقد كانت مُحاصره بين
الحائط وبين جسده الصلب لتتهتف بانفعال:

— حسناً جبار إن أردت قتلي كما تقول فافعلها بدلاً
من تعذيبى بهذا الشكل.

أحرقت بشرتها أنفاسه المُوقدة التي تُشبه نبرته
حين قال ضد شفتاها:

— أتمنى لو أنني استطعت فعلها، و خاصةً في ذلك
اليوم الذي علمت فيه بخيانتك.

رفعت رأسها بلهفة تناجي عينيه أن تصدقها حين
قالت:

— لم اخنك أبداً.

هتف من بين أنفاسه بنبرة محشوة بالوجع :

— اذا ماذا تسمين طلبك لرؤية حبيبك الأول؟

اندفعت الكلمات من بين شفاهها تنفي استحواذ
غيره على قلبها :

— زين ليس حبيبى ولم يكن هكذا مُطلقاً.

لم يعد يحتمل كل هذا الوجع و الكذب أيضًا فقام
بضرب الحائط خلفها بقوة تشقق لها جلد يده وهو
يصرخ بوحشية من عمق جرحا لازال نازفًا بأعماق
قلبه:

_ كاذبة.

ارتعبت حتى شقت صرخة مُلتاعة جوفها وهي
تصيح من بين انهيارها:

_ لست كذلك جبار. أقسم أنني لا أكذب عليك.

شاب لهجته القهر حين قال:

_ لماذا طلبتي رؤيته إذن ؟

كانت يديه تنزف بغزارة فهتفت بلوعة:

_ لقد جرحت يدك جبار.

لم يكن هناك من ينزف أكثر من قلبه في تلك
اللحظة ، لذا أمرها بحدة:

_ أجيبيني.

عاندته بخوف كبير عليه:

_ أعطني يدك لأضمدها.

هتف بصراخ قوي يضم الأذان :

_ أجيبيني.

أجابته بلهفة و نبرة تحمل من الصدق الكثير:

- أردت معرفة ما يحدث وماذا فعلت معه؟ ولكنني
توقفت. لم استطع فعلها. لم استطع ان افعل شيء
قد يؤلمك إلى هذا الحد.

استفهم بهسيس خشن:

- لما لم تستطيعي؟

هتفت برجاء:

- جبار رجاء دعني أعالج يدك.

صرخ بألم فاض به القلب و طغى:

- أن أردتي أن تعالجي شيء فعالجي ذلك الجرح
هنا أولاً.

كان يُشير إلى قلبه فعاندته غاضبة:

- يدك تنزف جبار.

احتد حانقاً:

- و قلبي أيضاً الا تفهمين؟ ألا تشعرين بتلك
النيران الموقدة هنا؟

قال جملته الأخيرة بغضب ممزوج بالأسى لثجيبيه
صارخة:

- بلى أشعر.

استفهم بلوعة:

- إذن لماذا تفعلين ذلك؟ هل تستمتعين وكلانا
يحترق؟

حورية بانفعال

_ لا. لا استمتع أبدًا بذلك، ولكن ما يقف حائلًا بيننا
هو عدم رغبتك للإعتراف بسبب تلك النيران سيد
جبار.

تبدل ضباب عينيه بظلام تعرفه جيدًا و لهجة رغم
خشونتها ولكنها تبعث القشعريرة في سائر جسدها:
_ هكذا اذن؟ حلوتي . ثريد اعترافًا صريخًا ؟

هتفت غاضب:

_ ألا استحق ذلك؟

عاد الغضب يطفو في سمائه من جديد ليهتف
بقسوة:

_ لا. لو كنتِ تستحقين لما طلبتي من عمك أن
يخبرني برغبتك في الطلاق؟

أرخت دفاعاتها فهي لم تستطع التنفس بدونه لذا
هتفت بلهجة تن من فرط التعب :

_ كنت احاول استفزازك حتى تعود . لقد كنت
مجروحة و مشتاقه.

اخفضت رأسها حتى لا يرى مقدار تأثيره بعينيها ،
ليقوم برفع وجهها الذي كان قريب من وجهه حد
تلامس أنوفهم قبل أن يقول باستفهام هامس:

_ مُشتاقه ؟

زمت شفتيها بحزن تجلى في نبرتها حين قالت:

- نعم. حتى ولو كان خطأ، ولكنك لا تعلم كيف
يخرب عقل المرء حين يشفق؟!!

ابتسامة خافتة تسلت إلى ثغره وهو يجيبها
بلوعة :

- و هل لا اعلم حورية؟ لقد قضيت أسوأ اوقاتي
برفقتي، و أنا عاجز عن الرجوع حتى لا اضطر لتلبية
طلبك و إطلاق سراحك.

عائته بنبرة متألّمة:

- أليس انت من قلت انك ستفعل ذلك؟

أقر بذنبه وما كان يكتنفه من حزن حين قال
بصوتًا أجش:

- قلت، ولكني لأول مرة بحياتي اتفوه بشيء و أنا
عاجز كليًا عن تنفيذه.

لا إراديًا امتدت يديها لثحيط وجهه وهي تقول
بهمس :

- أنت هنا الآن و هذا يكفي.

فعلتها استبدلت جميع نيران غضبه بجسم الرغبة
الممزوجة بالعشق فأخذ قلبه يضخمهم إلى سائر
جسده فأخبرتها عينيه بما يشتهيّه الآن وهو يقول
بخشونة :

- نعم، ولكن لا يكفي. أريد التأكد من وجودك

أكثر.

تدلت وهي تتعمد عدم فهم مقصده قائلة :

ـ كيف ذلك؟

بلمح البصر كانت يديه تعتقلان خصرها يرفعها
إلى الأعلى لتلتف ساقيها حول خصره، وهو يقول
بنبرة مُدججه بالسنة الشغف:

ـ سأمارس معك كل طقوس العشق حتى تصبح
أنفاسي إدمانك، وهذا سيجعلني أضمن بقائك
بجانبني الأبد.

خلعت رداء الخجل جانبًا وهي تقول بنبرة مُغوية:
ـ إذن ابدأ في تنفيذ مخططك فورًا.

و هكذا بدأت ملحمتهم الضارية التي كانت تحمل
كفا هائلًا من المشاعر التي كانت يتردد صداها
في جميع أنحاء الغرفة التي تبعثرت محتوياتها
بفعل وحشية لقاءهم، فقد أضنى الفراق قلوبهم و
صنع شرخًا عظيمًا في منتصف الروح لا يُرممه
سوى التحامهم الذي أخذ يؤكد مرارًا و تكرارًا و
لأن القلوب ما أن تعشق تُصبح نهمه لا تعرف الشبع
فقد استمر لقاءهم إلى ساعات الصباح الأولى حين
اختتمه جبار واضعًا قبلة دافئة فوق جبهتها وهو
يقول بأنفاس محرورة:

ـ لو كنت أعرف سابقًا أنني سأكُن عاشقًا مُتيقًا بتلك
العينين الياقوتيه لم تركتك ترحلين في أول لقاء

بيننا.

- منذ ذلك اللقاء وانا أخبيء يا حدى زوايا قلبي
تلك العينين الرمادية التي تُشبه ظلام أوشك فجره
على البزوغ، ولكن حتى بأحلامي لم أتخيل أن
تُصبح عالقا خاصا بي.

- انتظري هنا سأعود .

هكذا تحدث جبار الذي توجه إلى خارج الغرفة
ليجلب شيئا ما فاعتدلت مُتلحفة بشرشف السرير
لتجده يعود مرة أخرى حاملا بيده عليه صغيرة
من القطيفة تذكرتها على الفور، فتلك اللعبة كانت
بحوزته حين ذهبت معه إلى ذلك الحفل، ولكنها
تفاجئت حين وجدته يجلس بجانبها وهو يفتح
العبة التي اختطف أنفاسها ذلك الخاتم الرائع الذي
يتوسطها فهتفت بانبهار:

- يا إلهي. أنه رائع جبار.

جبار بعشق:

- ليس بروعتك!

حورية بدلال:

- و هل هذه المرة حقيقيا أم مثل ما يسبقه؟

جبار بنبرة تحمل كم العشق أطنانا:

- حقيقيا تماما كحقيقة عشقي لك.

حورية بتأثر:

_ أنه جميل بشكل لا يُصدق

أسعده كثيرًا إعجابها بالخاتم لتمتد يديه تمسد
خصلات شعرها وهو يقول بخشونة :

_ سابقًا عرضت عليك بأن تُبدل اسم ذلك الميثاق،
و نسميه ميثاق السلام و الياقوت، ولكنك رفضتي،
وها أنا أجدد عرضي فما رأيك ؟

امتدت يديها لتأخذ العلبة من يده و ترفع رأسها
قائلة بنبرة خافتة:

_ ما زلت أرفض.

ارتفع أحد حاجبيه باندهاش فتابعت بدلال:

_ لا يعجبني الاسم .

قرب وجهه من وجهها و لازالت عينيه في حديث
خاص مع عينيها التي يتراقص بهم العبث الذي
شاركها به حين قال:

_ إذن هل لديك اقتراحات أخرى ؟

قامت بارتداء الخاتم وهي تنظر إليه بفخر ثم
أجابته قائلة بنبرة عاشقة:

_ ما رأيك أن نسميه ميثاق الحب و الياقوت ؟

التمتع الإعجاب بنظراته حين استمع إلى ذلك الاسم
المميز فأجابها بنبرة شغوفة:

_ رائع، و مثالي لما حدث بيننا، فبالحب تحقق
السلام و بخاتم الياقوت هذا تحققت أعظم أمنية لي

في هذه الحياة وهي أنتِ حوريتي.

التفت يديها حول عنقه وهي تهمس بنبرة عاشقة
دغدغت ثوابته:

ـ أجبك جبار.

جذبتها يديه القويه لثُصبح عينيها تعتلي عينية
وهو يُجيبها بنبرة موقدة بلهيب العشق الجامح :

ـ أعشك حلوتي.

لم يكن الأمر عادلاً أبداً حين يتعلق أي شيء بك.
تتبدل فيزيائية الأمور و تنحاز المُعطيات، و الدوافع،
و المُبررات وفق إرادتك و إن خالفت كل حدود
المنطق. يختل ميزان النظريات العلمية، فلا يُعد لكل
فعل رد فعل بل لفعلك أنتِ ما يُناسبه و يليق بك.
حتى و إن خرق ذلك مقاليد الكون والطبيعة ف رُواء
أنفاسك يُكمم كل هتافات و احتجاجات العقل الذي
أسلم رايته هو الآخر أمام إغواء حضورك، فبات كل
شئ يتهاون معك رُغماً عني و عن إرادتي فلم يُعد
بُد من الانهزام و ما أشهاه بين حنايا صدرك.

بعد مرور ثلاث سنوات اجتمع القطبين في احتفال
كبير ضم عائلة آل فارس و آل شريف في حفل
زفاف مُهرة و جواد الذي وقع بعشقتها ما أن وقعت
عينيه عليها ذلك اليوم في بيتهم، ليتم تتويج قصة
عشقهم بالزواج المُرحب بين العائلتين، و حضور

حشد كبير من العائلات العريقة في المنطقة ليتوجه
جبار باحثًا عن حلوته التي كانت تحمل عمران ابن
ملاك التي تزوجت بحكيم الذي كان يعشقها منذ
نعومة أظافرها.

- حلوتي أصبحت تنشغل عني كثيرًا هذه الأيام.

هكذا تحدث جبار وهو يُحيط خصرها بيديه التي
استقرت حول بطنها البارز فقد كانت في شهرها
الأخير من الحمل الذي كان الثاني لها بعد أن رزقهم
الله بمولود أسموه قاسم، فأجابته بعبث:

- حلوتك تنشغل عنك في النهار و ثراضيك في
المساء لا تكن طماعًا جباري.

نثر عشقه بطول عنقها قبل أن يقول بجانب أذنها
بهمسًا كان فتاكًا لثباتها:

- جبارك دائمًا نهم إلى وجودك حبيبتي، فهل هناك
عاقلاً قد يشبع من هذا العسل، ولهذا لا اتحمل
غيابك

حورية بدلال:

- إذن غيابي مؤثر كثيرًا إلى هذا الدرجة؟

جبار بنبرة تعج بالمشاعر القوية تجاهها:

- تفعلين بي ما تفعله الشمس بهذا العالم تضيئين،
فهل للعالم أن يحتمل غياب شمسهِ؟
أجابته بنبرة عاشقة:

- اعتقد أنني المرأة الأكثر حظًا في هذا العالم
لكونك زوجي.
- أجبك حلوتي.

تمت 13/12/2024

النهاية..

